سلسلة الدين الصافي – 2

www.saaid.net/kutob

كلمات في الإيمان بالنبي محمد

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد:

فإن الله تعالى خلق الخلق ، وفضَّل بعضهم على بعض ، فاصطفى من الملائكة رسلا ، ومن الناس أنبياء ، وفضل النبيين بعضهم على بعض ، فاصطفى منهم أولو العزم ، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، واصطفى من الخمسة الخليلين ، إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، واصطفى من الخليلين محمد ﷺ ليكون سيد البشر ، وخاتمهم ، وأكثرهم تابعا ، وأعلاهم قدرا ، ثم أوجب علينا طاعة رسوله محمد ﷺ ، ومحبته وطاعته واتباعه وتوقيره ونصرته حيا وميتا ، واحترامه والصلاة عليه ، من غير غلو ولا إفراط ، كما في قوله سبحانه ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرةً وأصيلاً﴾[١] ، وقوله جل جلاله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم * يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾[٢] ، وقوله تعالى ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾[٣].

ولغرض إفادة نفسي وإخواني ؛ جمعت في هذا البحث خمسة مواضيع تتعلق بالإيمان بالنبي ﷺ :

[١] سورة الفتح: ٨ – ٩ .

[٢] سورة الحجرات: ١ – ٢ .

[٣] سورة الفتح: ٨ – ٩ .

١. الغاية من إرسال الرسل

٢. شروط شهادة أن محمدا رسول الله

٣. مقتضيات الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

٤. حقوق النبي محمد ﷺ السبعة عشر على الأمة

٥. نواقض الإيمان بالنبي محمد ﷺ

وفهم حقوق النبي ﷺ أمر في غاية الأهمية ، لأنه مرتبط بتحقيق العبد لشهادة أن محمدا رسول الله ، وذلك أن تحقيقها لا يحصل بمجرد النطق باللسان ، بل بالقيام بما تضمنته تلك الشهادة وارتكزت عليه من شروط ، كما سنبينه إن شاء الله ، فإن أقواما شهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ولكنها لم تدخلهم في الإسلام ، كأبي طالب عم النبي ﷺ ، فقد كان مقرا لابن أخيه بالنبوة ، ولكنه لم ينقد لشريعته ، خوفا من ملامة قومه ، فمات كافرا عياذا بالله ، ولم تنفعه شهادته.

وكذلك النفر الذين خرجوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك من المؤمنين ، فلما كانوا ببعض الطريق سخروا من شخص النبي ﷺ وصحابته ، فنزل القرآن بالحكم بكفرهم لأنهم لم يقوموا بحق التوقير للنبي ﷺ ، الذي هو من لوازم تلك الشهادة ، قال تعالى ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾.

وصنف آخر على النقيض الآخر تماما ، وهم الذين عبدوا محمدا ﷺ ، فلم يكتفوا بالإيمان بأنه رسول ، بل وصفوه بأنه إله ، فصرفوا له بعض العبادات ، من دعاء وذبح ونذر وغير ذلك ، ووصفوه بصفات الله الخاصة به ، كعلم الغيب وغيره.

وكلا الفريقين لم يفهموا معنى شهادة أن محمدا رسول الله ﷺ الفهم الصحيح ، وإن كانوا منتسبين للإسلام ، مدَّعين له ، بل دخل عليهم الشيطان من مدخل الإفــراط أو التفريط ، فأخرجهم من الإسلام ، عياذا بالله.

والحق أن «شهادة أن محمدا رسول الله» كقسيمتها «شهادة أن لا إله إلا الله» تماما ، لها معنى وشروط ونواقض ومقتضيات ، وهي داخلة في الإيمان بالرسل الذي هو الركن الرابع من أركان الإيمان ، فعلى هذا فلا يتم للعبد تحقيق ركن الإسلام الأول وركن الإيمان الرابع إلا بتحقيقها ، فحري به أن يتعلمها ليكون على بصيرة من أمره ، ليكون ممن اعتقدها بجنانه ، وقالها بلسانه ، وحققها بأركانه ، فيكون ممن قال تعالى فيهم ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾.

وقد التزمت في بحثي هذا الاختصار وعدم التطويل ، وأن يكون الكلام منصبا على الموضوع ، دون الخوض في التحليلات ، نفع الله به.

فجزى الله خيرا من أعانني على إخراج هذا البحث ، وجعلنا وإياهم ممن حقق الشهادتين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه ، وسلَّم تسليما كثيرا.

الغاية من إرسال الرسل

الغاية من إرسال الرسل هي بيان العقيدة والشريعة ، اللَّتان من التزمهما وعمل بهما نجا ، ومن حاد عنهما هلك ، فأما العقيدة فتتضمن الأصول العظيمة التالية:

١. بيان الغاية من الخلق وهي العبادة ، قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ، وبيان أن العبادة حق الله وحده ، كما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه الذي رواه البخاري ومسلم.[١]

٢. التعريف بأصول الاعتقاد ، ورأس ذلك أركان الإيمان الستة ، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

وأما الشريعة فتتضمن تفاصيل العبادات وكيفياتها ، من مأمورات ومنهيات ، وبيان ما أحل الله لهم وما حرّم عليهم.

وليس ثمة طريق لدخول الجنة والنجاة من النار غير الطريق الذي جاء به النبي ﷺ ، ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذالكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾[٢].

فمن جاء بعبادة لم يرشد إليها النبي ﷺ فقد زاد في دين الله ما ليس منه ، وعبادته مردودة عليه غير مقبولة ، وكل عبادة لم يفعلها النبي ﷺ فهي بدعة ، لقوله ﷺ : من أحدث في أمرنا هذا[٣] ما ليس منه فهو رد.[٤]

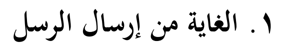
---

[١] رواه البخاري (٥٩٦٧) ، ومسلم (٣٠).

[٢] سورة الأنعام: ١٥٣ .

[٣] المقصود بالأمر هو الدين.

[٤] رواه البخاري (٢٦٩٧) ، ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.



١. الغاية من إرسال الرسل

وفي رواية: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد.[١]

ولذا فإن الخير كل الخير في إتباع النبي ﷺ والاقتداء به ، والشر كل الشر في مخالفته والبعد عن شرعه وما جاء به.

[١] رواه مسلم (١٧١٨).

بيان شروط شهادة أن محمدا رسول الله

لما كانت شهادة «لا إله إلا الله ، محمدا رسول الله» هي لب الدين وأساس الملة ؛ وكان تحقيقها شرطا لدخول الجنة والنجاة من النار ؛ فإنه ينبغي لمن كان قصده الله والدار الآخرة أن يعلم شروط تلك الشهادة ، ومن ثم يعمل بها ويحققها.

وقد أشار الله تعالى إلى أن القيام بشروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله ، محمدا رسول الله» من أوصاف أهل الجنة ، وذلك في كتابه العزيز في قوله ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ في سورة المعارج ، وهذه الآية وإن كان المقصود بها عموم الشهادات ؛ فإن شهادة «لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله» هي أولى الشهادات بالتحقيق ، والذي يعنينا في هذا البحث هو الشطر الثاني من تلك الشهادة ، وهو شهادة «أن محمدا رسول الله».

وشهادة أن محمدا رسول الله لها **شروط** ، لا ينتفع قائلها إلا بتحقيقها[١] ، وهي:

الأول: العلم بمعناها ، وهو الإيمان بأنه رسول من عند الله حقا ، والانقياد لشريعته.

الثاني: استيقان القلب بها ، ودليله قوله تعالى ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾.[٢]

الثالث: الانقياد لها ظاهرا وباطنا ، وذلك بالقيام بحقوق النبي ﷺ[٣] ، ودليل الانقياد قوله تعالى ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾.[٤]

---

[١] انظر «أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة» ، تأليف الشيخ حافظ الحكمي ، ص ٣٩ ، الناشر: دار المؤيد – الرياض.

[٢] سورة الحجرات: ١٥ .

[٣] سيأتي بيان تلك الحقوق قريبا إن شاء الله.

[٤] سورة لقمان: ٢٢ .

رابعا: القبول لها ، فلا يرُد شيئا من لوازمها ومقتضياتها.

خامسا: الإخلاص فيها وضده الشرك.

سادسا: الصدق فيها وضده الكذب والنفاق ، والدليل قوله تعالى ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ ، وقال النبي ﷺ : ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، صدقا من قلبه ، إلا حرمه الله على النار.[١]

سابعا: المحبة لها ولأهلها ، والمعاداة لمن أبغضها.

ثامنا: الكفر بما يناقضها.

[١] رواه البخاري (١٢٨) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ الأربعة عشرة

الإيمان الصادق بالنبي ﷺ يقتضي أمورا عدة ، فليس الإيمان بالنبي ﷺ هو مجرد التصديق بأنه نبي أو أنه رسول ، أو أنه قائد عظيم ، وأنه يتحلى بأخلاق عظيمة ، ويقف الأمر عند ذلك ، كما يظن بعض الناس ، كلا ، بل الإيمان الصحيح الكامل بالنبي ﷺ يقتضي أربعة عشر أمرا:

1. معرفة اسمه ونسبه ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وعدنان من ولد إسماعيل وإسماعيل من ولد إبراهيم عليه السلام.

ويكفي من هذا معرفة اسمه ، محمد.

2. الإيمان بنبوته ورسالته ، وأنه نبي رسول من عند الله حقا وصدقا.

3. الإيمان ببشريته وأنه عبد لله ، لا يُعبد ، وقد جاء التصريح بذلك في آيات كثيرة[1] ، كقوله تعالى في أول سورة الإسراء ﴿سبحان الذي أسرى **بعبده** ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾.

وعن عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لا تطروني[2] كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا: عبد الله ورسوله.[3]

---

[1] يراجع «المعجم المفهرس لألفظ القرآن» ، مادة «عبد» و «عبدنا» و«عابد» ونحوها.

[2] الاطراء هو الإفراط في المدح ، انظر شرح اللفظة في شرح الحديث في «فتح الباري».

[3] رواه البخاري (3445) واللفظ له ، وأحمد (23/1) ، والدارمي (2787).

4. القيام بحقوقه ﷺ ، وعلى رأسها تصديقه ، والانقياد لشريعته ، بفعل ما أمر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وكذا محبته ﷺ ، وسيأتي تفصيل الكلام في بيان حقوق النبي ﷺ في جزء الحقوق.

5. الإيمان بما صح في سيرته من الأخبار الدالة على سيرته المباركة ، وخصاله الحميدة ، وجهاده في دعوته ، وصبره وتحمله لنشر الحق.

وسيرته ﷺ مبسوطة في كتب مطولة ، وقد أُلف فيها كتبا كثيرة ، أشهرها كتاب «سيرة ابن إسحاق» لمحمد بن إسحاق بن يسار ، وكذا «الروض الأُنف في شرح السيرة النبوية» لعبد الرحمٰن ابن عبد الله السهيلي ، و «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير» لابن سيد الناس ، وكتاب «الفصول في سيرة الرسول» لابن كثير ، رحمهم الله جميعا ، ومن المعاصرين ألف د. أكرم ضياء العمري حفظه الله كتابا شاملا اشترط فيه صحة الأخبار ، وَوَسَمَه «السيرة النبوية الصحيحة» ، وقد أُلِّفت غيرها من الكتب.

6. الإيمان بما جاء من صفاته الخَلقية والخُلُقية ، كصفة طوله وهيئته ومشيته ، وصفة وجهه الشريف وجمال خلقته ، وكذا ما حباه الله من أخلاق عظيمة لم تجتمع لأحد غيره ، كالصدق والأمانة والرحمة وصلة الرحم والعفو وغيرها ، وقد صنف في صفاته الخَلقية والخُلُقية عدة مصنفات ، منها كتاب «الشمائل المحمدية» لأبي عيسى الترمذي ، وكتاب «الأنوار في شمائل النبي المختار» للحسين بن مسعود البغوي ، وكتاب «أخلاق النبي ﷺ وآدابه» لأبي القاسم الأصبهاني ، وكتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ » للقاضي عياض بن موسى اليحصُبي ، رحمهم الله جميعا.

وقد صنف بعض المتأخرين كتبا جامعة لأقوال المتقدمين في هذا الباب ، ككتاب «موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم» ، وتقع في اثني عشر مجلدا ، وكتاب «الصحيح المسند من الشمائل المحمدية» لأم عبد الله الوادعية.

7. الإيمان بما جاء من خصائصه الذاتية والشرعية ، كتكريم الله له بالمقام المحمود ، وهو الشفاعة الكبرى للناس يوم القيامة ، ونصرته له بالرعب مسيرة شهر ، وإحلال الغنائم له ولأمته ، ومن أعظم خصائصه أنه أفضل الخلق ، وخاتم النبيين ، وقد صُنفت في هذا الباب عدة مصنفات ، منها كتاب «الخصائص الكبرى» لجلال الدين السيوطي ، وكتاب «خصائص النبي ﷺ » لسراج الدين ابن الملقن ، وكتاب «بداية السول في تفضيل الرسول» للعز بن عبد السلام ، وكذا كتاب «كشف الغمة ببيان خصائص رسول الأمة ﷺ » ، لأبي الحسن مصطفى بن إسماعيل المأربي ، وهو أجمع تلك الكتب ، وسوف نستعرض على سبيل التفصيل هٰذين النوعين من الخصائص في باب بيان عِظم قدره ﷺ إن شاء الله.

8. الإيمان بما جاء من دلائل نبوته ﷺ ، وهي كثيرة ، وأعظمها إنزال القرآن العظيم عليه ، وانشقاق القمر له ، وحنين الجذع إليه ، وتسبيح الطعام بين يديه ، ونبع الماء وتكثيره بين أصابعه ، وتكثير الطعام القليل ، وإخباره عن الغيبيات المستقبلية.

وقد ألف عماد الدين بن كثير رحمه الله كتابا أسماه «شمائل الرسول ﷺ ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه» جمع فيه أحاديثا تتعلق بالمواضيع الثلاث المتقدمة ، وأودعه في كتابه الكبير «البداية والنهاية».

9. الإيمان بأنه خاتم النبيين ، ورسالته خاتم الرسالات ، كما قال تعالى ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله **وخاتم النبيين**﴾[1] .

والدليل من السنة على أن محمدا ﷺ هو خاتم النبيين حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبي بعدي ... الحديث.[2]

وعن جابر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلاَّ وضعت هذه اللبنة ؟

قال: فأنا اللَّبِنة ، وأنا خاتم النبيين.[3]

10. الإيمان بأن رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع ، كشريعة عيسى وموسى عليهما الصلاة والسلام ، ومهيمنة عليها كلها ، قال تعالى ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه﴾[4] ، فلا يجوز التعبد لله بغير شريعة الإسلام مطلقا.

---

[1] سورة الأحزاب: 40 .

[2] رواه أبو داود (4252) وأحمد (278/5) ، وصححه الألباني ، وكذا محققو «المسند» وقالوا: على شرط مسلم.

وقد جاءت هذه اللفظة عن عبد الله بن عمر بن الخطاب في المسند (103/2) ولفظها: والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليكونن قبل المسيح الدجال كذابون ثلاثون أو أكثر. وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.

[3] رواه البخاري (3535) ومسلم (2286) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[4] سورة المائدة: 48 .

11. الإيمان بأنه بعد بعثة النبي ﷺ لا دين مقبول عند الله إلا دين الإسلام ، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[1].

ومن السنة قوله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ؛ لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ، يهودي ولا نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به ؛ إلا كان من أصحاب النار.[2]

12. الإيمان بأنه ﷺ قد بلغ الرسالة وأكملها ، وترك أمته على البيضاء ، والدليل على هذا قوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[3].

ومن السنة ما روى الشيخان عن مسروق قال: كنت متكئا عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة ، ثلاثُ من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية - وذَكَرَت منها — ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أُنزِل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾.[4]

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: لقد تركَنا محمد ﷺ وما يحرِّك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علما.[5]

وقد شهد الصحابة للنبي ﷺ في حجة الوداع بأنه بلغ الدين ، وكان عددهم نحوا من أربعين ألفا ، فإنه لما قال لهم النبي ﷺ : تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به ؛ كتاب الله ، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟

---

[1] سورة آل عمران: 85 .

[2] رواه مسلم (153) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[3] سورة المائدة: 3 .

[4] رواه البخاري (4855) ومسلم (287 ، 177) ، واللفظ لمسلم.

[5] رواه أحمد (153/5) ، وحسنه محققو «المسند».

قالوا: **نشهد أنك قد بلغت وأدَّيت ونصحت.**

فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكُتُها[1] إلى الناس: اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، ثلاث مرات.[2]

13. الإيمان بعموم رسالته إلى الإنس والجن ، قال تعالى ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾[3] ، وقوله ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[4] .

ومما ينبغي التنبيه إليه هو أن لفظة «الناس» تعم الإنس والجن ، كما دل على هذا قوله تعالى ﴿الذي يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس﴾.

وقد جاء ذكر إثبات دعوة النبي ﷺ للجن إلى الإسلام في سورة «الجن» ، فقد أتى بعض الجن فبايعوا النبي ﷺ على الإسلام ، فنزلت في هذا آيات من سورة الأحقاف وهي قوله تعالى ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصِتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم * يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾.

والدليل من السنة على عموم رسالته حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : أوتيت خمسا لم يؤتهن نبي كان قبلي ؛ وذكر منها: وبعثت إلى الأحمر والأسود.[5]

---

[1] أي يقلِبها ويردِّدها إلى الناس مشيرا إليهم. قاله النووي في شرح الحديث.

[2] خرجه مسلم (1218) عن جابر رضي الله عنه.

[3] سورة الأعراف: 158 .

[4] سورة الأنبياء: 107 .

[5] رواه أحمد (145/5) ، وصححه محققو «المسند».

وقد قام النبي ﷺ بدعوة الناس كافة كما أمره ربه ، فدعا عشيرته الأقربين ، ثم كاتب ملوك العرب والفرس والروم ، وكاتب النجاشي ملك الحبشة ، ودعا الجن إلى الإسلام ، وغزا من أجل تسهيل الطريق أمام الدعوة ، ثم سار صحابته على سيرته من بعده ، فدعوا إلى الله تعالى ، وحفظوا السنة والقرآن ، وغزوا المرتدين ، وقاتلوا من ادّعى النبوة ، وفتحوا الآفاق ، ففتحوا الشام ومصر والمغرب ، وفتحوا خُراسان ، ونشروا التوحيد في كل مكان ، وهدموا الأصنام ، وفعلوا وفعلوا لنصرة الإسلام مما هو مُدوَّن في بطون كتب التاريخ والحديث ، فرحمهم الله وجزاهم خيرا ، وجعل ما قدموا وما قدّمت الأجيال بعدهم في موازين حسناتهم يوم القيامة.

14. الإيمان بعصمته ﷺ ، والنبي ﷺ معصوم[1] من خمسة جوانب ؛

1. معصوم في مجال التبليغ.
2. معصوم من الوقوع في الشرك.
3. معصوم من كبائر الذنوب.
4. معصوم في نسبه الذي تناسل منه من السِّفاح.
5. معصوم من رذائل الأخلاق.

الجانب الأول: عصمته في مجال التبليغ من الخطأ والنسيان

عصمة الأنبياء عليهم السلام من الخطأ والنسيان في مجال التبليغ والرسالة يعتبر من الضرورات ، إذ أن الرّسل هم الوسائط في التبليغ بين الله وبين عباده ، فبهم يهتدي البشر إلى عبادة الله سبحانه

[1] العِصمة في اللغة هي المنع والوقاية ، انظر «لسان العرب».

وتعالى التي يرتضيها ، فلهذا أوجب الله العصمة لكافة أنبيائه ورسله في هذا الجانب لتصل الرسالة كاملة إلى العباد غير منقوصة ولا محرفة ، فتقوم الحجة عليهم.

وقد جاءت الأدلة الخاصة لعصمة نبينا محمد ﷺ ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: إني لا أقول إلا حقا.

قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله.

قال: إني لا أقول إلا حقا.[2]

وقد أجمعت الأمة على عصمته في مجال التبليغ ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه ، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة ، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه ، كما قال تعالى ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون * فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾[3].

وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة.

والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة ، فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين.[4]

---

[1] سورة النجم: 3 – 4 .

[2] أخرجه أحمد (340/2) ، والترمذي (1990) ، وقال: حديث حسن صحيح.

[3] سورة البقرة: 136 – 137 .

[4] «مجموع الفتاوى» (289/10-290) ، باختصار ، وانظر ما قاله الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ (سورة طه: 121).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾[1]:

ومن عصمة الله لرسوله حِفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها ومترفيها ، مع شدة العداوة والبُغضَة ، ونصب المحاربة له ليلا ونهارا ، بما يخلقه الله من الأسباب العظيمة بقدرته وحكمته العظيمة ، فصانه في ابتداء الرســالة بعمه أبي طالب ، إذ كان رئيسا مطاعا كبيرا في قريش ، فلما مات عمه أبو طالب نال منه المشركون أذى يسيرا ، ثم قيض الله له الأنصار فبايعوه على الإسلام وعلى أن يتحول إلى دارهم وهي المدينة ، فلما صار إليها منعوه من الأحمر والأسود. وكلما همّ أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه ، كما كاده اليهود بالسحر ، فحماه الله منهم وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواءً لذلك الداء ، ولما سَمّه اليهود في ذراع تلك الشاة بخيبر أعلمه الله به وحماه منه ، ولهذا أشباه كثيرة جدا يطول ذكرها. انتهى باختصار.

وقد عقد القاضي عياض رحمه الله فصلا كاملا بعنوان «فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه» ، وذلك في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ » ذكر فيه نحو عشرين قصة وقعت للنبي ﷺ ، تدل على وقاية الله لنبيه من أذى الكفار **حتى بلّغ رسالة ربه** ، منها قصته لما اجتمعت قريش على قتله ، فخرج عليهم من بيته ، وخلف مكانه علي بن أبي طالب ، فخرج ولم يروه ، وقصته وهو في طريق الهجرة لما خرج المشركون في طلبه فاختبأ في الغار مع أبي بكر ، ثم لما أدركه سراقة بن جعشم دعا عليه النبي ﷺ فساخت ركب فرسه فلم يستطع أن يدركه ، وغيرها من القصص ، فمن أراد التوسع فليراجع الفصل المذكور.

ومن كتب المتأخرين في هذا الباب كتاب «محاولات اغتيالات النبي ﷺ » لعبد المنعم الهاشمي.[2]

---

[1] المائدة: 67 .

[2] الناشر: مكتبة البخاري ، الكويت.

الجانب الثاني: عصمته من الوقوع في الشرك

عُصم النبي ﷺ من الوقوع في الشرك قبل البعثة وبعد البعثة من باب أولى ، فأما قبل البعثة فقد دلت النصوص الثابتة على أن النبي ﷺ لم يسجد لصنم قط أو استلمه أو غير ذلك من أمور الشرك التي كان يفعلها قومه ، فقد كان يَعرف الله بفطرته ، وكان يتعبد الله في غار حراء سنين عديدة ويفرِدُه بذلك ، لا كما كان يفعل المشركون من صرف العبادة لله ولغيره ، ولا غرابة في ذلك التوحيد لله تعالى ، فقد استخرج الله حظ الشيطان منه ، وذلك في حادثة شق صدره ﷺ ، والتي حصلت للنبي ﷺ مرتين ؛ **الأولى** إذ كان صغيرا ، والثانية في الحِجر – أي حِجر الكعبة – قبل أن يُعرج به ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشقَّ عن قلبه فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علَقة[1] ، فقال: (هذا حظ الشيطان منك) ، ثم غسله في طستٍ[2] من ذهب بماء زمزم ثم لأَمَه[3] ، ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يَسعون إلى أمه – يعني ظِئره[4] – فقالوا: (إن محمدا قد قتل) ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون[5].

قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخِيط في صدره.[6]

---

[1] العَلقة هي قطعة دم متجمدة. انظر «النهاية».

[2] الطست آنية من نحاس. انظر «لسان العرب».

[3] أي ضمه وأعاده كما كان.

[4] أي مرضعته ، والمشهور أن اسمها حليمة السعدية.

[5] أي متغير اللون بسبب خوف أو ألم. انظر «النهاية».

[6] رواه مسلم (162).

فهذا الحديث نص في إخراج حظ الشيطان من النبي ﷺ إذ كان غلاما ، فدل هذا على عصمته من الوقوع في الشرك.

والثانية قُبيل العروج به إلى السماء ، أتاه ملك ، فشقه من النحر إلى أسفل البطن ، ثم غسَل البطن بماء زمزم حتى أنقى جوفه ، ثم أُتِي بطستٍ من ذهب قد ملئ حكمة وإيمانا ، فغسل قلبه ، ثم ملأه إيمانا وحكمة ، ثم أُتي بدابَّةِ «البُرَاق» ، فعُرِج به إلى السماء.[1]

روى ابن أبي شيبة عن الحسن في قوله ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ ، أي: مُلئ حِكَمًا وعلمًا.[2]

ويكفيك في الدلالة على نفور النبي ﷺ من الشرك قبل البعثة ما جاء في قصة بُحَيرا الراهب أنه استحلف النبي ﷺ باللات والعُزّى حينما لقيه بالشام في سفرته مع عمه أبي طالب ، فقال بحيرا للنبي ﷺ : يا غلام ، أسألك باللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسالك عنه.

فقال النبي ﷺ : لا تسلني باللات والعزى شيئا ، فوالله ما أبغضت بغضهما شيئا قط.[3]

ومن دلائل عصمته ﷺ من نزغات الشيطان أن الله أعانه عليه حتى أسلمَ فسلِم منه ، فعن عائشة

---

[1] رواه البخاري (3207) عن أنس بن مالك عن مالك بن أبي صعصعة ، ومسلم (164) عن أنس عن أبي ذر.

[2] برقم (31681) ، كتاب الفضائل ، باب ما أعطى الله تعالى محمدا ﷺ .

[3] رواه البيهقي في «الدلائل» (27/2).

وقد عقد بعض من صنف في دلائل النبوة فصلا خاصا بهذا الموضوع ، وذكر فيه العديد من الأحاديث والشواهد ، فليراجعها من أراد الاستزادة ، انظر مثلا كتاب «دلائل النبوة» للبيهقي ، فصل «باب ما جاء في حفظ الله تعالى رسوله ﷺ في شبيبته عن أقذار الجاهلية ومعائبها لما يريد به من كرامته برسالته حتى بعثه رسولا».

وكذا «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني ، فصل «ذكر ما خصه الله عز وجل به من العصمة ، وحماه من التدين بدين الجاهلية».

رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خـــــــــرج من عندها ليلا ، قالت: فغِرتُ عليه[1] ، فجاء فرأى ما أصنع ، فقال: مالكِ يا عائشة ، أغِرتِ؟

فقلت: وما لي لا يَغارُ مثلي على مثلك؟

فقال رسول الله ﷺ : أقد جاءكِ شيطانُكِ؟

قالت: يا رسول الله ، أو معي شيطان؟

قال: نعم .

قلت: ومع كل إنسان؟

قال: نعم .

قلت: ومعك يا رسول الله؟

قال: نعم ، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلمَ .[2]

أي استسلم قريني من الشياطين وانقاد لي ، وليس معناه (حتى أسلمَ أنا منه) ، ولا أنَّ الشيطان صار مسلما.[3]

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن.

قالوا: وإياك يا رسول الله؟

قال: وإياي ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلمَ ، فلا يأمرني إلا بخير.[4]

---

[1] أي غارت أن يكون ذهب إلى بعض نسائه.

[2] رواه مسلم (2815).

[3] انظر «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية (271/8).

[4] رواه مسلم (2814).

الجانب الثالث: عصمة نسبه الذي تناسل منه من السِّفاح[1]

لقد حمى الله تبارك وتعالى أصول نبينا من سفاح الجاهلية ، فلم يخالط نسَبَه شيء من ذلك ، لا من جهة آبائه ولا من جهة أمهاته ، ولم يولد إلا من نكاح كنكاح الإسلام.[2]

والدليل على هذا قول النبي ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لم يلتقِ أبواي على سفاح ، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفّى مهذبا ، لا تتشعب شعبتان إلا كنتُ في خيرهما.[3]

وعن أبي جعفر الباقر في تفسير قوله تعالى ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم﴾ ، قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية.

قال: وقال النبي ﷺ : إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح.[4]

وفي لفظ[5]: إنما خرجت من نكاح ، لم أخرج من سفاح من لدُن آدم ، لم يصبني سفاح الجاهلية.

---

[1] أي الزنا.

[2] بتصرف يسير من «معارج القبول» للحكمي ، باب مولده ﷺ ، ص (1051) ، الناشر: دار ابن القيم – الدمام.

[3] أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» ، ص 24 من عدة طرق ، وذكر السيوطي له شواهد عدة في «الخصائص الكبرى» (63/1 ، 66). (نقلا من «حقوق النبي ﷺ » ، ص 138).

[4] رواه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسير الآية ، وكذا البيهقي في «السنن الكبرى» (190/7).

[5] رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» ، كتاب الفضائل (31632) ، والطبراني في الأوسط (4728) ، وقال الألباني في «الإرواء» (331/6): وهذا مرسل صحيح الإسناد.

الجانب الرابع: عصمة من كبائر الذنوب

أما عصمته ﷺ من الكبائر فسيرة النبي ﷺ شاهدة على هذا ، سواء قبل البعثة أم بعدها ، فإنه لم يشرب الخمر قط ، ولم تمس يده يدَ امرأة قط فضلا عما سوى ذلك ، ولم يكذب قط ، كما قال ﷺ : (لا أقول إلا صدقا) ، وكيف تقع منه الكبيرة وقد قال ﷺ لصحابته: أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له.[1]

فائدة: قال العلامة الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى في سورة طٰه ﴿وعصى آدم ربه فهدى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾:

واعلم أن جميع العلماء أجمعوا على عصمة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في كل ما يتعلق بالتبليغ ، واختلفوا في عصمتهم من الصغائر التي لا تَعَلُّق لها بالتبليغ اختلافا مشهورا معروفا في الأصول ، ولا شك أنهم صلوات الله عليهم وسلامه إن وقع منهم بعض الشيء فإنهم يتداركونه بصدق الإنابة إلى الله حتى يَبْلُغوا بذلك درجة أعلا من درجة من لم يقع منه ذلك ، كما قال هنا ﴿وعصى آدم ربه فهدى﴾ ثم أتبع ذلك بقوله ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾.[2]

وقال السمعاني رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾: واعلم أن الأنبياء معصومون من الكبائر ، فأما الخطايا والصغائر تجوز عليهم.

وقال القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى من سورة البقرة ﴿أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾: والأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعا.

[1] رواه البخاري (5063).

[2] «أضواء البيان».

وقال الإمام ابن عبد البـر رحمه الله: ومعلوم أن رسول الله ﷺ لم يُكَفر عنه إلا الصغائر من الذنـوب ، لأنه لم يأت قط كبيرة ، لا هو ولا أحد من أنبياء الله ، لأنهم معصومون من الكبائر صلوات الله عليهم.[1]

وقال ابن تيمية رحمه الله في «الفتاوى» (319/4): فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف ، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية ، وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول. انتهى.

الجانب الخامس: عصمته من رذائل الأخلاق

(من المعروف عن سيرته ﷺ قبل البعثة وبعدها أنه متصف بكل خلق فاضل من صدق وأمانة وبر وصلة رحم وإحسان وجود ، إلى غير ذلك من محاسن الأخلاق التي جبله الله عليها منذ نشأته ، ولذا فقد فطره الله على كل خلق فاضل كريم ، وجمع له خصال الخير كلها ، فلم يكن يُدعى إلا بالأمين)[2] .

ومن أدلة ذلك قول زوجته الأولى خديجة بنت خويلد رضي الله عنها حينما أتاها النبي ﷺ خائفا بعد أن لقيه جبريل في غار حراء قبل البعثة فقال لها: لقد خشيت على نفسي ؛ فقالت له: كلاّ

---

[1] «التمهيد» (165/2) ، باب الراء ، في أحاديث ربيعة بن عبد الرحمٰن ، الناشر: دار الكتب العلمية.

[2] باختصار وتصرف يسير من «حقوق النبي ﷺ » ، ص 147 .

أبشر ، فوالله لا يُخزيك الله أبدا ، فوالله إنك لتصل الرحم ، وتصدُق الحديث ، وتحمل الكَل[1] ، وتَكسِب المعدوم[2] ، وتَقري الضيف[3] ، وتُعين على نوائب الحق.[4]

والكلام في باب خلق النبي ﷺ يطول جدا ، ولكن يكفي القول بأنه ليس ثمة صفة حميدة إلا وقد تحلى بها النبي ﷺ ، وما من خلق سيء إلا وقد نُزِّه منه النبي ﷺ ، ويكفي في هذا الباب قوله تعالى ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[5].

وقد أتى التنويه بخلقه الجميل في التوراة والإنجيل ، فعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة.

قال: أجل والله ، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ، ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾[6] ، وحِرزا[7] للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخَّابٍ[8] في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غُلفا.[9]

---

[1] تحمِل الكَلَّ أي تحمل عن الناس ما يثقلهم من أعباء الدنيا. انظر «النهاية».

[2] تكسب المعدوم أي تعطي المعدوم وهو الذي لا مال عنده. انظر «النهاية».

[3] تَقري الضيف أي تكرمه.

[4] رواه البخاري (4953) ، ومسلم (160).

[5] سورة القلم: 4 .

[6] سورة الأحزاب: 45 .

[7] تقدم بيان معناه.

[8] السَّخَب هو الصياح ، انظر «النهاية».

[9] رواه البخاري (2125).

فالحاصل أن الله عصم الله نبيه ﷺ مما ينقصه في دينه أو خلقه أو نسبه ، حتى لا يبقى لمنتقص حجة يتعلق بها لتنفير الناس من رسول الله ﷺ .

تنبيه على إشكال

أما قوله تعالى ﴿ووجدك ضالا فهدى﴾ فإن معنى الضلال هنا هو الغفلة ، فيكون المعنى: وجدك غافلا عما يُراد بك من أمر النبوة ، قاله الشوكاني والقرطبي في تفسير الآية.
وقيل إن معنى (ضالا) أي لم تكن تدري ما القرآن ولا الشرائع ، فهداك الله إليها ، وهو بمعنى قوله ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ ، قاله ابن كثير وغيره.
وقد أورد علماء التفسير غير ذلك من المعاني في تفسير الآية.

فصل في بيان مسألة وقوع الخطأ منه ﷺ [1]

ينبغي لفهم مسألة وقوع الخطأ من النبي ﷺ معرفة الجوانب التي يمكن أن يقع فيه الخطأ أصلا وهي نوعان:

الأول: خطأ في الجانب التطبيقي لتعاليم الدين.

ثانيا: خطأ في الجانب الدنيوي البحت.

تفصيل في النوع الأول

[1] انظر للتفصيل كتاب «حقوق النبي ﷺ على أمته» ، ص 155 – 160 .

اعلم رحمك الله أن الأخطاء التي وقعت من النبي ﷺ في الجانب التطـــبيقي لتعاليم الدين نادرة جدا ، ولو ذهبنا نستقرىء كتب السيرة والسنة لوجدناها معدودة على الأصابع ، وهذا من حكمة الله تعالى لإثبات أن النبي ﷺ بشر كغيره ، يخطئ كما يخطئون ، وينسى كما ينسون.

ولو استقرأنا أسباب الخطأ التي وقعت من النبي ﷺ لوجدناها ثلاثة:

الأول: خطأ عن سهو ونسيان

من أمثلة ذلك أنه ﷺ سهى مرةً في صلاته ، فصلى الظهر ركعتين ، فنبهه الصحابة ، فأتم صلاته ثم سجد للسهو.

فتبين من هذا أن النبي ﷺ عُرضة للخطأ بسبب السهو البشري ، وتبين أيضا أن الله قدَّر هذا السهو لحكمة عظيمة ، وهي أن يتعلم المصلي ما عليه أن يفعل إذا سهى في صلاته.[1]

الثاني: خطأ عن اجتهاد

قد يحصل الخطأ من النبي ﷺ عن اجتهاد منه وليس عن تعمد للخطأ ، حاشاه من ذلك ، ومن ذلك أنه أذن لطائفة من المنافقين في التخلف عن غزوة تبوك ، ولم يكن له أن يأذن لهم إلا بوحي من الله ، فعاتبه الله في ذلك بقوله ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾[2].

[1] انظر «منهاج السنة النبوية» (472/1).

[2] سورة التوبة: 43 .

وكذلك لما أخذ الفدية من أُسارى بدر ، وقد كان الأولى ألا يفعل ذلك حتى يؤمر به ، فأنزل الله تعالى ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾[1] .

وكذلك الخطأ في المسائل القضائية لمعرفة الظالم من المظلوم فهي ممكنة في حقه ﷺ ، لأن النبي ﷺ بشر ، لا يعلم الغيب ، وإنما يقضي بناء على اجتهاده اعتمادا ما سمعه من حجج المتخاصمين ، وشهادة الشهود ، ويمين الحالف ، وقد بين النبي ﷺ إمكانية وقوع الخطأ منه في القضاء في قوله: إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلي ، ولعل بعضكم أن يكون ألحنَ[2] بحجته من بعض ، فأقضي على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق أخيه شيئا فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار.[3]

الثالث: وقوعٌ في الصغائر

قد يقع النبي ﷺ في شيء من الصغائر ، فهو بشر ، والبشر يقع الخطأ منهم ، ولكنه لا يُصر عليها ، ومن ذلك أن عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه أتى النبي ﷺ ليسأله فألح عليه ، وكان النبي ﷺ يخاطب بعض رؤوس قريش ممن يطمع في إسلامهم ، فعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على أولئك ، فعاتبه الله في القرآن في قوله ﴿عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى﴾.

---

[1] سورة الأنفال: 67 – 68 .

[2] اللحن هو الميل عن جهة الاستقامة ، والمقصود أن بعض الناس يلحن بكلامه فلا يفطن له القاضي فيقضِي له ، وهو كاذب في نفس الأمر. انظر «النهاية».

[3] خرجه البخاري (7169) ، ومسلم (1713) عن أم سلمة رضي الله عنها.

تفصيل في النوع الثاني من الخطأ وهو الخطأ في الأمور الدنيوية البحتة

الخطأ في الأمور الدنيوية البحتة التي لا تمس الدين والسلوك ممكن في حقه ﷺ ، لأنه بشر مثلهم ، ومن ذلك أنه لما قدم المدينة وجدهم يُلقِّحون النخل ، فقال: (لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا) ، فتركوا تلقيح النخل ، فنقص الثمر ، فذكروا ذلك له ، فقال: إنما أنا بشر ، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر.[1]

فصل

مع هذا التقرير في مسألة أنواع الخطأ التي يمكن صدورها من النبي ﷺ فإنه ينبغي أن تُعلم خمسة أمور:

الأول: أن النبي ﷺ معصوم من الخطأ في مسألة تبليغ الوحي.[2]

الثاني: أن التوبة حاصلة من النبي ﷺ من الذنب بخصوصه ، ومن جميع الذنوب والخطايا عموما ، فقد كان النبي ﷺ يستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة.[3]

الثالث: أن الله وعده بالمغفرة ، كما في قوله ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾[4].

الرابع: أن تلك الأخطاء لا تحط من قدره كنبي ، ولا تُنقِص من منزلته وأمانته.

---

[1] خرجه مسلم (2362) والطبراني في «الكبير» (280/4) عن رافع بن خديج ، ولفظ الطبراني: وإذا أمرتكم بشيء من دنياكم ... الحديث.

[2] وانظر «مجموع الفتاوى» (319/4).

[3] انظر صحيح البخاري (6307).

[4] سورة الفتح: 2 .

الخامس: أن هذا القول الذي ذكرناه في مسألة الخطأ منه عليه الصلاة والسلام هو القول الوسط الذي عليه أهل السنة ، وهو وسط بين قول أهل الإفراط وأهل التفريط ، أهل الإفراط –كالرافضة – الذين يقولون بعصمة النبي ﷺ عصمة مطلقة ، وأنه لا يخطيء البتة ، وهذا فيه نوع غُـلُو به عليه الصلاة والسلام.

والنوع الثاني هم أهل التفريط – كبعض فرق الخوارج – الذين يقولون بجواز إقدامه ﷺ على الصغائر والكبائر ، عافانا الله من كلا القولين.[1]

[1] بتصرف من «حقوق النبي ﷺ على أمته» ، ص 159 – 160 .

حقوق النبي ﷺ السبعة عشر على الأمة

الإيمان بالنبي ﷺ يقتضي القيام بحقوقه ، وهي سبعة عشر حقا ، وهي كالتالي على سبيل الإجمال:

١. تصديقه فيما أخبر

٢. طاعته فيما أمر

٣. اجتناب ما نهى عنه وزجر

٤. أن لا يعبد الله إلا بما شرع

٥. التحاكم لشريعته

٦. تعظيم سنته

٧. مجانبة أهل البدع ، الراغبين عن سنته

٨. الدعوة إلى دينه

٩. الذب عن دينه

١٠. محبته

١١. توقيره

١٢. الذب عن ذاته

١٣. الأدب معه حيا وميتا

١٤. الدعاء له ، ويتضمن الصلاة والسلام عليه

١٥. توقير صحابته

١٦. توقير زوجاته

١٧. توقير آل بيته

والقيام بحقوق النبي ﷺ هو المعبر عنه في الحديث النبوي بالنصيحة للنبي ﷺ ، والذي جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: الدين النصيحة.

قلنا: لمن؟

قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.[1]

قال النووي رحمه الله ملخصا كلام بعض العلماء في معنى النصيحة للنبي ﷺ :

وأما النصيحة لرسول الله ﷺ ؛ فتصديقه على الرسالة ، والإيمان بجميع ما جاء به ، وطاعته في أمره ونهيه ، ونصرته حياً وميتاً ، ومعاداة من عاداه ، وموالاة من والاه ، وإعظام حقه وتوقيره ، وإحياء طريقته وسنته ، وبث دعوته ، ونشر شريعته ، ونفي التهمة عنها ، واستثارة علومها ، والتفقه في معانيها ، والدعاء إليها ، والتلطف في تعلمها وتعليمها ، وإعظامها وإجلالها ، والتأدب عند قراءاتها ، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم ، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها ، والتخلق بأخلاقه ، والتأدب بآدابه ، ومحبة أهل بيته وأصحابه ، ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك.[2]

وقال القاضي عياض في شرح حديث تميم الداري مبينا معنى النصيحة للنبي ﷺ :

---

[1] رواه مسلم عن تميم الداري (٥٥).

[2] شرح النووي على صحيح مسلم.

النصيحة لرسوله ؛ التصديق بنبوته ، وطاعته فيما أمر به ونها عنه ، ونصرته حيا وميتا ، ومعاداة من عاداه ، ومحاربة من حاربه ، وبذل النفوس والأموال دونه في حياته ، وإحياء سنته بعد موته ، بالبحث عنها ، والتفقه فيها ، والذب عنها ، ونشرها ، والدعاء إليها ، والتخلق بأخلاقه الكريمة ، والتأدب بآدابه الجميلة ، وتوقيره ، وتعظيمه ، ومحبة آل بيته وأصحابه ، ومجانبة من ابتدع في سنته.[١]

[١] «إكمال المعلم» (٣٠٧/١) للقاضي عياض ، تحقيق يحيى إسماعيل ، الناشر: دار الوفاء – مصر.

الحق الأول: تصديقه فيما أخبر

تصديق النبي ﷺ هو الباب الذي يدخل منه الداخل إلى دين الإسلام ، وهو شطر معنى الإيمان ، فإن الإيمان هو التصديق والانقياد.

وتصديقه ﷺ يتضمن ما جاء به من العقائد والشرائع والأخبار والآداب ، وأن ما جاء به من عند الله حق يجب اتباعه ، كما قال تعالى ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾.

وانظر إلى المنزلة العالية الرفيعة التي حازها أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي آمن بالنبي ﷺ حق الإيمان ، وصدقه حق التصديق ، ثم اتبعه على دينه ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى ؛ أصبح يتحدث الناس بذلك ، فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه ، وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه - ، فقالوا: هل لك إلى صاحبك ، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟

قال: أو قال ذلك؟

قال: نعم.

قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق.

قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟!

قال: نعم ، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة.

فلذلك سمي أبو بكر الصديق.[1]

---

[1] رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٢/٣) ، وصححه الذهبي.

وتصديق النبي ﷺ له فضل كبير ، قال تعالى: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * ذلك الفضل من الله وكفى بالله شهيدا).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن أهل الجنة يتراءيون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري[1] الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم.

قالوا: يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم.

قال: بلى والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا بالله **وصدقوا المرسلين**.[2]

وضد التصديق التكذيب والشك ، وكلاهما ناقض للتصديق ، عافانا الله من ذلك.

والنبي ﷺ معروف بالصدق حتى قبل بعثته ، وقد كان يسمى بالأمين ، فما علينا ألا نصدقه؟ والله أعلم.

[1] الدُّري هو النجم الشديد الإضاءة. انظر «فتح الباري».

[2] رواه البخاري (٣٢٥٦) ومسلم (٢٨٣١).

الحق الثاني: طاعته فيما أمر ، وفيه أحد عشر مبحثا

١. قَرن الله تعالى طاعته بطاعة رسوله ﷺ ، وأعلمَ خلقَه بأن من أطاع الرسول فقد أطاعه ، فقال تعالى ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾[1] ، ووجه ذلك أن الرسول ﷺ إنما جاء بهذا الدين من عند الله عز وجل ، فالرسول ﷺ إنما هو مبلغ عن الله ولم يأت بشيء من عند نفسه ، قال تعالى لنبيه ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾ الآية ، وقال ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير﴾ ، فهذه الآية تدل دلالة واضحة على أن النبي ﷺ تبرأ من أن يقول بتحريم شيء لم يحرمه الله عز وجل أصلا ، فقال ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي﴾.

٢. وقد ذكر الله تعالى طاعة الرسول ﷺ في ثلاث وثلاثين موضعا من القرآن[2] ، منها قوله ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[3] ، وقال ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾[4] ، وقال ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾[5]، وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.

---

[1] سورة النساء: ٨٠ .

[2] قال شيخ الإسلام رحمه الله: وقد أمر الله بطاعته في أكثر من ثلاثين موضعا من القرآن ، وقرن طاعته بطاعته ، وقرن بين مخالفته ومخالفته ، كما قرن بين اسمه واسمه ، فلا يذكر الله إلا ذكر معه. «مجموع الفتاوى» (١٠٣/١٩).
وهكذا قال الآجري في «الشريعة» ، ص ٤٩ .

[3] سورة الحشر: ٧ ، وهذه الآية تفيد أن الله تعالى أوجب في القرآن أخذ كل ما أتى به الرسول ﷺ جملة وتفصيلاً.

[4] سورة آل عمران: ٣٢ .

[5] سورة الأنفال: ٢٠ .

قال ابن القيم رحمه الله في هذه الآية:

أمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله ، وأعاد الفعل إعلاماً بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرضٍ ما أَمر به على الكتاب ، بل إذا أَمر وجبت طاعته مطلقاً ، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه ، فإنه أوتي الكتاب ومثله ومعه.

ولم يأمر[1] بطاعة أولي الأمر استقلالا ، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول ، إيذاناً بأنهم إنما يُطاعُون تبعاً لطاعة الرسول ، فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته ، ومن أمر منهم بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة ، كما صح عنه ﷺ أنه قال: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.[2]

وقال: إنما الطاعة في المعروف.[3] انتهى.[4]

٣. وأمر عند التنازع بالرد إلى الله والرسول ، أي الكتاب والسنة ، فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾[5].

---

[1] أي الله تعالى.

[2] رواه الطبراني في «الكبير» (١٧٠/١٨) عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

[3] رواه البخاري (٧٢٥٧) ، ومسلم (١٨٤٠) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومن الأدلة أيضا حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكرِه إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة. رواه البخاري (٧١٤٤) ، ومسلم (١٨٣٩) ، واللفظ لمسلم.

[4] «إعلام الموقعين» ، فصل في تحريم الإفتاء في دين الله بالرأي المتضمن لمخالفة النصوص.

[5] سورة النساء: ٥٩ .

قال ابن القيم رحمه الله: إن الناس أجمعوا أن الرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إليه نفسه في حياته ، وإلى سنته بعد وفاته.[1]

٤. وتواترت النصوص النبوية في الحث على اتباعه وطاعته ، والاهتداء بهديه والاستنان بسنته ، وتعظيم أمره ونهيه ، ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى.

قالوا: يا رسول الله ، ومن يأبى؟

قال: من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى.[2]

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله.[3]

وقال: إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم.[4]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

والذي نفسي بيده ، لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرَد على الله كشِراد[5] البعير.

قال: يا رسول الله ، ومن يأبى أن يدخل الجنة؟

قال: من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى.[6]

---

[1] «إعلام الموقعين» ، فصل في تحريم الإفتاء في دين الله بالرأي المتضمن لمخالفة النصوص.

[2] رواه البخاري (٧٢٨٠).

[3] رواه البخاري (٧١٣٧) ، ومسلم (١٨٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[4] رواه البخاري (٧٢٨٨) ، ومسلم (١٣٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[5] أي كما يشرد البعير إذا نفر وذهب عن صاحبه ، والمقصود بالشرود هنا الخروج عن طاعة الله.

[6] رواه ابن حبان (١/١٩٦ – ١٩٧) ، ورجاله رجال مسلم إلا خلف بن خليفة ، والحديث له شواهد تقويه كحديث أبي هريرة المتقدم ، وحديث أبي هريرة الذي رواه أحمد (٢/٣٦١) وغيره ، وسنده على شرط الشيخين كما قال الحافظ في «الفتح» ، شرح حديث (٧٢٨٠).

قال ابن حبان بعده: طاعة رسول الله ﷺ هي الانقياد لسنته ، مع رفض قولِ كل من قال شيئاً في دين الله جل وعلا بخلاف سنته ، دون الاحتيال في دفع السنن بالتأويلات المضمحلة والمخترعات الداحضة.[١]

وقال ﷺ : فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ... الحديث.[٢]

ففي هذا الحديث نرى أن النبي ﷺ أمر بالجِد في لزوم السنة ، فِعلَ من أمسك الشيء بين أضراسه ، التي هي في مؤخر الفم ، وعض عليه منعاً من أن يُنتزع ، وذلك أشد ما يكون من التمسك بالشيء ، إذ كان ما يُمسكه بأسنانه التي بمقاديم فمه أقرب تناولاً وأسهل انتزاعا.

وقد علَّم النبي ﷺ أصحابه أن يجيبوه إذا ناداهم ولو كان أحدهم في صلاة ، مما يدل على عِظم أمر إجابة أمر النبي ﷺ ، فعن أبي سعيد المعلى قال: كنت أصلي في المسجد ، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه ، فقلت: يا رسول الله ، إني كنت أصلي.

فقال ألم يقل الله ﴿استجيبوا لله والرسول إذا دعاكم﴾.[٣]

باختصار من حاشية الشيخ شعيب على الحديث أعلاه.

[١] المرجع السابق.

[٢] رواه ابن حبان (١٧٩/١) واللفظ له ، وأبو داود (٤٦٠٧) ، وابن ماجه (٤٢) ، والترمذي (٢٦٧٦) ، وأحمد (١٢٦/٤) ، وغيرهم كثير ، والحديث صححه الألباني رحمه الله.

[٣] رواه البخاري (٤٤٧٤).

٥. وقد أخبر الله تعالى أن جميع الرسل أمروا أقوامهم بطاعتهم ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾[١] ، ومن هذا قول نوح لقومه ﴿أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾[٢]، وهكذا قال غيره من الرسل.

٦. وطاعة الرسول سيسأل عنها الإنسان يوم القيامة ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾[٣].

فإن كان مطيعا للرسول فهذا ثوابه: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما﴾[٤] ، وقال تعالى ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾[٥].

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال: (يا قوم ، إني رأيت الجيش بعينيَّ ، وإني أنا النذير العُريان[٦] ، فالنجاء[٧]) ، فأطاعه طائفة من قومه ، فأدلجوا[٨] فانطلقوا على مهلهم فنَجَوا ، وكذَبت طائفة منهم فأصبحوا

---

[١] سورة النساء: ٦٤ .

[٢] سورة نوح: الآية ٣ .

[٣] سورة القصص: ٦٥ .

[٤] سورة النساء: ٦٩ — ٧٠ .

[٥] سورة النساء: ١٣ .

[٦] قال ابن كثير رحمه الله: أي الذي أعجله شدة ما عاين من الشر عن أن يلبِس عليه شيئا ، بل بادر إلى إنذار قومه قبل ذلك فجاءهم عُريانا مسرعا. «تفسير القرآن العظيم» ، سورة النجم ، آية ٥٧ .

[٧] أي: النجاة ، يحثهم عليها.

[٨] الدلجة هي السير بالليل.

مكانهم فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مَثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ، ومَثل من عصاني وكذَّب بما جئت به من الحق.[1]

وإن كان عاصيا لرسوله ندم وعض على يديه ، ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * يا ويلتىٰ ليتني لم أتخذ فلانا خليلا * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾[2] ، وعندئذ فهذا جزاؤه ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾[3].

٧. وطاعة الرسول ﷺ تكون باتباع ما جاء في سنته ، بالتأسي به في أقواله وأفعاله وأحواله ، فإن الأصل في أفعال النبي ﷺ وأقواله أنها للاتباع والتأسي ، قال الله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾[4].

قال ابن كثير رحمه الله: هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه عز وجل.[5]

ومن هذا قوله ﷺ : صلوا كما رأيتموني أصلي.[6]

---

[1] رواه البخاري (٦٤٨٢) ومسلم (٢٢٨٣).

[2] سورة الفرقان ٢٧ – ٢٩ .

[3] سورة النساء: ١٤ .

[4] سورة الأحزاب: ٢١ .

[5] «تفسير القرآن العظيم» ، تفسير الآية السابقة.

[6] رواه البخاري (٦٣١) عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

وقوله ﷺ : لتأخذوا عني مناسككم.[1]

وقال الحسن البصري رحمه الله: ليس الإيمان بالتمني والتحلي ، ولكنه ما وقر في القلوب ، وصدقته الأعمال.[2]

٨. واتباع النبي ﷺ وطاعته دليل على محبة الله تعالى ، يدل ذلك قول الله تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾[3] ، قال ابن تيمية رحمه الله:

ومما ينبغي التفطن له أن الله سبحانه قال في كتابه ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يُحببكم الله﴾ ، قال طائفة من السلف: ادعى قوم على عهد النبي ﷺ أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ الآية ، فبين سبحانه أن محبته توجب اتباع الرسول ﷺ ، وأن اتباع الرسول ﷺ يوجب محبة الله للعبد ، وهذه محبة امتحن الله بها أهل دعوى محبة الله ، فإن هذا الباب تكثر فيه الدعاوى والاشتباه.[4]

وقال ابن كثير رحمه الله: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية ، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) ، ولهذا قال ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ ، أي

---

[1] رواه مسلم (١٢٩٧) بلفظ: (لتأخذوا مناسككم) ، ورواه البيهقي في «الكبرى» (١٢٥/٥) بلفظ: خذوا عني مناسككم.

[2] رواه الخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم العمل» ، ص ٤٢ – ٤٣ .

[3] سورة آل عمران: ٣١ ، وقال ابن القيم إن هذه الآية تسمى آية المحبة. «مدارج السالكين» ، منزلة المحبة ، (٤٥٥/٣).

[4] «مجموع الفتاوى» (٨١/١٠).

يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم ، وهو أعظم من الأول ، كما قال بعض العلماء الحكماء: (ليس الشأن أن تُحِب ، إنما الشأن أن تُحَب).
وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله ، فابتلاهم الله بهذه الآية[1].[2]
انتهى كلامه.
ثم زاد الأمر تأكيدا وبيانا بأن أعقب آية اختبار المحبة بآية الأمر بطاعته وطاعة نبيه ﷺ ، فقال ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾.
وقال ابن القيم رحمه الله: ﴿يحببكم الله﴾ إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها ، فدليلها وعلامتها اتباع الرسول ، وفائدتها وثمرتها محبة المرسِل لكم ، فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة ، ومحبته لكم منتفية.[3]
وقال أيضا: ثباتها[4] إنما يكون بمتابعة الرسول في أعماله وأقواله وأخلاقه ، فبحسب هذا الاتباع يكون منشأ هذه المحبة وثباتها وقوتها ، وبحسب نقصانها يكون نقصانها ، كما تقدم أن هذا الاتباع يوجب المحبة والمحبوبية معا[5] ولا يتم الأمر إلا بهما ، فليس الشأن في أن تحب الله ، بل الشأن في أن يحبك الله ، ولا يحبك الله إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهرا وباطنا ، وصدَّقته خبرا ، وأطعته أمرا ، وأجبته دعوة ، وآثرته طوعا ، وفَنِيْتَ عن حُكمِ غيره بحكمه ، وعن محبة غيره

---

[1] أخرجه ابن جرير في تفسير الآية ، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٠٧٣).
[2] «تفسير القرآن العظيم» ، سورة آل عمران ، آية ٣١ .
[3] «مدارج السالكين» ، منزلة المحبة ، (٣/٤٥٥).
[4] أي محبة الله.
[5] أي أن تُحِب وأن تُحَب.

من الخلق بمحبته ، وعن طاعة غيره بطاعته ، وإن لم يكن ذلك فلا تَتَعَنَّ ، وارجع من حيث شئت فالتمس نورا ، فلست على شيء.[١]

(وهذه المنزلة والمكانة لأتباع الرسول ﷺ نابعة من كون هذا الاتباع إنما هو في الحقيقة إتباع لله ، إذ الرسول إنما جاء بهذا الدين من عند الله عز وجل ، فهو شرع الله ودينه الذي أوحاه لرسوله ﷺ ليبلغه للعباد ، فالرسول إنما هو مبلغ عن الله ، ولم يأت بشيء من عند نفسه ، قال تعالى ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾ الآية[٢]).[٣]

٩. وطاعة الرسول ﷺ فيها حياة الأرواح ، قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما **يحييكم** واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾[٤].

قال ابن القيم رحمه الله: الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ورسوله ، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له ، وإن كانت حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات.

فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله وللرسول ظاهرا وباطنا ، فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا ، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان ، ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول ﷺ ، فإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة ، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة ، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول ﷺ .[٥]

---

[١] «مدارج السالكين» ، منزلة المحبة ، (٤٨٤/٣ - ٤٨٥).

[٢] الآية الأخيرة من سورة الكهف.

[٣] «حقوق النبي ﷺ » ، ص ١٧٩ .

[٤] سورة الأنفال: ٢٤ .

[٥] «الفوائد» لابن القيم ، ص ١٤٠ .

ثم أعقب الله تعالى أمره بالاستجابة للرسول بالتحذير من عدم الاستجابة أو التثاقل عنها ، فقال ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ ، قال ابن القيم رحمه الله:

إنكم إن تثاقلتم عن الاستجابة وأبطأتم عنها فلا تأمنوا أن يحول الله بينكم وبين قلوبكم ، فلا يمكنكم بعد ذلك من الاستجابة ، عقوبة لكم بعد وضوح الحق واستبانته ، فيكون كقوله ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ ، وقوله ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ ، وقوله ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾ ، ففي الآية تحذير عن ترك الاستجابة بالقلب وإن استجاب بالجوارح.[١]

١٠. وقد بلغ السلف رحمهم الله – وعلى رأسهم الصحابة رضي الله عنهم – الغاية في طاعة النبي ﷺ ، فقد كانوا يدورون مع النصوص حيث دارت ، ويحكمون على الرجل بأنه على الطريق ما كان على الأثر ، فهذا أبو بكر رضي الله عنه قال: لست تاركا شيئا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به ، فإني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ.[٢]

ولله در الفاروق عمر رضي الله عنه حين قال: ... لا ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ.[٣]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما أنزلت على رسول الله ﷺ ﴿للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ به اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ

---

[١] «الفوائد» لابن القيم ، ص ١٤٤ ، بتصرف يسير جدا.

[٢] رواه البخاري (٣٠٩٣) ، ومسلم (١٧٥٩).

[٣] رواه أبو داود (١٨٨٧) وابن ماجه (٢٩٥٢) وأحمد (٤٥/١) ، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره. وقال الألباني: حسن صحيح.

وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، قال: فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الرُّكب فقالوا: أي رسول الله ، كلِّفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة ، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها.

قال رسول الله ﷺ : أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟

بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا إليك المصير.

قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

فلما اقترأها القوم ذلَّت بها ألسنتُهُم ، فأنزل الله في إثرها ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ باللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المصِيْر﴾.

فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى ، فأنزل الله عز وجل ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ * رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

قال[2]: نعم.

﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾.

قال: نعم.

﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾.

قال: نعم.

﴿وَاعفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾.

---

[1] سورة البقرة: ٢٨٤ .

[2] أي الله تعالى ، أي قد فعلت وأجبت دعائكم هذا ، تخفيفا من الله على عباده ، وهذا من بركة استسلامهم للأمر الإلهي أن نَسَخَ الآية الأولى بهذه الآية.

قال: نعم.[1]

قال ابن أبي العز الحنفي[2] رحمه الله: فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ ، والانقياد لأمره ، وتلقي خبره بالقبول والتصديق ، دون أن يعارضه بخيال باطل يسميه معقولاً ، أو يحمله شبهة أو شكاً ، أو يقدم عليه آراء الرجال ، وزبالة أذهانهم ، فيوحده ﷺ بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما نُوَحِّد المرْسِل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل.[3]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النَّبِي ﷺ: إن الله تعالى حــرم الخمر ، فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شيء فلا يشرب ولا يبع.

قال: فاستقبل الناس بما كان عندهم منها في طريق المدينة ، فسفكوها.[4]

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمر مناديا فنادى في الناس: (إن الله ورسوله ينهيانِكم

---

[1] رواه مسلم (١٢٥).

[2] هو الإمام العلامة صدر الدين ، أبو الحسن ، علي بن علي بن محمد ، الدمشقي ، من علماء المائة الثامنة ، تأثر بشيخ الإسلام وانتصاره على خصومه من أهل البدع ، كان يرى التقيد بالكتاب والسنة وعدم التعصب لمذهب ما ، له الكتاب المعروف «شرح العقيدة الطحاوية» وهو عمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة ، وله أيضا رسالة طيبة في الاتباع.

تعرض رحمه الله لمحنة في دينه بسبب تعليقة على أبيات فيها شرك ، فصبر على تلك المحنة وسجن وعُزر بسببها ، توفي رحمه الله سنة ٧٩٢ .

انظر ترجمته للمشايخ د. عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط ، وتقع في مقدمة تحقيق كتابه «شرح العقيدة الطحاوية».

[3] «شرح الطحاوية» لابن أبي العز (٢٢٨/١).

[4] رواه مسلم (١٥٧٨).

عن لحوم الحمر الأهلية) ؛ فأُكفئت القدورُ وإنها لتفور باللحم.[١]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل ، لما أنزل الله ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ شققن مُروطِهن[٢] فاختمرن بها.[٣]

وفي رواية: أخذن أُزُرَهن فشققنها من قِبَل الحواشي[٤] فاختمرن بها.[٥]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أرسل إلى رجل من الأنصار ، فجاء ورأسه يقطر ، فقال النبي ﷺ : لعلنا أعجلناك؟

قال: نعم.[٦]

فهذا كان في حال جماعه مع أهله ، فلما دعاه ﷺ استجاب له ولم ينتظر الإنزال ، فذهب واغتسل وسارع لنداء النبي ﷺ له.

وفي قصة الإفك ، لما قال مسطح ما قاله في عائشة ؛ حلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحاً بنافعةٍ أبداً ، فأنزل الله عز وجل ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين﴾ ، يعني مِسطحاً ، إلى قوله ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، والله غفور رحيم﴾.

فلما نزلت قال أبو بكر: بلى والله يا ربنا ، إنا لنحب أن تغفرَ لنا ، وعاد له بما كان يصنع.[٧]

---

[١] رواه البخاري (٤١٩٩).

[٢] المرط هو الكساء. انظر «النهاية».

[٣] رواه البخاري (٤٧٥٨).

[٤] الحواشي هي الأطراف.

[٥] رواه البخاري (٤٧٥٨).

[٦] رواه البخاري (١٨٠) مسلم (٣٤٥).

[٧] رواه البخاري (٤٧٥٧).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: استأذن الحُر لعيينة بن حصن ليدخل على عمر ، فأذِنَ له عمر ، فلما دخل قال: هَيْ يا ابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزْل[1] ، ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتى همَّ به.

فقال له الحُر: يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ ، وإن هذا من الجاهلين.

والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقَّافاً عند كتاب الله.[2]

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: شهِدت من المقداد بن الأسود مشهدا لَأن أكون صاحبه أحب إلي مما عُدِل به ، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين ، فقال: لا نقول كما قال قوم موسى ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا﴾ ، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك ، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره ، يعني قوله.[3]

وعن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ : لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنَّكم إليها.

قال: فقال بلال بن عبد الله بن عمر: والله لنمنعُهن.

قال: فأقبل عليه عبد الله فسبه سباً سيئاً ، ما سمعته سبه مثله قط ، وقال: أُخبرك عن رسول الله ﷺ ، وتقول: والله لنمنعهن؟![4]

---

[1] الجزْل أي الكثير. انظر «المعجم الوسيط».

[2] رواه البخاري (٤٦٤٢).

[3] رواه البخاري (٣٩٥٢).

[4] رواه مسلم (٤٤٢).

وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنهما أنه رأى رجلاً يخذِف[1] ، فقال له: لا تخذِف ، فإن رسول الله ﷺ نهى عن الخذْف ، أو كان يكره الخذف ، وقال: (إنه لا يُصاد به صيد ، ولا يُنكأ به عدو ، ولكنها قد تكسرُ السِّن ، وتَفْقأُ العين).

ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له: أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخذف أو كره الخذف وأنت تخذف؟! لا أكلمك كذا وكذا.[2]

وعن عطاء بن يسار أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه باع سِقاية[3] من ذهب أو ورِق[4] بأكثر من وزنـها ، فقال أبو الدرداء رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذا ، إلا مثلاً بمثل.

فقال له معاوية: ما أرى بمثل هذا بأساً.

فقال أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية ، أنا أخبره عن رسول الله ﷺ ، ويخبرني عن **رأيه** ، لا أساكنك بأرض أنت بها.

ثم قدم أبو الدرداء على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر ذلك له ، فكتب عمر بن الخطاب إلى معاوية أن لا تبيع ذلك إلا مثلا بمثل ، وزنا وزن.[5]

---

[1] الخذف هو رمي الحصا ، بأن تُجعل الحصاة بين سبابتين ويُرمى بها. انظر «النهاية».

[2] رواه البخاري (٥٤٧٩) ومسلم (١٩٥٤).

[3] السقاية إناء يشرب فيه. انظر «النهاية».

[4] الورِق هو الفضة.

[5] رواه مالك في «الموطأ» ، كتاب البيوع ، باب بيع الذهب بالفضة.

وقد بلغ عمر رضي الله عنه أن رجلاً يصوم الدهر ، فأتاه فَعَلاه بالدِّرَّة[1] وجعل يقول: كُلْ يا دهري.[2]

وقد سار التابعون على طريقة الصحابة في اتباعهم لأمر النبي ﷺ ، فقد قال الزهري: مِن الله الرسالة ، وعلى الرسول ﷺ البلاغ ، وعلينا التسليم.

وقال سهل بن عبد الله التستري: أصولنا ستة أشياء: التمسك بكتاب الله تعالى ، والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، واجتناب الآثام ، والتوبة ، وأداء الحقوق.

وقال: من كان اقتداؤه بالنبي ﷺ لم يكن في قلبه اختيار لشيء من الأشياء ، ولا يجول قلبه[3] سوى ما أحب الله ورسوله ﷺ.[4]

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي[5] رحمه الله في «العقيدة الطحاوية»: (ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام) ، أي لا يثبت العبد على دين الإسلام إلا بالتسليم

---

[1] «الدرة» اسم عصا لعمر رضي الله عنه ، علا بها الرجل فضربه بها.

[2] رواه ابن أبي شيبة (٩٥٥٦) ، كتاب الصيام ، باب من كره صوم الدهر ، وصححه ابن حجر كما في «فتح الباري» ، شرح حديث (١٩٧٧).

[3] أي لا يتجول في قلبه ويدر فيه.

[4] انظر «حلية الأولياء» (١٠/١٩٨).

وسهل التستري هذا قال فيه أبو نعيم قبل نقل كلامه أعلاه: عامة كلامه في تصفية الأعمال ، وتنقية الأحوال عن المعايب والأعلال.

[5] هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي ، مات سنة ٣٢١ . انظر «السير» (١٥/٢٧).

لنصوص الوحيين والانقياد إليها وعدم الاعتراض عليها بالرأي أو العقل أو القياس.[1]

١١. والأسباب المعينة على الطاعة كثيرة ، وأهمها ثلاثة:

الأول: اللجوء والتضرع إلى الله عز وجل بأن يعينه على طاعة النبي ﷺ ، وإظهار الافتقار له في ذلك.

من أعظم الأسباب المعينة للعبد على اتباع ما جاء به نبينا محمد ﷺ ؛ لجوء العبد إلى ربه وتضرعه بين يديه وإظهار الافتقار والحاجة إليه ، بأن يهديه إلى الصراط المستقيم ، ويعينه على العمل ، وهذا هو دعاء المسلم في صلاته دائما ، ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ ، ومن اشتبه عليه الحق أو أشكل عليه فهمه ، فلا يتفرد بفَهمٍ خاص ، بل عليه أن يدعُ ربه أن يهديه للحق ، كما كان يفعل النبي ﷺ ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان[2] إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، **اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك** ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.[3]

وكان من دعائه أيضاً: اللهم انفعني بما علمتني ، وعلِّمني ما ينفعني ، وزدني علماً.[4]

---

[1] وانظر شرح ابن أبي العز لعبارة الطحاوي رحمهما الله.

[2] أي النبي ﷺ .

[3] رواه مسلم (٧٧٠).

[4] رواه الترمذي (٣٥٩٩) وابن ماجه (٣٨٣٣) ، وصححه الألباني رحمه الله.

الثاني: تدبر آيات القرآن الكريم

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي[1] في تفسيره لقوله تعالى ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[2] أي: فهلا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله ، ويتأملونه حق التأمل ، فإنهم لو تدبروه لدلهم على كل خير ، ولحذرهم من كل شر ، ولملأ قلوبهم من الإيمان وأفئدتهم من الإيقان ، ولأوصلهم إلى المطالب العالية والمواهب الغالية ، ولبين لهم الطريق الموصلة إلى الله وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها ، والطريق الموصلة إلى العذاب ، وبأي شيء يُحذر ، ولعرّفهم بربهم وأسمائه وصفاته وإحسانه ، ولشوقهم إلى الثواب الجزيل ، ورهبهم من العقاب الوبيل.

﴿أم على قلوب أقفالها﴾ أي: قد أغلق ما فيها من الإعراض والغفلة والإعتراض ، وأقفلت فلا يدخلها خير أبداً ، هذا هو الواقع.

الثالث: صحبة طلبة العلم والعلماء وحضور مجالسهم والاستفادة من دروسهم العلمية

صحبة أهل السنة والجماعة المتمسكين بما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته من أعظم الأسباب التي تعين على الاتباع والاستمساك بالحق ، وذلك لأن الصاحب ساحب للمرء وقائد ، فالخليل يحمل صاحبه على ما هو عليه ، فإن كان صاحب سنة واتّباع ؛ حَمَله على

---

[1] هو الشيخ العلامة المفسر الفقيه عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي ، من فحول علماء نجد ، استوطن بلدة عنيزة من مدن القصيم ، ولد عام ١٣٠٧ وتوفي عام ١٣٧٦ هجري ، تتلمذ على يده عدد من الطلبة صاروا فيما بعد من علماء المسلمين ، كالشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل ، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام ، والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين وغيرهم ، رحمهم الله.
انظر ترجمته في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» ، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام رحمه الله.

[2] سورة محمد: ٢٤ .

ذلك ، وإن كان صاحب بدعة وفسوق حمله على ذلك ، قال رسول الله ﷺ : الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل.[١]

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير[٢] ، فحامل المسك إما أن يُحذِيك[٣] ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة.[٤]

ولذا استفاضت أقوال السلف في الحث على صحبة أهل الاتباع والسنة وترك صحبة سواهم ، ومما يدل على تأثير الصحبة ما قاله يوسف بن أسباط: كان أبي قدرياً ، وأخْوالي روافض ، فأنقذني الله بسفيان.[٥]

وعن أيوب قال: إن من سعادة الحدث[٦] والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة.[٧]

وعن ابن شوذب قال: إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك[٨] أن يواخي صاحب سنة يحمله عليها.[٩]

---

[١] رواه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[٢] نافخ الكير هو الحدَّاد.

[٣] يُحذيك أي يعطيك. انظر «النهاية».

[٤] رواه البخاري (٥٥٣٤) ومسلم (٢٦٢٨).

[٥] رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦٧/١).

[٦] الحدث هو الشاب في أول عمره. انظر «النهاية».

[٧] رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦٦/١).

[٨] أي إذا أقبل على العبادات وصار متمسكا بها.

[٩] رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦٧/١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا.[١]

ومن أقوال السلف في ذلك:

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: أغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ، ولا تكن الرابع فتهلك.[٢]

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: لا يزال الناس بخير ما بـقي الأول حتى **يتعلم** الآخر ، فإذا هلك الأول قبل أن **يتعلم** الآخر هلك الناس.[٣]

فائدة: قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وحق الله تعالى في الطاعة ستة أمور ؛ وهي الإخلاص في العـمل ، والنصيحة لله فيه ، ومتابعة الرسول فيه ، وشهود مشهد الإحسان فيه ، وشهود منة الله عليه ، وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله.[٤]

وانظر للفائدة أيضا ما قاله الشنقيطي رحمه الله في هذا الباب في كتابه «أضواء البيان» ، تفسير سورة محمد ، تفسير قوله تعالى ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ ، من عند قوله: (والحاصل أن نصوص الكتاب والسنة التي لا تُحصى واردة بإلزام جميع المكلفين بالعمل

---

[١] رواه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣).

[٢] رواه الدارمي في «سننه» ، باب في ذهاب العلم ، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٣٨٠).

[٣] رواه الدارمي في «سننه» ، باب في ذهاب العلم.

[٤] «إغاثة اللهفان» (٨٢/١) ، تحقيق محمد حامد الفقي رحمه الله.

بالكتاب وسنة رسوله ﷺ) إلى قوله: (بل أدلة الكتاب والسنة دالة على وجوب تدبر الوحي وتفهمه وتعلمه والعمل به بكل ما عُلِمَ منه علما صحيحا ، قليلا كان أو كثيرا).

الحق الثالث: اجتناب ما نهى عنه وزجر

ضد طاعة النبي ﷺ معصيته ، وقد جاء التحذير من الله عز وجل من معصية النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾[1]، وقال ﴿ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضل ضلالا مبينا﴾[2] ، وقال ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * ياويلتا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾[3]، وقال ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم * لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب عليم﴾[4] .

جاء في «الكشاف» عند تفسير هذه الآيات: أراد عز وجل أن يريهم عِظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله ﷺ بغير إذنه إذا كانوا معه على أمر جامع[5] ، فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله ، مع تصدير الجملة بـ «إنما» ، وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبراً

---

[1] سورة النساء: 14

[2] سورة الأحزاب: 36 .

[3] سورة الفرقان: 27 – 29 .

[4] سورة النور: 62 – 63 .

[5] سيأتي بيان المقصود من الأمر الجامع في كلام ابن كثير التالي إن شاء الله.

عنه بموصول[1] أحاطت صلته بذِكر الإيمانَين[2] ، ثم عقّبه بما يزيده توكيداً وتشديداً ، حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله ﴿إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾ ، وضمّنه شيئاً آخر ، وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمانين ، وعرَّض بالمنافقين وتسللهم لواذاً[3]. انتهى باختصار يسير.

وقال ابن كثير رحمه الله: وهذا أيضا أدبٌ أرشد الله عباده المؤمنين إليه ، فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول ؛ كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف ، لاسيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، من صلاة جمعة أو عيد جماعة أو اجتماع في مشورة ونحو ذلك ، أمرهم الله تعالى أن لا يتفرقوا عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته ، وإنَّ من يفعل ذلك فإنه من المؤمنين الكاملين.

ثم قال عند قوله ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾: أي عن أمر رسول الله ﷺ ، وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته ، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله ، فما وافق ذلك قُبل ، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله ، كائناً من كان ، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) ، أي فليحذر وليخشى من خالف شريعة الرسول ظاهرا وباطنا أن تصيبهم فتنة ، أي في قلوبهم ، من كفر أو نفاق أو بدعة ، أو يصيبهم عذاب أليم ، أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك. انتهى.

---

[1] وهو قوله ﴿الذين﴾.

[2] أي قوله ﴿أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾.

[3] أي يستر بعضهم بعضا ويروغ في خِيفة فيذهب ، قاله البغوي في «تفسيره».

وقال أيضا رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾ [1]:

وقوله ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى﴾ ؛ أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ ، فصار في شقٍّ والشرع في شق ، وذلك عن عمْد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له.

وقوله ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ ؛ هذا ملازم للصفة الأولى ، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع ، وقد تكون لما أجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما عُلِم اتفاقهم عليه تحقيقاً ، فإنه قد ضُمِنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفاً لهم وتعظيماً لنبيهم ، وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك.

ثم قال: ولهذا توعد تعالى على ذلك بقوله ﴿نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾ ، أي إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نُحسِّنها في صدره ونزينها له استدراجاً له ، كما قال تعالى ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ ، وقال تعالى ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ ، وقوله ﴿ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾.

وجعل النار مصيره في الآخرة ، لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلاَّ إلى النار يوم القيامة. انتهى كلامه رحمه الله.

وقد جاءت السنة كذلك في التحذير من معصية النبي ﷺ في قوله: إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم.[2]

---

[1] سورة النساء: 115 .

[2] تقدم تخريجه.

ومعصية النبي ﷺ سبب للعقوبة في الدنيا قبل الآخرة ، فقد ثبت من حديث سلمة بن الأكوع أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله ، فقال له: كل بيمينك ، قال: لا أستطيع ، فقال له ﷺ: لا استطعت ، ما منعه إلا الكِبر ، قال: فما رفعها إلى فيه.[1]

وعن أبي حميد الساعدي قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك ، فلما أتينا تبوك قال: أما إنها ستهبُّ ريحٌ شديدة ، فلا يقومن أحدٌ ، ومن كان معه بعير فليعقِلْه.

فعقلناها ، وهبَّت ريح شديدةٌ فقام رجل فألقته بجبل طَيْء.[2]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده ، وكان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال: (لا بأس ، طهور إن شاء الله) ، فقال له: لا بأس ، طهور إن شاء الله.

قال[3]: قلت: طهور؟ كلا ، بل هي حمى تفور – أو تثور – ، على شيخ كبير ، تُزيره القبور.

فقال النبي ﷺ : فنعم إذا.[4]

وعن سعيد بن المسيَّب بن حزْن عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال: ما اسمك؟

قال: حَزَن.

قال: أنت سهل.

قال: ما أنا بمغير اسماً سمانيه أبي.

قال ابن المسيَّب: فما زالت فينا الحزونة بعد.[5]

---

[1] رواه مسلم (2021).

[2] رواه البخاري (1482) ومسلم (1392).

[3] أي الأعرابي.

[4] رواه البخاري (3616).

[5] رواه البخاري (6190).

فصل في أنواع المعصية

ومعصية النبي ﷺ أربعة أنواع ، صغائر وكبائر وبدع وكفر.

فأما الكبيرة فهي كل ذنب ورد في حق فاعله لعنة أو غضب أو وعيد بالنار أو حد ، قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: وهذا أمثل الأقوال.[1]

وصاحب الكبيرة تحت المشيئة في الآخرة ، إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له ، فعلى هذا فينبغي الحذر من الوقوع في الكبائر ، قال تعالى ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما﴾.

ومن ذلك السرقة وشرب الخمر وأكل الربا والزنا وقطيعة الرحم ونحو ذلك ، فكل هذه ورد فيها إما حدٌّ في الدنيا أو نص على عقوبة في الآخرة أو كلاهما.

وأما الصغيرة فهي الذنب الذي لم يرد فيه حد في الدنيا ولا وعيد خاص في الآخرة.[2]

غير أنه ينبغي التنبيه إلى أن الصغيرة إذا استمر عليها الإنسان ولم يتب منها صارت كبيرة ، فعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: (إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه) ، وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة ، فحضر صنيع القوم ،

---

[1] انظر «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي ، (525/2) ، و «مجموع فتاوى ابن تيمية» (650/11) ، والجرجاني في كتابه «التعريفات».

[2] انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» (650/11 – 651) ، وعزا هذا القول لابن عباس وأبو عبيد القاسم بن سلام والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم ، وقال: هو أمثل الأقوال.

فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سوادا فأججوا نارا وأنضجوا ما قذفوا فيها)[1] ، ولهذا قالت العلماء: الإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة.[2]

وأما الكفر فهو ارتكاب شيء من نواقض الإسلام ، كعبادة غير الله ، من الأنبياء أو الصالحين أو قبورهم ، أو سب الله أو رسوله أو الدين ، أو الاستهزاء بشيء منها ، أو رد شيء معلوم من الدين بالضرورة كالإيمان بالله أو إنكار أن شرب الخمر حرام – مثلا ، أو اعتقاد أن غير هدي النبي ﷺ أفضل من هدي النبي ﷺ ، أو ارتكاب السحر ، أو مظاهرة الكافرين على المؤمنين رغبة في دينهم.

وموجبات الوقوع في الكفر كثيرة ، ذكرها الفقهاء في كتب الفقه في باب المرتد.

- **فصل في البدعة**

وأما البدعة ؛ فالابتداع لغة هو الاختراع والإحداث ، وشرعا هو إحداث عبادة أو اعتقاد في الدين لم تأت بها الشريعة.

والبدع تكون في الاعتقادات وتكون في الأعمال ، أي العبادات.

وسيأتي مزيد كلام في البدعة في الحق الرابع إن شاء الله.

ودوافع معصية النبي ﷺ – بأنواعها الأربعة المذكورة – لا تخرج عن ثلاثة: اتباع هوى النفس ، القول بالرأي ، التقليد الأعمى.

---

[1] رواه أحمد (402/1 – 403) ، وقال محققو «المسند»: حسن لغيره.

[2] قاله النووي في شرحه على صحيح مسلم ، شرح حديث رقم (87).

• فصل في اتباع الهوى

اتباع الهوى – أي هوى النفس – يقود إلى أنواع المعاصي الأربع كلها ، فإنه يقود إلى ارتكاب الصغائر ، كالنظرة الحرام مثلا ، ثم إذا أصر المرء على تلك الصغيرة ؛ اجتمعت تلك الصغائر فصارت كبيرة ، كما تقدم.

واتباع هوى النفس يقود أيضا إلى ارتكاب كبائر الذنوب كالزنا وآفات اللسان كالكذب والغيبة وأكل الربا وشرب الخمر والصلاة عند القبور وغير ذلك من الذنوب التي ورد في حقها الوعيد الشديد لمن ارتكبها.

واتباع الهوى يقود أيضا إلى الوقوع في البدع ، والابتداع هو فعل عبادات لم ترد في الكتاب ولا في السنة ، كالتسبيح الجماعي بعد الصلوات ، وصلاة الظهر بعد صلاة الجمعة ، والاحتفال بالمولد النبوي وليلة الإسراء والمعراج ، وغير ذلك من الأفعال التي يرتكبها بعض الناس لتقربه إلى الله ، وهي لا تزيده إلا بعدا ، لأنها لم يشرعها الله ، وقد سماها النبي ﷺ ضلالة ، كما في الحديث: كل بدعة ضلالة.[1]

كما أن هوى النفس يقود أيضا إلى الكفر ، فكم من إنسان يعرف أن دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يقبل الله دينا سواه ، ومع هذا يعرض عنه تقليدا لما كان عليه آباؤه وأجداده ، وهذا هو عين الانقياد لهوى النفس ، كما فعل أبو طالب عم النبي ﷺ لما رفض الدخول في دين الإسلام ، ليس بدافع كراهية الحق ، وإنما بدافع الخوف من ملامة قومه أو سبهم له ، فقال في «لاميته»:

ولقد علمت بأن دين محمد   من خير أديان البرية دينا

---

[1] سيأتي تخريجه ، وراجع للاستزادة كتاب «معجم البدع» لرائد صبري ، الناشر: دار العاصمة – الرياض.

لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

وقال فيه أيضًا:

لقد علِموا أن ابننا لا مُكذَّب لدَينا ولا يُعنى بقول الأباطل

ومن مظاهر الهوى ؛ الحسد ، وقد ردت اليهود دعوة النبي ﷺ حسدا للعرب لكون النبي ﷺ منهم ، وإلا فإنهم يعرفون أنه نبي من عند الله ، وصفته مذكورة في كتبهم ، ولكنهم كانوا يترقبون خروجه منهم — أي من اليهود - ، فلما خرج من العرب ردوا دعوته وكفروا بها حسدا من عند أنفسهم ، قال الله تعالى عنهم ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾.

ومن مظاهر الهوى ؛ الكبر ، ومن هذا إباء الشيطان أن يسجد لآدم لما أمره الله بذلك ، لكونه قد خُلِق من نار وخلق آدم من طين.

وربما كان هناك صور أخرى لاتباع الهوى توجد في مظانها.[1]

وقد جاء تحذير السلف رحمهم الله - من الصحابة والتابعين - من اتباع الهوى ، ومن ذلك ما قاله الشعبي: إنما سميت الأهواء لأنها تهوي بصاحبها في النار.[2]

قال أبو العالية: ما أدري أي النعمتين علي أعظم ؛ إذ أخرجني الله من الشرك إلى الإسلام ، أو عصمني في الإسلام أن يكون لي فيه هوى.[3]

---

[1] يراجع للاستزادة كتاب «اتباع الهوى ، خطره ، مظاهره ، علاجه» ، للدكتور سليمان الغصن ، الناشر: دار العاصمة — الرياض.

[2] رواه اللالكائي (229).

[3] رواه اللالكائي (230).

• فصل في القول بالرأي

المقصود بالرأي هو الرأي الباطل الغير مستند إلى دليل أو قياس صحيح ، وإنما مستنده ثلاثة أمور ؛ إما الإعجاب بالعقل ، ومن ثم تقديم ما يمليه عليه عقله على الدليل النقلي ، أو القياس الخاطئ ، أو الاستحسان والذوق.

فأما الإعجاب بالعقل فمن أمثلته أن رد بعض المعجبين بعقولهم حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه ، فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء.[1]

وآخر من علماء الجيولوجيا سألته شخصيا عن حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن ، فسودته خطايا بني آدم.[2]

فقال إن سبب سواده هو وجود مادة النيكل فيه ورد الحديث !!!

وآخر من علماء الجيوفيزياء أخبرني شخصيا بالوقت الذي تقوم فيه الساعة – بزعمه – بناء على حسابات رياضية!

وأما القياس الخاطئ فغالب من يقع فيه من لا يعرف ضوابط القياس الشرعي الصحيح فيخطئ الإجابة.

وأما مسألة الاستحسان والذوق فغالبه استحسان عبادات لم تأت في الشريعة ، وهي التي تعرف بالبدع ، ومن الأمثلة على ذلك أن ما رواه أنس بن مالك أن ثلاثة رهط[3] أتوا إلى بيوت أزواج النبي

---

[1] رواه البخاري (5782).

[2] رواه الترمذي (877) وقال: حديث ابن عباس حديث حسن صحيح.

[3] الرهط هم العدد من الرجال.

ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أُخبروا **كأنهم تقالُّوها**[1] ، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا.

وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.

فجاء إليهم رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني.[2]

وفي رواية مسلم: (لا آكل اللحم) بدلا من (أصوم ولا أفطر).

ولسان حال المبتدع أن الله لم يتم الدين ، أو أن النبي ﷺ لم يبلغه ، وأنه أعلم بدين الله من النبي ﷺ وصحابته ، وكل هذه الدعاوى الثلاث باطلة ، وسيأتي – قريبا إن شاء الله – ذكر بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية في الحث على الاعتصام بالقرآن والسنة والحذر من البدع التي ابتدعها من جاء بعد القرون الثلاثة المفضلة الأولى.

وقد جاء تحذير السلف رحمهم الله – من الصحابة والتابعين – من القول بالرأي ، فقد قال علي رضي الله عنه: لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه ، وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه.[3]

---

[1] وهذا موضع الشاهد.

[2] رواه البخاري (5063) ، ورواه مسلم (1401) بنحوه.

[3] رواه أبو داود رقم (162) وغيره ، وصححه الألباني رحمه الله ، وهو مروي عن عمر ، رواه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (479).

وروى الدارمي عن ابن عباس قال: من أحدث **رأيا** ليس في كتاب الله ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ ؛ لم يُدر ما هو عليه إذا لقي الله عز وجل.[1]

وكتب عمر بن عبد العزيز: إنه لا رأي لأحد في كتاب الله ، وإنما رأي الأئمة فيما لم ينزل فيه كتاب ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ ، ولا **رأي** لأحد في سنةٍ سنها رسول الله ﷺ .[2]

وعن عمر بن عبد العزيز قال: سن رسول الله وولاة الأمر بعده سننا ، الأخذ بها تصديق لكتاب الله ، واستكمال لطاعته ، وقوة على دين الله ، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ، ولا النظر في **رأي** من خالفها ، فمن اقتدى بما سنّوا اهتدى ، ومن استبصر بها تبصر ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً.[3]

وروى الدارمي عن أبي نضرة قال: لما قدم أبو سلمة البصرة أتيته أنا والحسن ، فقال للحسن: أنت الحسن؟ ما كان أحد بالبصرة أحب إلي لقاء منك ، وذلك أنه بلغني أنك تفتي **برأيك** ، **فلا تفت برأيك** إلا أن تكون سنة عن رسول الله ﷺ أو كتاب مُنَزل.[4]

ولقي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما جابر بن زيد في الطواف فقال: يا جابر ، إنك من فقهاء أهل البصرة ، وإنك سَتُستَفتى ، فلا تُفتِيَنَّ إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية ، فإنك إن فعلت غير

---

[1] رواه الدارمي في المقدمة ، باب الفتيا وما فيها من الشدة ، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» ، باب تغيير البدع.

[2] رواه الدارمي في المقدمة ، باب ما يتقا من تفسير حديث النبي ﷺ ، وذكره المروزي مختصرا عن بعض السلف عن عمر بن عبد العزيز في «تعظيم قدر الصلاة» (745).

[3] رواه الخطيب البغدادي في كتاب «الفقيه والمتفقه» ، باب القول في انه يجب اتباع ما سنّه أئمة السلف (455) ، و «الشريعة» للآجري (106/1) ، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (320/2).

[4] رواه الدارمي في المقدمة ، باب الفتيا وما فيها من الشدة.

ذلك فقد هلكت وأهلكت.[1]

وروى ابن عساكر عن أبي بصرة أن أبا سلمة – وهو قاضي المدينة وفقيهها – قدم البصرة ، فلما رأى الحسن قال له: من أنت؟ فقال: أنا الحسن بن أبي الحسن ، قال: ما كان بهذا المصر أحد أحب إلي أن ألقاه منك ، وذلك أنه بلغني أنك تفتي الناس ، فاتق الله يا حسن ، وافت الناس بما أقول لك ، وافتِهم بشيء من القرآن قد علِمته ، أو سنة ماضية قد بيَّنتها الصالحون والخلفاء ، وانظر **رأيك الذي هو رأيك فألقه.**[2]

وعن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله لا ينزِع العلم بعد إن أعطاكموه انتزاعاً ، ولكن ينتزِعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم ، فيبقى ناس جهال يُستفتون فيُفتون **برأيهم** ، فيَضلون ويُضلون.[3]

وروى سعيد بن منصور في «سننه» عن ابن أبي مليكة قال: سُئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن آية من كتاب الله عز وجل ، قال: أيةُ أرض تقلني ، أو أيةُ سماء تظلني ، أو أين أذهب وكيف أصنع إذا أنا قلت في آية من كتاب الله بغير ما أراد الله بها؟[4]

---

[1] رواه أبو نعيم في «الحلية» ، (102/3) ، والدارمي في سننه ، باب الفتيا وما فيها من الشدة ، والخطيب في كتاب «الفقيه والمتفقه» (490).

[2] «تاريخ دمشق» (306/29) ، الناشر: دار الفكر – بيروت.

[3] رواه البخاري (7307) ، ومسلم (2673) ، واللفظ للبخاري.

[4] ص 168 .

وروى البيهقي عن عبيد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: **اتقوا الرأي في** دينكم.[1]

وروى ابن عبد البر عن عمرو بن حريث قال: قال عمر رضي الله عنه: إياكم وأصحاب الرأي ، فإنهم أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها ، فقالوا **بالرأي** ، فضلوا وأضلوا.[2]

وبإسناده عن عبد الله قال: لا يأتي عليكم زمان إلا وهو شر من الذي قبله ، أما إني لا أقول أمير خير من أمير ، ولا عام أخصب من عام ، ولكن فقهاؤكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خلفا ، ويجيء قوم يقيسون الأمور **برأيهم**.[3]

وبإسناده عن ابن عباس قال: إنما هو كتاب الله وسنة رسوله ، فمن قال بعد ذلك **برأيه** فما أدري أفي حسناته يجد ذلك أم في سيئاته.[4]

وروى الدارمي في «سننه» بسنده عن الشعبي قال: ما جاءكم به هؤلاء من أصحاب رسول الله ﷺ فخذوا به ، وما كان من **رأيهم** فاطرحوه في الحُش[5].[6]

---

[1] «المدخل إلى السنن الكبرى» (210) ، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (210/2).

[2] «جامع بيان العلم وفضله» (211/2) ، وقد روي هذه الأثر بعدة أسانيد عن عمر ، قال عنها ابن القيم رحمه الله: وأسانيد هذه الآثار عن عمر في غاية الصحة. «إعلام الموقعين» ، فصل في تحريم الإفتاء في دين الله بالرأي ، (63/1).

[3] «جامع بيان العلم وفضله» (211/2).

[4] «جامع بيان العلم وفضله» (214/2).

[5] الحش هو مكان قضاء الحاجة. انظر «النهاية».

[6] المقدمة ، باب في كراهية أخذ الرأي.

• فصل في التقليد[1]

التقليد هو الدافع الثالث من دوافع مخالفة النبي ﷺ ، والتقليد هو الرجوع إلى قول بدون معرفة دليله ، ولا تمحيص لصحته ، وإنما انقياد أعمى لما كان عليه الآباء والأجداد ، أو العلماء والشيوخ ، وربما لهما معا.

والواجب هو اتباع النبي ﷺ بالدليل الشرعي من الكتاب أو السنة أو كلاهما ، والتقليد الأعمى خلاف الاتباع.

والاتباع بالدليل وسط بين طرفين ، هما التقليد واتباع الرأي ، وبيان ذلك أن التقليد فيه تعطيل للعقل ، واتباع الرأي فيه تقديم العقل على النقل ، وأما الاتباع فهو تسليم العقل لما يمليه النقل ، المنزل من لدن الحكيم الخبير.

وخطورة التقليد تكمُن في اتباع قول باطل ، لعالم أو غير عالم ، وسواء في العقيدة أو الشريعة أو السلوك ، فيحصل بهذا الإثم ، وقد بلي بهذا كثير من المسلمين.

والتقليد لا يجوز إلا لواحد وهو النبي ﷺ ، وما سواه فلا يجوز تقليدهم إلا إذا كانوا مستندين على الدليل ، والله المستعان.

قال ابن تيمية رحمه الله:

والواجب على كل مسلم يشهد أن (لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) ؛ أن يكون أصل قصده توحيد الله ، بعبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله ، يدور على ذلك ويتّبعه أين وجده ، ويعلم

---

[1] عقد الشيخ الشنقيطي رحمه الله في كتابه «أضواء البيان» فصلا أصوليا مطولا في مسألة التقليد ، وذلك في تفسير سورة محمد عند تفسير قوله تعالى ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ ، من عند قوله: المسألة الثالثة في التقليد.

أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة ، فلا ينتصر لشخص انتصارا مطلقا عاما إلا لرسول الله ﷺ ، ولا لطائفة انتصارا مطلقا عاما إلا للصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، فإن الهدى يدور مع الرسول حيث دار ، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا ، فإذا أجمعوا لم يُجمعوا على خطأ قط ، بخلاف أصحاب عالم من العلماء ، فإنهم قد يُجمعون على خطأ ، بل كل قول قالوه ولم يقله غيرهم من الأمة لا يكون إلا خطأ ، فإن الدين الذي بعث الله به رسوله ليس مسلّما إلى عالم واحد وأصحابه ، ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظيرا لرسول الله ﷺ ، وهو شبيه بقول الرافضة في الإمام المعصوم.

ولا بد أن يكون الصحابة والتابعون يعرفون ذلك الحق الذي بعث الله به الرسول قبل وجود المتبوعين الذين تنسب إليهم المذاهب في الأصول والفروع ، ويمتنع أن يكون هؤلاء جاءوا بحق يخالف ما جاء به الرسول ، فإن كل ما خالف الرسول فهو باطل ، ويمتنع أن يكون أحدهم علِم من جهة الرسول ما يخالف الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، فإن أولئك لم يجتمعوا على ضلالة ، فلابد أن يكون قوله إن كان حقا مأخوذا عما جاء به الرسول ، موجودا فيمن قبله ، وكل قول قيل في دين الإسلام مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون – لم يقله أحد منهم بل قالوا خلافه – فإنه قول باطل. انتهى.[1]

وقال أحمد بن حنبل: من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة.[2]

قال ابن الجوزي رحمه الله:

---

[1] «منهاج السنة النبوية» (5/261 – 263).

[2] رواه ابن الجوزي عنه في كتابه «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» ، ص 249 .

(وفي التقليد إبطال منفعة العقل ، لأنه إنما خلق للتأمل والتدبر ، وقبيح بمن أُعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة.

واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظُم في قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر لما قال ، وهذا عين الضلال ، لأن النظر ينبغي أن يكون إلى القول لا إلى القائل ، كما قال علي عليه السلام[1] للحارث بن حوط وقد قال له: أتظن أنا نظن أن طلحة والزبير كانا على باطل؟

فقال له: يا حارث ، إنه ملبوس عليك ، إن الحق لا يعرف بالرجال ، إعرف الحق تعرف أهله.

وكان أحمد بن حنبل يقول: من ضِيق علم الرجل أن يقلد في اعتقاده رجلا.

ولهذا أخذ أحمد بن حنبل بقول زيد في الجد[2] وترك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه).[3]

فإن قال قائل: فالعوام لا يعرفون الدليل فكيف لا يقلدون؟

فالجواب: ينبغي للعامي أن يجتهد في اختيار العالم الذي يقلده ، فيختار شديد التمسك بالسنة ، الشديد الخوف من الله.

---

[1] الأولى أن يقال في حقه: رضي الله عنه ، أسوة بغيره من الصحابة ، أما تخصيصه بالتسليم فليس من هدي القرون الثلاثة المفضلة ، ولا يفعل هذا إلا الرافضة لأنهم يغلون فيه ويعظمونه بل يعبدونه ، ثم إن في هذا تشبيه له بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأما دعوى بعضهم أنه اختُصَّ بذلك لأنه لم يسجد لصنم قط فهذا لا يوجب تخصيصه بالسلام ، ثم إنه لم ينفرد بهذا عن باقي الصحابة ، ولهذا لم يخصه أصحاب السنن والمسانيد بالسلام بل ترضوا عنه كباقي الصحابة رضوان الله عليهم.

[2] أي في إسقاط الجد للورثة من إخوة وأخوات أو عدم إسقاطه.

[3] «تلبيس إبليس» ، ذكر تلبيس إبليس على أمتنا في العقائد والديانات ، ص 482 ، (الناشر: مدار الوطن للنشر – الرياض) ، باختصار يسير.

قال ابن عبد البر رحمه الله: إن العامة لابد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها ، لأنها لا تتبين موقع الحجة ولا تصل لعدم الفهم إلى علم ذلك ، لأن العلم درجات ، لا سبيل إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها ، وهذا هو الحائل بين العامة وبين طلب الحجة ، والله أعلم.

ولم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها ، وأنهم المرادون بقول الله عز وجل ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ ، وأجمعوا على أن الأعمى لا بد له من تقليد غيره ممن يثق بميزه بالقبلة[1] إذا أشكلت عليه ، فكذلك من لا علم له ولا بصر بمعنى ما يدين به ؛ لا بد له من تقليد عالمه.

وكذلك لم يختلف العلماء أن العامة لا يجوز لها الفتيا ، وذلك والله أعلم لجهلها بالمعاني التي منها يجوز التحليل والتحريم والقول في العلم.[2]

قال ابن تيمية رحمه الله: والذي عليه جماهير الأمة أن الاجتهاد جائز في الجملة ، والتقليد جائز في الجملة ، لا يوجبون الاجتهاد على كل أحد ويحرمون التقليد ، ولا يوجبون التقليد على كل أحد ويُحرِّمون الاجتهاد ، وأن الاجتهاد جائز للقادر على الاجتهاد ، والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد ، فأما القادر على الاجتهاد فهل يجوز له التقليد ؛ هذا فيه خلاف ، والصحيح أنه يجوز حيث عجز عن الاجتهاد ، إما لتكافؤ الأدلة ، وإما لضيق الوقت عن الاجتهاد ، وإما لعدم ظهور دليل له.[3]

قلت: ومن أمثلة التقليد الباطل في مسائل العقيدة مما هو كفر ؛ تقليد المجتمع في فعل عبادات شركية ، كدعاء أصحاب القبور والذبح لها.

---

[1] أي تمييزه ومعرفته للقبلة.

[2] «جامع بيان العلم وفضله» (989/2).

[3] «مجموع الفتاوى» (203/20-204).

ومن أمثلة التقليد الباطل في مسائل العقيدة – مما هو من البدع الغير مكفرة – تقليد المجتمع في بدعة المولد النبوي والصلاة عند القبور ، اعتقادا أن للصلاة عندها مزية وفضيلة فحسب ، وأما من قصد بصلاته التقرب لذلك الميت فهو مشرك قطعا.

ومن أمثلة التقليد الباطل في مسائل الشريعة تقليد المجتمع في صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة ، وابتداع أذكار وأدعية نبوية تقال بعد الصلوات لم ترد عن النبي ﷺ ولا عن صحابته.

وأكثر الذين يفعلونه ذلك يفعلونه بدافع التقليد الأعمى لمجتمعاتهم ، بدون بينة ولا برهان ، وربما لو بين لهم الحق لتركوا ما هم عليه.

والتقليد يجوز عند الضرورة ، في حق الرجل العامي الذي ليس عنده مقدرة على البحث عن الحق ، فمثل هذا يجوز في حقه أن يقلد أحد من أهل العلم الموثوق بعلمهم ودينهم في البلد ، المعروفين بالتمسك بالدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فمثل هؤلاء إذا وُجدوا فلا يجوز العدول عنهم إلى غيرهم.

وقال ابن القيم رحمه الله:

والمصنفون في السنة جمعوا بين فساد التقليد وإبطاله وبيان زلة العالم ليبينوا بذلك فساد التقليد ، وأن العالِم قد يزِل ولا بُد ، **إذ ليس بمعصوم** ، **فلا يجوز قبول كل ما يقوله** ويُنَزَّل قوله منزلة قول المعصوم ، فهذا الذي ذمّه كل عالم على وجه الأرض ، وحرّموه ، وذموا أهله ، وهو أصل بلاء المقلدين وفتنتهم ، فإنهم يقلدون العالم فيما زلّ فيه وفيما لم يزل فيه ، وليس لهم تمييز بين ذلك ، فيأخذون الدين بالخطأ ولابد ، فيُحِلون ما حرم الله ، ويحرمون ما أحل الله ، ويُشرِّعون ما لم يشرع ، ولا بدّ لهم من ذلك ، إذ كانت العصمة منتفية عمن قلدوه ، فالخطأ واقع منه ولابد.[1]

---

[1] «إعلام الموقعين» (169/2) ، ذكر تفصيل القول في التقليد وانقسامه.

وقال أيضا رحمه الله:

لا يستقر للعبد قدمٌ في الإسلام حتى يعقِد قلبه وسِره على أن الدين كله لله ، لا رب سواه ، ولا متبوع غيره ، وأن كلام غيره يُعرض على كلامه ، فإن وافقه قبلناه ، لا لأنه قاله ، بل لأنه أخبر به عن الله ورسوله ، وإن خالفه رددناه واطّرحناه ، ولا يعرض كلامه صلوات الله وسلامه عليه على آراء القياسيين ، ولا عقول الفلاسفة والمتكلمين ، ولا على سياسة الولاة الحاكمين والسلاطين ، ولا أذواق المتزهدين والمتعبدين ، بل تُعرض هذه كلها على ما جاء به عرض الدراهم المجهول حاملها على أخبر الناقدين ، فما حُكم بصحته منها فهو المقبول ، وما حُكم بِرَده فهو المردود ، والله الموفق للصواب.[1]

وقد جاء التحذير القرآني من التقليد الأعمى في قوله تعالى ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾.

كما جاء التحذير النبوي من التقليد الأعمى ، لكون ذلك سببا للزلل ، فإن خطورة التقليد كما تقدم تكمن في زلة العالم ، ثم قلده من قلده ، وفي التمسك بالأثر عصمة من الزلل بإذن الله ، فعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟

قال: قلت: لا.

قال: **يهدمه زلة العالم** ، وجدال المنافق بالكتاب ، وحكم الأئمة المضلين.[2]

ومن المعلوم أن المخُوف من زلة العالم **تقليده فيها** ، إذ لولا التقليد لما خيف من زلة العالم على غيره.

---

[1] «الصواعق المرسلة» ص 308 – 309 .

[2] رواه الدارمي في المقدمة ، باب في كراهية أخذ الرأي.

وأما آثار السلف في التحذير من التقليد فكثيرة جدا ، ومن ذلك ما قاله ابن عباس: ويل للأتباع من عثرات العالم.

قيل: كيف ذلك؟

قال: يقول العالم شيئا برأيه ، ثم يجد من هو أعلم برسول الله ﷺ منه ، فيترك قوله ذلك ثم يمضي الأتباع.[1]

وفيما يلي طائفة من كلام الأئمة الأربعة في التحذير من التقليد ، نقلت عامتها من مقدمة كتاب «صفة صلاة النبي ﷺ » للشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

أبو حنيفة النعمان رحمه الله

فأما أولهم وهو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله ؛ فقد روى عنه أصحابه أقولاً شتى وعبارات متنوعة ، كلها تؤدي إلى شيء واحد وهو: وجوب الأخذ بالحديث ، وترك تقليد آراء الأئمة المخالفة له ، فمن هذا قوله رحمه الله: إذا صح الحديث فهو مذهبي.[2]

وقال: لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه.[3]

وفي رواية: حرام على من لم يعرف دليلي أن يُفتي بكلامي.

وزاد في رواية: فإننا بشر ، نقول القول اليوم ، ونرجع عنه غداً.

---

[1] «جامع بيان العلم وفضله» (2/165 – 166).

[2] «حاشية ابن عابدين» (1/63) ، كما في «صفة الصلاة».

[3] «حاشية ابن عابدين» على البحر الرائق (6/293) ، كما في «صفة الصلاة».

وفي رواية أخرى: ويحك يا يعقوب[1] ، لا تكتب كل ما تسمع مني ، فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غداً ، وأرى الرأي غداً وأتركه بعد غد.

علق الألباني رحمه الله بقوله: وذلك لأن الإمام كثيراً ما يبني قوله على القياس ، فيبدو له قياس أقوى ، أو يبلغه حديث عن النبي ﷺ فيأخذ به ويترك قوله السابق.

وقال: إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول ﷺ ؛ فاتركوا قولي.[2]

مالك بن أنس رحمه الله

وأما الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقال:

إنما أنا بشر ، أخطئ وأصيب ، فانظروا في رأيي ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه.[3]

وقال: ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك ، إلا النبي ﷺ .[4]

---

[1] هو أبو يوسف ، من أجل أصحاب أبي حنيفة.

[2] ذكره الفلاني في «الإيقاظ» (ص 50) ، المطبعة المنيرية كما في «صفة الصلاة».

[3] رواه عنه ابن عبد البر في «الجامع» (622/1).

[4] قال الألباني في حاشيته على الأثر المذكور في مقدمة «صفة الصلاة»: نسبة هذا إلى مالك هو المشهور عند المتأخرين ، وصححه عنه ابن عبد الهادي في «إرشاد السالك» (227/1). اهـ.

قلت: وقد نقله الذهبي عنه في السير وهو مشهور عنه ، ولفظه: كل أحدٍ يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر ﷺ .

كما رواه ابن عبد البر في «جامعه» من عدة طرق عن مجاهد (118/2-119) ، ورواه أيضا عن الحكم بن عتيبة (118/2).

محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله

قال رحمه الله: ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزُبُ[1] عنه ، فمهما قلت من قول أو أصَّلتُ من أصلٍ فيه عن رسول الله ﷺ خلافَ ما قلتُ ؛ فالقول ما قال رسول الله ﷺ ، وهو قولي.[2]

وقال: أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ ؛ لم يحل له أن يدعها لقول أحد.[3]

وقال: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ ؛ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ، ودعوا ما قلت.[4]

وفي رواية: فاتبعوها ، ولا تلتفتوا إلى قول أحد.[5]

وقال: إذا صح الحديث فهو مذهبي.[6]

وقال: كل مسألة تكلمت فيها ، صح الخبر فيها عن النبي ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت ؛ فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي.[7]

---

[1] أي تغِيبُ عنه.

[2] رواه البيهقي بسنده إلى الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: فذكره. انظر «مناقب الشافعي» (474/1 – 475) (الناشر: مكتبة التراث – القاهرة).

[3] ذكره الفلاني في «الإيقاظ» (ص 68) كما في «صفة الصلاة».

[4] رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (224/1) ، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (389/1).

[5] رواه أبو نعيم في «الحلية» (114/9).

[6] ذكره الفلاني في «الإيقاظ» (ص 107) كما في «صفة الصلاة».

[7] رواه الهروي في «ذم الكلام وأهله» (389) ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة.

وقال: اشهدوا أني إذا صح عندي الحديث عن رسول الله ﷺ فلم آخذ به فإن عقلي قد ذهب.[1]

وقال: كلما قلت ، وكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح ؛ فحديث النبي ﷺ أولى ، ولا تقلدوني.[2]

وقال: كل حديث عن النبي ﷺ فهو قولي ، وإن لم تسمعوه مني.[3]

وقال أيضا: إذا صح عن رسول الله ﷺ حديث ، وقلت قولا ؛ فأنا راجع عن قولي ، قائل بذلك.[4]

أحمد بن حنبل رحمه الله

قال رحمه الله: لا تقلدني ، ولا تقلد مالكًا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري ، وخذ من حيث أخذوا.[5]

وفي رواية: لا تقلد في دينك أحداً من هؤلاء ، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به ، ثم التابعين بعدُ الرجل فيه مُخَيَّر[6].

وقال مرَّةً: الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء به النبي ﷺ وعن الصحابة ، ثم هو مِن بعد التابعين مخير.[7]

---

[1] رواه أبو نعيم في «الحلية» (113/9) ، وبنحوه رواه البيهقي في «المدخل» (225/1) ، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (388/1-389).

[2] رواه أبو نعيم في «الحلية» (113/9).

[3] رواه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي» ، ص 93 – 94 ، كما في «صفة الصلاة».

[4] رواه الهروي في «ذم الكلام وأهله» رقم (391) ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة.

[5] ذكره الفلاني في كتابه «الإيقاظ» (ص 113) نقلا من «صفة الصلاة».

[6] أي في المسائل الاجتهادية التي لم يرد فيها نص في الكتاب والسنة ، ولم يفتِ فيها الصحابة رضي الله عنهم ، فعندئذ يصح الرجوع إلى فتاوى التابعين.

[7] ذكرهما أبو داود في «مسائل الإمام أحمد» ، باب في الرأي ، الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

وقال: رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي سفيان كله رأي ، وهو عندي سواء ، وإنما الحجة في الآثار.[1]
وقال: من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة.[2]
وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى:
فالواجب على كل من بلغه أمر الرسول ﷺ أن يبينه للأمة ، وينصح لهم ، ويأمرهم باتباع أمره ، وإن خالف ذلك رأي عظيمٍ من الأمة ، فإن أمْر رسول الله ﷺ أحقُّ أن يعظم ويقتدى به مِن رأي معظَّمٍ قد خالف أمره في بعض الأشياء خطأً ، ومن هنا ردّ الصحابة ومن بعدهم على كل من خالف سنة صحيحة ، وربما أغلظوا في الرد ، لا بغضاً له ، بل هو محبوب عندهم معظم في نفوسهم ، لكن رسول الله ﷺ أحب إليهم ، وأمره فوق أمر كل مخلوق ، فإذا تعارض أمر الرسول ﷺ وأمر غيره ؛ فأمر الرسول ﷺ أولى أن يقدم ويتبع ، ولا يمنع من ذلك تعظيم من خالف أمره وإن كان مغفوراً له[3] ، بل ذلك المخالف المغفور له لا يكره أن يُخالَف أمره إذا ظهر أمر الرسول ﷺ بخلافه. انتهى.[4]
وقد كان السلف يعظمون أمر النبي ﷺ ويقدمونه ولو خالف أمر آبائهم وعلمائهم ، كما روى أبو

---

[1] رواه ابن عبد البر في «الجامع» (242/2).

[2] روى ذلك ابن الجوزي عنه في كتابه «مناقب أحمد» ، الباب الثاني والعشرون في ذكر تعظيمه لأهل السنة والنقل ، ص 249 ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: دار هجر للنشر والتوزيع.
كما عقد ابن الجوزي في الكتاب المذكور بابا ذكر فيه أقوالا للإمام أحمد في الحث على التمسك بالسنة والأثر ، فليراجعه من أراد الاستزادة.

[3] علق الألباني هنا فقال: بل هو مأجور ، لقوله ﷺ : إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد. رواه الشيخان وغيرهما. انظر «صفة الصلاة» ، ص 49 .

[4] نقله ابن رجب في تعليقه على «إيقاظ الهمم» ، ص 93 ، كما في «صفة الصلاة».

يعلى في «مسنده»[1] بإسناد جيد رجاله ثقات[2] عن سالم بن عبد الله بن عمر قال:

جلس رجل من أهل الشام إلى عبد الله بن عمر وأنا معه ، فقال له: يا أبا عبد الرحمٰن ، ما ترى في التمتع بالعمرة إلى الحج؟

فقال له عبد الله: حسن جميل لمن صنع ذلك.

فقال له الرجل: فإن أباك قد كان ينهى عنها.

فغضب عبد الله ثم قال: ويلك أرأيت إن كان أبي نهى عنها وكان رسول الله ﷺ عمل بها ، أمر رسول الله ﷺ تأخذ أم بأمر أبي؟

قال: لا ، بل بأمر رسول الله.

قال: فإن رسول الله ﷺ قد فعل ذلك ، فقم لشأنك.

قال الألباني رحمه الله: إسناد جيد ، رجاله ثقات.[3]

قال مقيده عفا الله عنه: وقد كان عمر ينهى عن المتعة ويأمر بالإفراد لئلا يهجر البيت خلال بقية العام ، لأن الناس إذا جمعوا بين الحج والعمرة في الحج هجروا العمرة خلال العام ، فنهى عمر عن التمتع وأمر بالإفراد حتى يضطر الناس للاعتمار خلال العام لمن أراد ذلك ، هذا رأيه رضي الله

---

[1] برقم (5451).

[2] قال هذا الشيخ الألباني رحمه الله.

[3] «صفة صلاة النبي ﷺ » ، ص 48 .

عنه[1] ، وخالفه ابنه عبد الله ، لأن هذا مخالف لسنة رسول الله ﷺ الفعلية ، فقد حج النبي ﷺ واعتمر لما حج حجة الوداع.

خلاصة

وخلاصة القول هو أن الواجب هو الاعتصام بالكتاب والسنة ، والحذر من معصية النبي ﷺ أيا كانت دوافعها ودواعيها ، فإن من اعتصم بالكتاب والسنة نجا ، ومن حاد عنهما هلك ، كما قال النبي ﷺ في مرض وفاته: خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما ؛ كتاب الله وسنتي.[2]

وسيأتي إن شاء الله ذكر بعض الآيات والأحاديث والآثار الواردة في باب «الاعتصام بالسنة والحذر من البدع في الحق الرابع» ؛ {وأن لا يعبد الله إلا بما شرع}.

---

[1] قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فالصحابة الذين استحبوا الإفراد – كعمر رضي الله عنه وغيره – إنما استحبوا أن يسافر سفرا آخر للعمرة ليكون للحج سفرا على حِدة وللعمرة سفرا على حِدة. «مجموع الفتاوى» (26/45-46).

[2] رواه الخطيب في «كتاب الفقيه والمتفقه» (1/274).

الحق الرابع: أن لا يُعبد الله تعالى إلا بما شرع ، وليس بالأهواء والبدع

من الأمور التي سار عليها السلف في طاعتهم واتباعهم للنبي ﷺ ؛ اتباع ما جاء في الكتاب والسنة والاعتصام بهما.

ومن الأمور التي سار عليها السلف كذلك محاربتهم للأهواء المتمثلة في **المعصية والتقليد والرأي والبدعة** ، فالسلف يعدون ذلك المربع مرضا خطيرا ، متى استشرى وانتشر في الأمة فإنه يفتك بعقيدتها وما هي عليه من الاتِّباع للسنة النبوية ، وقد تقدم الكلام في التحذير من الثلاثة الأول ، وفيما يلي جملة من الآيات والأحاديث والآثار الواردة عن السلف – من الصحابة والتابعين – في الحذر من البدع ، ولزوم الكتاب والسنة ، وقبل الشروع في ذلك فإنه يحسن الكلام على تعريف البدعة وحدِّها فأقول: البدعة لغة هي الاختراع ، يقال ابتدع فلان شيئا أي اخترعه ، وفي التنزيل ﴿بديع السماوات والأرض﴾[1] ، أي مخترعها وخالقها على غير مثال سابق.

وفي الشرع فإن الابتداع هو الإتيان بعبادة لم يأت نص من الكتاب والسنة بشرعيتها ، ومحلها الأمور الدينية ، فمن جاء بعبادة لم يتعبد بها النبي ﷺ ولا أصحابه فقد أتى ببدعة ، وأما الأمور الدنيوية من المخترعات والاكتشافات الحسية فليست داخلة في البدع.[2]

---

[1] سورة البقرة: ١١٧ .

[2] انظر «الاعتصام» للشاطبي رحمه الله ، الباب الأول في تعريف البدع وبيان معناها.

فصل في الأمر بالاعتصام بالسنة والحذر من البدعة

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم ، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال قائل: يا رسول الله ، كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟

قال: أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا مُجدَّعا[١] ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، **فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، فتمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ[٢] ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة.**[٣]

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد.[٤]

وفي رواية لمسلم: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد.[٥]

قال ابن رجب رحمه الله: هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام ، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها ، كما أن حديث (إنما الأعمال بالنيات)[٦] ميزان للأعمال في باطنها ، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب ؛ فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو

---

[١] أي مقطع الأطراف.

[٢] النواجذ آخر الاضراس ، ولكل إنسان أربع نواجذ.

[٣] رواه ابن حبان (١/١٧٩) واللفظ له ، وأبو داود (٤٦٠٧) ، وابن ماجه (٤٢) ، والترمذي (٢٦٧٦) ، وأحمد (٤/١٢٦ – ١٢٧) ، وغيرهم ، والحديث صححه الألباني رحمه الله.

[٤] رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).

[٥] رواه مسلم (١٧١٨) وأحمد (٦/١٤٦).

[٦] رواه البخاري (١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

مردود على عامله ، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء. انتهى.

وعن حذيفة بن اليمان قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت: يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر؟

قال: نعم.

قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟

قال: نعم ، وفيه دَخَن[1].

قلت: وما دخنه؟

قال: **قوم يهدون بغير هديي** ، تعرف منهم وتنكر.

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: نعم ، دعاة إلى أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها.

قلت: يا رسول الله ، صِفهم لنا.

فقال: هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا.

قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

---

[1] دخن أي فساد واختلاف. انظر «النهاية».

قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تَعَض بأصل شجرة ، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك.[١]

فصل في بيان حرص السلف على الاعتصام بالسنة والحذر من البدعة

وأما آثار السلف في باب الاعتصام بالسنة والحذر من البدع فكثيرة جدا ، ومن ذلك قول ابن سيرين: كانوا يرون أنه[٢] على الطريق مادام على الأثر[٣].[٤]

وقال سفيان قال: إنما الدين بالآثار.[٥]

وعن أبي الدرداء قال: إقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة ، إنك إن تتبع خير من أن تبتدع ، ولن تخطئ الطريق ما اتبعت الأثر.[٦]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم.[٧]

وعن إسماعيل بن عبيد الله يقول: ينبغي لنا أن نحفظ ما جاءنا عن رسول الله ﷺ ، فإن الله يقول ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ ، فهو عندنا بمنزلة القرآن.[٨]

---

[١] رواه البخاري (٣٦٠٦) ، ومسلم (١٨٤٧).

[٢] أي المرء.

[٣] المقصود بالأثر طريق النبي ﷺ وصحابته من بعده.

[٤] أخرجه ابن عبد البر في «جامعه» ، باب ما جاء في ذم القول في دين الله بالرأي ، (٢/٢١٦).

[٥] أخرجه ابن عبد البر في «جامعه» ، باب ما جاء في ذم القول في دين الله بالرأي ، (٢/٢١٧).

[٦] رواه المروزي في «السنة» ، برقم (٨٩).

[٧] رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (١٦) ، باب ما يكون بدعة ، والدارمي في باب كراهة أخذ الرأي (٢٠٩) ، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٢٠٤) ، والطبراني في الكبير (٩/١٥٤) ، وزاد: كل بدعة ضلالة.

[٨] رواه المروزي في «السنة» ، برقم (٩٠).

قال ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله»:

أهل البدع أجمع[١] **أضربوا عن السنن** ، وتأوّلوا الكتاب على غير ما بينت السنة ، فضلوا وأضلوا ، نعوذ بالله من الخذلان ، ونسأله التوفيق والعصمة برحمته ، وقد روي عن النبي ﷺ التحذير عن ذلك في غير ما أثر.[٢]

قال الأوزاعي: **ندور مع السنة** حيث دارت.[٣]

قال أبو مسعود الأنصاري: إن دين الله واحد ، وإياكم والتلون في دين الله.[٤]

وروى الخطيب البغدادي عن عثمان بن حاضر الأزدي قال: دخلت على ابن عباس فقلت: أوصني ، فقال: عليك بالإستقامة ، **اتبع ولا تبتدع.**[٥]

وروى الهروي في «ذم الكلام وأهله» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: يا أيها الناس ، إن الله بعث محمداً بالحق ، وأنزل عليه القرآن ، وفرض عليه الفرائض ، وأمره أن يعلم أمته ، فبلّغ رسالته ، ونصح لأمته ، وعلّمهم ما لم يكونوا يعلمون ، وبين لهم ما يجهلون ، فاتبِعوه **ولا تبتدعوا فقد كفيتم** ، كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة.[٦]

---

[١] أي كلهم ، بتسكين الجيم.

[٢] باب من تأول القرآن أو تدبره وهو جاهل بالسنة.

[٣] رواه اللالكائي برقم (٤٨).

[٤] رواه الحاكم في «المستدرك» (٥٠٧/٤).

[٥] انظر كتاب «الفقيه والمتفقه» ، باب القول في انه يجب اتباع ما سنّه أئمة السلف (٤٥٦) ، والدارمي في باب من هاب الفتيا ، ولفظه: نعم ، عليك بتقوى الله والاستقامة ، اتبع ولا تبتدع.

[٦] (١٦٥/٢) ، رقم (٢٤٧).

ورواه الطبراني مختصرا بلفظ: (**اتبعوا ولا تبتدعوا** فقد كفيتم ،كل بدعة ضلالة)[1] ، وكذا الدارمي[2].

وروى الهروي في «ذم الكلام وأهله» عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال: **إنا نتبع ولا نبتدع** ، ونقتدي ولا نبتدي ، ولن نضل ما تمسكنا بالآثار.[3]

وهو مروي عن ابن مسعود أيضا بلفظ: إنا نقتدي ولا نبتدي ، **ونتبع ولا نبتدع** ، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر.[4]

وعنه قال: الاقتصاد في **السنة** خير من الاجتهاد في **البدعة**.[5]

وعن ابن عباس رضي الله عنه: **عليكم بالاستقامة** واتباع الأمراء والأثر ، وإياكم **والتبدع**.[6]

وعنه قال: إن أبغض الأمور إلى الله **البدع**.[7]

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: **إياكم وما ابتُدع** ، فإن ما ابتُدع ضلالة.[8]

روى المروزي في «السنة» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول: خير الدين دين محمد ﷺ ، شر الأمور محدثاتها ، **اتبعوا ولا تبتدعوا** ، فإنكم لن تضلوا ما اتبعتم الأثر ، إن تتبعونا فقد

---

[1] انظر «المعجم الكبير» ، برقم (٩/١٥٤).

[2] انظر «السنن» ، كتاب المقدمة ، باب في كراهية أخذ الرأي ، ولفظه: اتبعوا ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم.

[3] (٢/٢٦٥) ، رقم (٣٣٧).

[4] أخرجه اللالكائي برقم (١٠٦).

[5] أخرجه اللالكائي برقم (١١٤) ، والدارمي في المقدمة ، باب في كراهية أخذ الرأي ، والحاكم في «المستدك» (١/١٠٣) ، والبيهقي (٣/١٩) ، والمروزي في «السنة» (٧٧).

[6] رواه المروزي في «السنة» (٧١) ، وأخرجه ابن وضاح في «البدع» في باب كل محدثة بدعة ولفظه: عليكم بالاستقامة واتباع والأثر ، وإياكم والتبدع.

[7] رواه البيهقي (٤/٣١٦) ، والمروزي في «السنة» (٧٢).

[8] رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/٤٦٠).

سبقناكم سبقا بعيدا ، وإن تخالفونا فقد ضللتم ضلالا كبيرا ، ما أحدثت أمة في دينها بدعة إلا رفع الله عنهم سنة هدى ثم لا تعود فيهم أبدا ، ولإن أرى في ناحية المسجد نارا تشتعل فيه احتراقا أحب إلي من أن أرى بدعة ليس فيه لها مُغَيِّر.[١]

وقال الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، والاقتداء بهم ، وترك البدع ، وكل بدعة فهي ضلالة ، وترك الخصومات ، والجلوس مع أصحاب الأهواء ، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين.

والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ ، والسنة تفسر القرآن ، وهي دلائل القرآن ، وليس في السنة قياس ، ولا تضرب لها الأمثال ، **ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء ، إنما هي الإتباع وترك الهوى.**[٢]

وروى محمد بن نصر المروزي في كتابه «تعظيم قدر الصلاة» عن حسان بن عطية قال: خمس كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين بإحسان: اتباع السنة ، ولزوم الجماعة ، وتلاوة القرآن ، والجهاد في سبيل الله.

قال أبو عبد الله[٣]: وأظن قال: وعمارة المساجد.[٤]

وروى أبو داود عن أبي رجاء عن أبي الصلت قال: كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدَر فكتب:

---

[١] برقم (٦٩).

[٢] «السنة» للالكائي (١/١٧٦).

[٣] هو المروزي نفسه.

[٤] باب أدلة الكتاب والسنة على أن الإيمان بالرسول عليه الصلاة والسلام إنما هو بتصديقه واتباع ما جاء به ، (٧٤٥).

أما بعد ؛ أوصيك بتقوى الله ، والاقتصاد في أمره ، **واتباع سنة نبيه ﷺ** ، **وترك ما أحدث المُحدِثون** بعد ما جرت به سنته وكُفوا مؤنته ، فعليك بلزوم السنة ، فإنها لك بإذن الله عصمة ، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها ، فإن السنة إنما سنَّها من قد عَلِم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحُمق والتعمق ، فارضَ لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم ، فإنهم على علم وقفوا ، وببصر نافذٍ كُفوا ، ولَهُم على كشف الأمور كانوا أقوى ، وبفضل ما كانوا فيه أولى ، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه ، ولئن قلتم إنما حدث بعدهم ؛ ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم ، فإنهم هم السابقون ، فقد تكلموا فيه بما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي ، فما دونهم من مُقْصر وما فوقهم من مُحْسر ، وقد قصَّر قوم دونهم فجفوا ، وطمح عنهم أقوام فغَلَوا ، وإنهم بين ذلك لعلي هدى مستقيم.[1]

قال في «عون المعبود» ما محصَّله أن السلف الصالحين قد حبسوا أنفسهم عن كشف ما لم يُحتج إلى كشفه من أمر الدين ، وكذلك كشَفوا ما احتيج إلى كشفه من أمر الدين كشفا لا مزيد عليه ، (وطمح عنهم أقوام فغلَوا) أي في الكشف ، أي شدَّدوا حتى جاوزوا فيه الحد ، فهؤلاء قد أفرطوا وأسرفوا في الكشف ، كما أن أولئك قد فرطوا وقتروا فيه.

(وإنهم) أي السلف (بين ذلك) أي بين القصر والطمح ، أي بين الإفراط والتفريط ، بل كانوا على طريق مستقيم ، وهو الاقتصاد والتوسط بين الإفراط والتفريط ، ليسوا بمفرطين كالقوم القاصرين دونهم ، ولا بمفرطين كالأقوام الطامحين عنهم. انتهى.

---

[1] رواه أبو داود (٤٦١٢) ، و «البدع والنهي عنها» ، باب كل محدثة بدعة ، (٧٧) ، ورواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» بنحوه عن عبد العزيز بن الماجشون ، باب ذكر ما تعلق به من أنكر المجادلة وإبطاله ، (٢/٥٥٥) ، والفظ لأبي داود.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما من عام إلا والناس يحيون فيه بدعة ويميتون فيه سنة ، حتى تحيا البدع وتموت السنن.[1]

ولما ذُكر لابن مسعود رضي الله عنه أن أناسا يُسبحون بالحصا في المسجد أتاهم ، وقد كَوَّم كل رجل منهم بين يديه كومة حصا ، فلم يزل يحصبهم بالحصا حتى أخرجهم من المسجد ثم قال: لقد أحدَثتم بدعة ظلما أو قد فَضُلتم أصحاب محمد ﷺ علما.[2]

---

[1] رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (٩٩) ، والمروزي في «السنة» (٨٧).

[2] رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (٢٢) ، باب ما يكون بدعة.

فصل في معالم الاعتصام بالسنة والحذر من البدع

معالم الاعتصام بالسنة والحذر من البدعة تتجلى بمعرفة عشرين مقدمة[1] :

١. **المقدمة الأولى:** أن دين الإسـلام مبني على أصلين عظيمين ؛ **الأول:** أن لا يُعبد إلا الله وحده ، وهو معنى شهادة ألا إلٰه إلا الله ، **والثاني:** أن لا يُعبد إلا بما شرع ، وهو مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله.

وارتكاب الشرك ضد الأصل الأول ، وارتكاب البدع ضد الأصل الثاني ، والله الهادي إلى سواء السبيل.

٢. **المقدمة الثانية:** أن العمل لا يكون مقبولا إلا إذا توافر فيه شرطان ؛ الأول أن يكون المقصود به وجه الله تعالى ، وضده الشرك بنوعيه ؛ الأكبر وهو التقرب للمخلوقين ، والأصغر وهو الرياء.

والشرط الثاني هو متابعة النبي ﷺ .

ودليل هٰذين الشرطين قوله تعالى ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾.[2]

---

[1] للأمانة العلمية ونسبة الفضل لأهله ؛ فقد استفدت بعض هذه المقدمات من كتاب «الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع» للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله.

[2] وانظر ما قاله الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» في تفسير قوله تعالى من سورة النحل ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾.

وانظر كذلك ما قاله في كتاب «الرحلة إلى أفريقيا» ، ص ٣٨ ، ٩٨ ، وهو كتاب يتضمن عدة محاضرات لفضيلته كانت مدونة في أشرطة ثم فرغت في الكتاب المذكور ، وهو من مطبوعات دار عالم الفوائد – مكة.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله في معنى قوله تعالى ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾[1] ؛ قال: أخلصه وأصوبه.

قالوا: يا أبا علي ، ما أخلصه وأصوبه؟

قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصًا لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة.[2]

٣. **المقدمة الثالثة:** لكي يكون الإنسان متأسيا بالنبي ﷺ في عبادته ، فعليه أن يلاحظ أمورا ستة:

أولا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في سببها ، فأي إنسان يتعبد لله بعبادة مبنية على سببٍ لم يثبت بالشرع فهي عبادة مردودة ، فلو أضاف إنسان صلاة سادسة غير الصلوات الخمس لكانت عبادته هذه مردودة لأن ليس لها سبب شرعي في الكتاب والسنة.

---

[1] سورة الملك: ٢ .

[2] رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩٨/٨) ، قال: حدثنا أبي ، ثنا محمد بن أحمد بن يزيد ومحمد بن جعفر قالا: ثنا إسماعيل ابن يزيد ، ثنا إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول:

الغبطة من الإيمان والحسد من النفاق ، والمؤمن يغبط ولا يحسد ، والمنافق يحسد ولا يغبط ، والمؤمن يستر ويعظ وينصح ، والفاجر يهتك ويعير ويفشي.

وسمعته يقول: قيل لسفيان بن عيينة: ويل لك إن لم يُعف عنك ، إذا كنت تزعم أنك تعرفه وأنت تعمل لغيره.

وسمعته يقول: كان يقال: لا يزال العبد بخير ما إذا قال قال لله ، وإذا عمل عمل لله.

سمعته يقول في قوله ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ ، قال: أخلصه وأصوبه ، فإنه إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ، حتى يكون خالصا ، والخالص إذا كان لله ، والصواب إذا كان على السنة.

وسمعته يقول: ترك العمل من أجل الناس هو الرياء ، والعمل من أجل الناس هو الشرك. انتهى مختصرا.

ودليل هذه الأصل قول الله تعالى ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ ، وقول النبي ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا[1] ما ليس منه فهو رد)[2].

وفي رواية: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد.[3]

قال الألباني رحمه الله: (أي من أحدث في الإسلام ما ليس في الإسلام في شيء ، ولم يشهد له أصل من أصوله ؛ فهو مردود ولا يلتفت إليه ، وهذا الحديث قاعدة من قواعد الدين الجليلة ، فينبغي حفظه وإشهاره في إبطال المحدثات والبدع).[4]

ثانيا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في **جنسها** ، فلو ضحى إنسانٌ بفرسٍ لم تقبل أضحيته ، لأنه مخالف للشريعة في جنسها ، لأن الأضحية لا تكون إلا من بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم.

ثالثا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في **قدرها** ، فلو أن إنسانا صلى الظهر ستا ، لكانت عبادته غير مقبولة ، لأنها مخالفة للشريعة في قدرها ، ولو طاف بالبيت ثمانية أشواط لكانت الشوط الإضافي مردود عليه غير مقبول.

رابعا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في **كيفيتها** (أي صفتها) ، فلو أن إنسانا توضأ ، لكنه غسل رجليه ثم مسح رأسه ، ثم غسل يديه ، ثم غسل وجهه ؛ فهذا وضوءه غير مقبول ، وبالتالي صلاته غير صحيحة ، لأنه خالف الشريعة في كيفية الوضوء الواردة عن النبي ﷺ .

---

[1] المقصود بالأمر هو الدين.

[2] تقدم تخريجه.

[3] تقدم تخريجه.

[4] حاشيته على «رياض الصالحين» ، حديث رقم (١٧٣).

خامسا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في **زمانها** ، فلو أن إنسانا صام صيام الفرض في شعبان أو في شوال ، وليس في رمضان ، أو صلى الظهر قبل الزوال ، فهذا صيامه غير صحيح ، وكذا صلاته ، لأنه خالف الشريعة في زمان العبادة المحددة لها من قبل الشارع الحكيم.

سادسا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في **مكانها** ، فلو أن حاجا وقف يوم عرفة بمزدلفة لم يصح وقوفه ، وعليه إعادة حجة ، لأن عبادته لم توافق الشرع في مكانها.

وكذلك لو أن إنسانا اعتكف في منزله فلا يصح اعتكافه ، لأن مكان الاعتكاف هو المسجد.

فهذه ستة أوصاف لا تتحقق متابعة النبي ﷺ إلا باجتماعها في العبادة: سببها ، جنسها ، قدرها ، كيفيتها ، زمانها ، مكانها.

٤. **المقدمة الرابعة:** أن السنة سُنَّتان ؛ سنة فعلية وسنة تركية ، فالفعلية هي ما فعله النبي ﷺ أو أمر به أو أقر عليه ، كالأذان للصلوات الخمس ، ففعله سنة نبوية.

وأما السنة التركية فهي ما تركه النبي ﷺ مع قيام المقتضي لذلك ، مثل ترك الأذان لصلاة العيدين وصلاة الجنازة ، فتركه سنة نبوية ، وعلى هذا فقس بقية العبادات.

٥. **المقدمة الخامسة:** أن الأصل في العبادات المنع إلا بدليل ، والأصل في العادات الحل إلا بدليل يدل على التحريم ، وهذا قاعدة هامة ، تساعد المسلم على استبصار الطريق فيما أشكل عليه ، فمثال القاعدة الأولى: لو قال رجل: دعونا نزيد في الصلوات المفروضة صلاة سادسة ، فهذا نقول له إن هذا الفعل بدعة لأنه لم يرد عن النبي ﷺ إلا خمس صلوات في اليوم والليلة.

وكذا لو قال رجل: إنه من المستحب أن يقول المصلي في دبر كل صلاة (الله حي) مائة مرة ؛ فهذا نقول له أين الدليل الشرعي؟ فهذه كتب الأذكار الواردة عن النبي ﷺ لم يرد فيها شيء من هذا ، فيكون فعله بدعة محدثة.

فالأصل في العبادات المنع إلا إذا ثبتت عن النبي ﷺ بدليل شرعي.

وأما القاعدة الثانية وهي أن الأصل في العادات الحل ، فمثلا لبـــس الطاقية ، فإنه من العادات ، فلو قال رجل إنه حرام لقلنا له أين الدليل؟ وهكذا الأمر في سائر العادات.

٦. **المقدمة السادسة:** أن التشريع حق الله وحده ، قال تعالى ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ ، وهذا استفهام بمعنى الإنكار ، أي ليس لأحد حق تشريع شيء في الدين لم يأذن به الله ، وعليه فمن ابتدع في دين الله ما ليس منه فقد جعل نفسه مشرعا مع الله ، كما أن مقتضى فعله أن النبي ﷺ لم يتم الرسالة ، وأنه – أي ذلك المبتدع – جاء ليُتم الشريعة ، وكل هذا باطل قطعا.

٧. **المقدمة السابعة** هي أن النبي ﷺ هو الواسطة الوحيدة لنقل الشريعة ، وقد نقل الشريعة كاملة ولم يكتم شيئا ، فقد روى الشيخان عن مسروق قال: كنت متكئا عند عائشة فقالت:

يا أبا عائشة ، ثلاثٌ من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية – وذَكَرَت منها – ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أُنزِل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾.[1]

---

[1] رواه البخاري (٤٨٥٥) ومسلم (٢٨٧ ، ١٧٧) ، واللفظ لمسلم.

وروى الشافعي في «مسنده» عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب مرسلا ، أن رسول الله ﷺ قال: ما تركت شيئا مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به ، ولا تركت شيئا مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه.[١]

٨. **المقدمة الثامنة** أن الشريعة كاملة ليس فيها نقص ، قال الله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ ، فالدين شامل كامل لا يحتاج إلى زيادة كما أنه لا يجوز فيه النقص ، ولهذا قال الله تعالى في وصف القرآن ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شيء﴾ ، فما من شيء يحتاج الناس إليه في معادهم ومعاشهم إلا بينه الله تعالى في كتابه ، إما نصًّا أو إيماءً أو منطوقاً أو مفهوماً.

وقال أبو ذر رضي الله عنه: لقد تركنا محمد ﷺ ، وما يُحرِّك طائر جناحيه في السماء إلا أذكَرَنا[٢] منه علما.[٣]

وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه: علمكم نبيكم كل شيء ، حتى الخِراءة[٤] ، فقال: أجل ، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول ، أو أن نستنجي باليمين ، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار ، أو أن نستنجي برجيعٍ[٥] أو عظمٍ.[٦]

---

[١] «مسند الشافعي» (٤١٣/٢) ، (الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة) ، ورواه البيهقي من طريقه في «السنن الكبرى» (٧٦/٧).

[٢] أي ذكر لنا.

[٣] رواه أحمد (١٥٣/٥) ، وقال محققو «المسند»: حديث حسن.

[٤] أي آداب قضاء الحاجة.

[٥] الرجيع هو روث الدابة.

[٦] رواه مسلم (٢٦٢).

فالابتداع يعدُّ تقدما بين يدي الله ورسوله ، وقد نهى الله عن ذلك ، قال الله تعالى ﴿يا أيها الَّذِينَ آمنوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يدي اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١] .

٩. **المقدمة التاسعة** أن النبي ﷺ كان يحذر من البدع دائما ، في كل خطبة وفي كل جمعة ، ويقول: أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة.[٢]

وفي لفظ: وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.[٣]

وهذا عام في كل البدع ، لأن النبي ﷺ عمم ولم يخصص ، وأطلق ولم يقيد ، وهو الذي أوتي جوامع الكلم ، فقوله: «كل بدعة» لفظة كلية عامة شاملة ، مُسوَّرة بأقوى أدوات الشمول والعموم «كل» ، والذي نطق بهذه الكلية يعلم مدلول هذا اللفظ ، وهو أفصح الخلق ، وأنصح الخلق للخلق ، لا يتلفظ إلا بشيء يقصد معناه.

وقد فهم الصحابة من نبيهم هذا الفهم ، فعن عبد الله بن مسعود قال: إنما هما اثنتان ؛ الهدي والكلام ، وأصدق الحديث كلام الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.[٤]

---

[١] سورة الحجرات: ١ .

[٢] رواه مسلم عن جابر (٨٦٦).

[٣] رواه النسائي في «الكبرى» (٥٨٦١) ، وهي لفظة صحيحة كما قال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» ، حاشية (١٢٨/١).

[٤] رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٧/٩).

١٠. **المقدمة العاشرة** أن العلم بالبدع أمر هام ، من جهة العلم بتعريفها وأنواعها ، لئلا يقع فيها الإنسان وهو لا يدري ، ويظن أنه يحسن عملا وأنها تقربه إلى الله ، وهي لا تزيده من الله إلا بعدا ، فيكون ممن قال الله فيهم ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ ، فتكون الحسرة يوم لا ينفع التحسر. وقد تفطَّن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه إلى هذا فقال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يُدركني.[١]

١١. **المقدمة الحادية عشرة** أن الناس في البدع ثمانية أقسام ؛

١. فمن الناس من اتبع الهدي النبوي ، وأنكر البدع ، وهم أهل الحق.
٢. ومنهم من اتبع الهدي النبوي ، ولم ينكر البدع.
٣. ومنهم من يحب الهدي النبوي ، ولكنه لم يفعله ، ولم ينكر البدع.
٤. ومنهم من لم يعرف الهدي النبوي ، وبالتالي لم يعرف قدره ، ولم ينكره.
٥. ومنهم من لم يحب الهدي النبوي ، ولم يبغضه.
٦. ومنهم من يحب البدع ، ويبغض الهدي النبوي ، عياذا بالله.
٧. ومنهم من لم يحب البدع ، ولم يبغضها.
٨. ومنهم من لم يعرف البدع ، وبالتالي لم ينكرها.

١٢. **المقدمة الثانية عشرة:** العلم بأن علماء المسلمين قد قاموا بالذود عن حياض الشريعة ، فنبهوا على البدع في كتب كثيرة ، وبينوا فيها قواعد البدع وأصولها وفروعها ، ومن أجود ما ألف في ذلك كتاب «الاعتصام» لأبي إسحاق الشاطبي رحمه الله.

---

[١] رواه البخاري (٣٦٠٦) ومسلم (١٨٤٧).

ومن أهل العلم من استقرأ البدع المنتشرة في الناس ، ونبه عليها ، وبين وجه مخالفته للهدي النبوي ، وهناك كتب كثيرة للمتقدمين ، من أشهرها كتاب «الحوادث والبدع» لأبي بكر الطرطوشي ، وكتاب «البدع والنهي عنها» لابن وضاح القرطبي ، وكتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» لأبي شامة المقدسي ، كما أن هناك كتبا عدة لبعض المتأخرين ، ككتاب «البدع الحولية» لعبد الله التويجري ، وكتاب «معجم البدع» لرائد صبري ، وغيرها من كتب أهل السنة.

١٣. **المقدمة الثالثة عشرة**: موارد البدع ستة:

١. الأحاديث الضعيفة.[1]

٢. والأحاديث الموضوعة ، أو التي لا أصل لها.

٣. والعادات أو العبادات المأخوذة من الكفار.

٤. وما نص على استحبابه بعض العلماء بدون دليل ، اجتهادا منهم واستحسانا ، فصارت عند الناس سنة متبعة ، وهذا مما يدخل في زلات العلماء.

٥. والغلو في العبادات.

٦. والعادات التي يستحسنها العامة والجهال من باب الذوق والاستحسان.

١٤. **المقدمة الرابعة عشرة**: البدع ليست متساوية في حكمها ، فبعضها يفضي إلى الكفر عياذا بالله ، ككثير من بدع العقائد ، وبعضها لا يفضي إلى الكفر ، ككثير من بدع العبادات ، وعلى

---

[1] قال ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (١٩١/١٩): وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا أنه بدعة ، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة ، وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها ، وإما لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم.

كل حال فالبدع فوق الكبيرة في المرتبة ، كما سيأتي بيانه ، وليس في البدع ما دون ذلك ، أو في مستوى المكروه أو الصغائر ، وما ذاك إلا لأن البدعة فيها تعدي على الشريعة بزيادة ، والزيادة تحريف ، ولا أظلم من ذلك.

وإثم البدع أعظم من إثم الكبيرة بكثير ، وبيان ذلك من عدة وجوه:

الأول: أن المبتدع يعتقد أنه على صواب فيما يرتكبه من عبادات محدثة ، أما فاعل الكبيرة – من سرقة أو زنا أو شرب خمر – فيعلم أنه مخطئ ، فربما أحدث هذا عنده انكسارا ، فيتوب ، فيتوب الله عليه.

الثاني: أن الابتداع يؤدي مع مرور الزمن إلى تغيير الدين ، لأنه يتطور ويتفرع ، أما الكبائر فالكل يعلم أنها مخالفة للدين ، وأنها ليست منه ، حتى أهل البدع أنفسهم.

الثالث: أن أهل البدع – في الغالب- يحاربون أهل السنة إذا نهوهم عن بدعهم ، وربما فسّقوهم أو كفروهم أو اتهموهم ، فيزدادون إثما على إثمهم . عياذا بالله ، أما أهل الكبائر فإنهم إذا جاءهم من يذكرهم بالله وعقابه فإنهم إما يقبلون النصيحة ويتوبون إلى الله ، وإما يردونها مع دعاء الله بأن يمن عليهم بالهداية ، والقليل من يخاصم من ينهاه عن كبيرته.

الرابع: أن إحياء البدع يؤدي إلى هدم السنن النبوية والبعد عنها ، كما قال أحد السلف: ما أحدث قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ، ثم لم يعدها إليهم إلى يوم القيامة.[١]

---

[١] رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» ، برقم (٩٣).

وحسبُك دليلا على خطر البدعة قول النبي ﷺ : إن الله حـــجب التوبة عن كل صاحب بدعة ، حتى يدع بدعته.[1]

١٥. **المقدمة الخامسة عشرة:** صغار البدع تكبر مع مرور الزمن وقلة المناصح فتصير كبارا ، قال الإمام البربهاري رحمه الله ، وهو من أصحاب الإمام أحمد رحمه الله ، توفي سنة ٣٢٩ هـ ، قال في كتابه «شرح السنة»:

واحذر صغار المحدثات من الأمور ، فإن صغار البدع تعود حتى تصير كبارا ، وكذلك كل بدعة أُحدثت في هذه الأمة كان أولها صغيرا يشبه الحق ، فاغتر بذلك من دخل فيها ، ثم لم يستطع الخروج منها ، فعظُمت وصارت دينا يدان به ، فخالف الصراط المستقيم ، فخرج من الإسلام.

فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلن ، ولا تدخُلن في شيء منه حتى تسأل وتنظر هل تكلم فيه أحد من أصحاب النبي ﷺ أو أحد من العلماء[2] ، فإن أصبت أثرا عنهم فتمسك به ولا تجاوزه لشيء ، ولا تختر فيه شيئا فتسقط في النار[3].

واعلم أن الخروج من الطريق على وجهين ؛ أما أحدهما ؛ فرجل قد زل عن الطريق وهو لا يريد إلا الخير ، فلا يُقتدى بزلته ، فإنه هالك.

---

[1] رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٤٢٠٢) ، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» ، وصححه الألباني رحمه الله انظر «صحيح الترغيب والترهيب» ، برقم ٥٤ ، و «الصحيحة» (١٦٢٠).

[2] أي العلماء المتبعين للحديث النبوي وآثار الصحابة ، الذين يقرِنون كلامهم **دائما** بالدليل.

[3] أي: ولا تختر على ما جاء عن السلف شيئا مما جاء به المتأخرون فتسقط في النار ، لأنك تكون قد اخترت المحدث على المأثور ، والبدعة على السنة.

وآخر عاند الحق وخالف من كان قبله من المتقين ، فهو ضال مضل ، شيطان مَرِيد في هذه الأمة ، حقيق على من يعرفه أن يَحذر الناس منه ، ويبين للناس قصته ، لئلا يقع أحد في بدعته ، فيهلك.
واعلم رحِمك الله أنه لا يتم إسلام عبد حتى يكون متبعا مصدِّقا مُسلِّما ، فمن زعم أنه قد بقي شيء من أمر الإسلام لم يكفوناه أصحاب رسول الله ﷺ فقد كذّبهم ، وكفى بهذا فُرقة وطعنا عليهم ، وهو مبتدع ضال مضل ، مُحدث في الإسلام ما ليس فيه.

١٦. **المقدمة السادسة عشرة**: قد أشكل على بعض الناس فهمَ حديثٍ وأثرٍ ، ففهموا منهما أن في البدع ما هو حسن ، فأما الحديث فهو حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ ، عليهم الصوف ، فرأى سوء حالهم ، قد أصابتهم حاجة ، فحث الناس على الصدقة ، فأبطئوا عنه ، حتى رؤى ذلك في وجهه ، قال: ثم إن رجلا من الأنصار جاء بصُرَّة[1] من وَرِق[2] ، ثم جاء آخر ، ثم تتابعوا ، حتى عُرِف السرور في وجهه ، فقال رسول الله ﷺ : من سن في الإسلام سنة حسنة ، فعُمل بها بعده ؛ كتب له مثل أجر من عمل بها ، ولا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعُمل بها بعده كُتِب عليه مثل وزر من عمل بها ، ولا ينقُص من أوزارهم شيء.[3]
وقد فهِم بعض الناس من قوله ﷺ : (من سن في الإسلام) ، أي من أحدث فيه ، ، والجواب عن هذا الظن من وجوه:
الأول: ما قاله ابن عثيمين رحمه الله في الجواب عن هذه الشبهة:

---

[1] الصُّرَّة هي ما يجمع فيه الشيء ثم يشد. انظر «المعجم الوسيط».
[2] الورِق هو الفضة.
[3] رواه مسلم (١٠١٧).

إن من قال (من سن في الإسلام سنة حسنة) هو القائل: (كل بدعة ضلالة) ولا يمكن أن يصدر عن الصادق المصدوق قول يكذب له قولاً آخر ، ولا يمكن أن يتناقض كلام رسول الله ﷺ أبداً ، ولا يمكن أن يرد على معنى واحد مع التناقض أبداً ، ومن ظن أن كلام الله تعالى أو كلام رسوله ﷺ متناقض فليعد النظر ، فإن هذا الظن صادر إما عن قصور منه ، وإما عن تقصير ، ولا يمكن أن يوجد في كلام الله تعالى أو كلام رسوله ﷺ تناقض أبداً.

وإذا كان كذلك فحديث (كل بدعة ضلالة) ليس مناقضا لحديث «من سن في الإسلام سنة حسنة» ، لأن النبي ﷺ قال: «من سن في الإسلام» ، والبدع ليست من الإسلام ، وقال «حسنة» والبدعة ليست بحسنة ، وفرق بين السن والتبديع.

وهناك جواب لا بأس به: أن معنى «من سن» أي من أحيا سنة كانت موجودة فعُدمت فأحياها ، وعلى هذا فيكون«السن» إضافياً نسبيّاً كما تكون البدعة إضافية نسبية لمن أحيا سنة بعد أن تركت.

وهناك **جواب ثالث** يدل له سبب الحديث وهو قصة النفر الذين وفدوا إلى النبي ﷺ ، وكانوا في حالة شديدة من الضيق ، فدعا النبي ﷺ إلى التبرع لهم ، فجاء رجل من الأنصار بيده صرة من فضة ، كادت تثقل يده فوضعها بين يدي الرسول ﷺ ، فجعل وجه النبي عليه الصلاة والسلام يتهلل من الفرح والسرور وقال: من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

فهنا يكون معنى السَّن هنا هو سن العمل تنفيذاً وليس سن العمل تشريعاً ، لأن التشريع ممنوع ، كما قال النبي ﷺ : كل بدعة ضلالة.[1] انتهى كلامه بتصرف يسير.

---

[1] قاله ابن عثيمين رحمه الله في الكتاب المشار إليه آنفا «الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع» ، بتصرف يسير.

الرابع: أن أحاديث النبي ﷺ يشهد بعضها بعضها لمعنى بعضها الآخر ، ويُفسر بعضها ما أشكل في بعضها الآخر ، وحديث أبي هريرة التالي يفسر حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا.[١]

وأما الأثر الذي أساء فهمه بعض الناس فهو ما رواه البخاري بسنده إلى عبد الرحمٰن بن عبد القارئ أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد ، فإذا الناس أوزاعٌ[٢] متفرقون ، يُصلي الرجل لنفسه ويُصلي الرجل فيُصلي بصلاته الرَّهط[٣] ، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أُبي بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم.

قال عمر: نِعم البدعة هذه.[٤]

والأثر ليس فيه إشكال إذا عرفنا أربعة أمور:

الأول: أننا نعلم علم اليقين أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أشد الناس تعظيماً لكلام الله تعالى ورسوله ﷺ ، وكان مشهوراً بالوقوف على حدود الله تعالى.

---

[١] رواه مسلم (٢٦٧٤).

[٢] أوزاع أي متفرقون. انظر «النهاية».

[٣] الرهط هم الجماعة ما دون العشرة. انظر «النهاية».

[٤] رواه البخاري (٢٠١٠).

فعلى هذا فمن غير الممكن أن يخالف عمر كلام سيد البشر محمد ﷺ ، وأن يقول عن بدعة ما «نعمة البدعة» ، وتكون هذه البدعة هي التي أرادها رسول الله ﷺ بقوله: «كل بدعة ضلالة» ، بل حتما هي غير مرادة بقوله ذاك.

الثاني: أن صلاة التراويح سنّها النبي ﷺ بفِعله وقوله ، وفَعلها ثلاثة أيام جماعة في المسجد ، ثم تركها خشية أن تفرض عليهم ، ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ قام في الناس ثلاث ليال وتأخر عنهم في الليلة الرابعة ، فلما صلى بهم الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: أما بعد ، فإنه لم يخف علي مكانكم ، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها.

فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك.[1]

أي استمر الناس يصلون فرادى ، ثم كان الناس على ذلك في خلافة أبي بكر ، وصدرا من خلافة عمر[2] ، ثم ألهمه الله فعلها ، فسن قيام رمضان جماعة ، وقال (نعمت البدعة هذه).

الثالث: وبناء على ما تقدم ؛ فإن معنى قوله (بدعة) أي بالمعنى اللغوي ، وهي إحداث شيء قد تُرك ، لم يكن موجودا **قبيل إيجاده** ، وليس قصده المعنى الشرعي ، وهو إحداث عبادة ليس لها أصل في الكتاب والسنة ، ومن المعلوم أن القيام مع الإمام في صلاة التراويح عبادة شرعية ، وليست محدثة في عهد عمر ولا غيره ، كيف لا وقد قال النبي ﷺ : من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة.

---

[1] رواه البخاري (٢٠١٢) ، ومسلم (٧٦١).

[2] ذكر ذلك ابن شهاب ، كما في صحيح البخاري ، في أول كتاب صلاة التراويح.

قال ابن عثيمين رحمه الله: وسماها عمر رضي الله عنه بدعة باعتبار أن النبي ﷺ لما ترك القيام صار الناس متفرقين يقوم الرجل لنفسه ويقوم الرجل ومعه الرجل والرجل ومعه الرجلان والرهط والنفر في المسجد فرأى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه برأيه السديد الصائب أن يجمع الناس على إمام واحد فكان هذا الفعل بالنسبة لتفرق الناس من قبل بدعة فهي بدعة اعتبارية إضافية وليست بدعة مطلقة إنشائية. انتهى.

فبالنظر إلى أنها موافقة لفعل النبي ﷺ فهي سنة ، وبالنظر إلى ما كان عليه الأمر قبل إحيائها من جديد فهي محدثة ، ولهذا وصفها بالحسن ، وقد أحياها عمر لأنه يعلم أنها لن تفرض ، لأن الشريعة قد تمت بوفاة النبي ﷺ ، وكان إحياؤه لهذه السنة المباركة سنة أربعة عشر من الهجرة ، وهذا شيء ألهمه الله به.

قال ابن كثير رحمه الله: والبدعة على قسمين ، تارة تكون بدعة شرعية[1] ، كقوله (فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة) ، وتارة تكون بدعة لغوية ، كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن جمعه إياهم على صلاة التراويح واستمرارهم: نعمت البدعة هذه.

وقال القرطبي رحمه الله في قول النبي ﷺ (وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة):

يريد ما لم يوافق كتابا أو سنة أو عمل الصحابة رضي الله عنهم.[2]

رابعا: أنه من المعلوم أن للخلفاء الأربعة سنة متبعة ، كما قال النبي ﷺ : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ... الحديث.

---

[1] أي في الشرع.

[2] «الجامع لأحكام القرآن» ، تفسير سورة البقرة: ١١٨ .

فالتراويح ونحو ذلك لو لم تعلم دلالة النصوص الشرعية وأفعال النبي ﷺ عليها لكان أدنى أمرها أن تكون من سنة الخلفاء الراشدين ، فلا تكون من البدع الشرعية التي سماها النبي ﷺ بدعة ونهى عنها.[١]

وبهذا التقعيد لا يمكن أبدًا أن يجد أهل البدع من قول عمر هذا منفذاً لما استحسنوه من بدعهم.

١٧. **المقدمة السابعة عشرة: البدع تقع في العقائد وتقع في العبادات** ، وكلاهما خطير على دين المرء وآخرته ، قال تعالى ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ ، غير أن بدع العقائد أعظم خطرا من بدع الأعمال ، لأن العقيدة هي عمل القلب ، والقلب إذا صلُح بالعقيدة الصحيحة ؛ صلُح عمل الجوارح ، وإذا فسد القلب بالعقائد والبدع المحدثة ؛ فسد سائر عمل الجوارح وإن كثرت ، فاللهم سلِّم سلِّم.

فصل في بدع العقائد

والبدع الاعتقادية كثيرة ، وقد أخبر النبي ﷺ عن تفرق أمته في باب العقائد إلى ثلاث وسبعين فرقة ، حيث قال ﷺ : تفرقت اليهود على إحدى وسبعين — أو اثنتين وسبعين – فرقة ، والنصارى مثل ذلك ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.[٢]

---

[١] قال ذلك ابن تيمية رحمه الله كما في «الفتاوى» (٣٧/٣١).

[٢] رواه الترمذي (٢٦٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.
وفي الباب عن عوف بن مالك ، انظر «سنن ابن ماجه» (٣٩٩٢) ، وهو مخرج في «الصحيحة» (١٤٩٢).
وقد ورد الحديث بمعناه عن عدد من الصحابة ، انظر للتوسع «السلسلة الصحيحة» (٢٠٣ ، ٢٠٤).

فالحديث نص على افتراق الأمة إلى فرق وطوائف كثيرة كما حدث للأمم قبلها ، ولا يكون الافتراق إلا على عقائد ، لأن أساس تفرق اليهود والنصارى إلى فرق كثيرة كان تفرقا عقائديا ، لاسيما في باب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وقد حصل ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ من تفرق ، فبعد وفاة النبي ﷺ قام بعض أهل البدع بنشر بدعهم في الأمة.

فصل

وقد وقعت البدع في عامة مسائل العقيدة ، ففي باب أسماء الله وصفاته – مثلا – حرَّفت طوائف كالأشاعرة ما تضمنته أسماء الله وصفاته من معاني ، وبعض الطوائف جحدت أن يكون لتلك الأسماء والصفات معاني تدل عليها كالجهمية ، فنفوا عن الله صفة العلو مثلا ، وقالوا إن الله في كل مكان ، ثم اضطربوا ، فقالوا إن الله لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ، وقالوا أقوالا أخرى خبيثة ، وخالفوا الحق الذي عليه جميع الأنبياء من أن الله فوق السماء السابعة على عرشه.

ومما نفاة الجهمية عن الله تعالى صفة الكلام ، زاعمين أن هذا يقتضي التشبيه بين الله وخلقه ، فقالوا إن القرآن ليس كلام الله ، بل هو مخلوق من المخلوقات ، ولهم غير هذا من المقالات الباطلة.

وقد كفَّر السلف الجهمية الذين أتوا بهذه المقالات ، بل جاء تكفيرهم عن خمسمائة عالم من علماء السلف ، كما فنَّد أئمة الإسلام أقوالهم وردوا شبههم وأغاليطهم في كتب كثيرة.

وللفائدة فقد ألَّف فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله رسالة نفيسة في بيان ضوابط فهم السلف الصالح لأسماء الله الحسنى وصفاته العلى ، وأسماها «القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى».

والطوائف التي انحرفت في فهم أسماء الله وصفاته تسمى بمجموعها بأهل الكلام ، والعلم الذي يبحثون فيه يُسمى بعلم الكلام ، وهو العلم الذي يبحث في ذات الله وصفاته على طريقة الفلاسفة

وما توصَّلت إليه عقول البشر ، وليس من منطلق فهم السلف الصالح ، الذي قاعدته التسليم للكتاب والسنة ، وفهم النبي ﷺ وصحابته ، فهو لا يعدو عن كونه كلام البشر ، فسُمِّي بعلم الكلام ، وهو مذموم بلا شك.

وقد تنوعت عبارات السلف في التحذير من الكلام وأهله ، لما يفضي إليه من الانحراف في الفهم عن الطريق السّوي ، والوقوع في الشبهات والشكوك ، فقال الإمام أحمد رحمه الله: لا يُفلح صاحب كلام أبدا ، ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل[١].[٢]

وقال الشافعي رحمه الله: حُكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال ، ويُحملوا على الإبل ، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل ، وينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأقبل على الكلام.[٣]

وكلام السلف في ذم علم الكلام كثير جدا ، وقد ألف شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي كتابا ضخما بعنوان «ذم الكلام وأهله» ، فليراجعه من أراد التوسع.

وفي باب إفراد الله بالعبادة ظهرت طوائف غلت في بعض المخلوقين حتى عبدوهم ، ومن ذلك ما انتشر في عامة بلاد المسلمين – إلا من رحم الله — من عبادة أصحاب القبور ، والتوجه لهم بسائر

---

[١] الدغل هو الفساد. انظر «لسان العرب».

[٢] رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٧٩٦).

[٣] رواه البيهقي بإسناده عن الشافعي في كتابه «مناقب الشافعي» (٤٦٨/١) ، (الناشر: مكتبة دار التراث — مصر) ، وكذا ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٧٩٤).

أنواع العبادات من ذبح ودعاء وغير ذلك ، وأكثر من تلبس بهذا هم الشيعة ، وغلاة الصوفية ، وهذا من البدع الكفرية عياذا بالله.

والبدع الاعتقادية كثيرة ، وقد صنف أهل السنة مصنفات في أسماء الفرق التي انحرفت في العقيدة عن جادة السلف الصالح ، ومن ذلك كتاب «الملل والنحل» لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) ، وكتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم الأندلسي ، علي بن أحمد (ت ٤٥٦ هـ) ، ومن كتب المتأخرين فقد قامت الندوة العالمية للشباب الإسلامي بعمل موسوعة علمية في الأديان والفرق المنتسبة للإسلام والتي لا تنتسب للإسلام ، ووسموها «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة» ، فليرجع لهذه الكتب ونحوها من أراد التوسع.

فصل في بدع العبادات

وأما الابتداع في جانب العبادات فبحر لا ساحل له ، فلا تكاد تجد عبادة واردة عن النبي ﷺ إلا وأضاف عليها بعض الناس زيادة من عندهم ، وربما استحدثوا عبادة ليس لها أصل في الشريعة إطلاقا ، وبعضها أُخِذت من الكفار ، فأدخلوها في المسلمين من باب الذوق والاستحسان ، كبدعة الاحتفال بالمولد النبوي ، وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله.

ومن البدع المتعلقة بالصلاة بدعة التلفظ بالنية قبل الصلاة ، فهذه لم ترد عن النبي ﷺ ، بل استحسنها بعض الفقهاء المنتسبين للمذهب الشافعي ، مع أن الشافعي لم ينص عليها ، وإنما زلة لبعض العلماء ، فتابعهم الناس على ذلك إلى يومنا هذا.

ومن البدع المتعلقة بالصلاة ؛ صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة ، وهذه عبادة لم ترد عن النبي ﷺ ، ولو أن النبي ﷺ فعلها لعلمها الصحابة ولنقلوها إلينا.

ومن البدع المتعلقة بالأذكار بدعة التسبيح الجماعي بعد الصلوات ، فهذه من البدع أيضا ، وقد أنكرها أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ، والذي ورد عن النبي ﷺ هو أن المصلي بعد الانفلات من صلاته يسبح بمفرده ، ولو كان التسبيح الجماعي خيرا لسبقونا إليه.

وهناك بدع متعلقة بالشهور ، كبدعة الاجتماع ليلة النصف من شعبان وإحياءها بالصلاة ، وكذلك قيام يوم النصف من شعبان ، فكل هذا لم يرد عن النبي ﷺ ، لا في حديث صحيح ولا ضعيف ، ولم يفعله الصحابة الذين هم أحرص الناس على الخير ، ولو كان خيرا لسبقونا إليه قطعا.

ومن بدع الشهور أيضا بدعة المولد النبوي ، ولما كان الكلام فيها يطول ؛ فقد أخرت الكلام فيها إلى آخر هذا الفصل المتعلق بالحق الرابع من حقوق النبي ﷺ .

وهناك بدع متعلقة بالأذان ، كجهر بعض المؤذنين بالصلاة على النبي ﷺ في مكبر الصوت ، وبدع متعلقة بالدعاء ، وبدع متعلقة بالجنائز ، وهلم جرا ، ليس المقام مقام استقصائها.

والبدع لا يستطيع الإنسان تمييزها عن السنن إلا إذا صدَق مع الله أولا في قصد الاتباع للنبي ﷺ ، ثم أقبل على العلم الشرعي ، وتعلم السنن الواردة عن النبي ﷺ ، الثابتة عنه ، التي رواها الرواة الأثبات ، وحفظوها في دواوين السنة المعروفة ، في الصحيحين والسنن وموطأ مالك ومسند أحمد ، فعندئذ سيكون عند الإنسان فرقان بين الحق والباطل ، أما إذا كان الإنسان حاطب ليل ، يقرأ ما هبَّ ودب ، ما بين حديث ضعيف أو موضوع ، ويقرأ لكل من ادعى العلم ، ولم يستند إلى دليل شرعي صحيح ؛ فهذا ستكون عبادته مشوبة بالكثير من الأخطاء والبدع ، لأن البشر غير معصومين ، أما الوحي فمعصوم.

ومن أراد التوسع في الاطلاع على البدع العملية المنتشرة بين المسلمين ؛ فعليه بكتاب «البدع الحولية» لعبد الله التويجري ، وكتاب «معجم البدع» لرائد صبري ، وقد صدر حديثا كتاب «قاموس

البدع» ، جمع فيه مؤلفه جميع أقوال الشيخ الألباني رحمه الله في البدع من كتبه الكثيرة ، فجزاه الله خيرا ، وهناك غيرها من كتب أهل السنة.

كما أن هناك كتبا عدة في باب أقسام البدع ، أنفسها كتاب «الاعتصام» لأبي إسحاق الشاطبي رحمه الله ، فليرجع له من أراد التوسع في معرفة أقسام البدع.

١٨. **المقدمة الثامنة عشرة**: أضرار البدع كثيرة ، أعظمها تبديل الدين ، وهجر السنة الصحيحة ، وهذا من شؤم المعصية ، فإنك لتجد الكثير من هؤلاء الحريصين على البدع يكون فاتراً في تنفيذ أمور ثبتت شرعيتها وثبتت سنيتها ، ، فما ابتدع قوم في دين الله بدعة إلا أضاعوا من السنة مثلها أو أشد.

ومن أضرار البدع ؛ الإثم العظيم الذي يلحق صاحبها ، فإثم البدعة أعظم من إثم الكبيرة ، كشرب الخمر والسرقة ونحوه ، وذلك أن صاحب الكبيرة لم يُبدل الدين ، بينما صاحب البدعة قد بدّل فيه ، وهذا فيه نوع مشاركة لله في أمره الشرعي.

كما أن صاحب الكبيرة يعرف أنه مخطىء ، فربما أحدث هذا عنده انكسارا وتذللا لله ، بينما صاحب البدعة لا يشعر بذلك ، بل يرى أنه على صواب ، وأنه مأجور بزيادته في دين الله ما ليس منه.

تلاعب الشيطان بعقول أهل البدع

والبدعة يزينها الشيطان في عيون الناس ، فيجتهد صاحبها فيها ، كما قال تعالى ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ ، ولهذا قال ابن عمر رضي الله عنهما قال: كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة.[1]

وعن أيوب السختياني أنه كان يقول: ما ازداد صاحب بدعة اجتهادًا إلا ازداد من الله بعدًا.[2]

وقال: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ، المعصية يُتاب منها ، والبدعة لا يُتاب منها.[3]

١٩ . المقدمة الحادية والعشرون: بالعلم تُقمع البدع

قال ابن مسعود رضي الله عنه: **عليكم بالعلم** قبل أن يُقبض ، وقَبضُه أن يُذهب بأصحابه ، عليكم بالعلم ، فإن أحدكم لا يدري متى يَفتقر إليه أو يُفتقر إلى ما عنده ، وإنكم ستجدون أقوامًا يدْعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم ، **عليكم بالعلم** ، **وإياكم والتبدع** ، وإياكم والتنطع ، وإياكم والتعمق ، وعليكم بالعتيق[4].[5]

---

[1] رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (١/١٧٩) ، واللالكائي (١/١٠٤) ، والمروزي في «السنة» (٧٠).

[2] رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/١٠) ، وروي نحوه عن الحسن في «البدع والنهي عنها» (٦٩).

[3] رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/٢٨) ، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٣٨).

[4] يعني بالعتيق أي الأمر العتيق وهو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من الدين.

[5] رواه الخطيب البغدادي في «كتاب الفقيه والمتفقه» (١/١٦٧) ، وابن عبد البر في «جامعه» مختصرا ، باب باب من تأول القرآن أو تدبره وهو جاهل بالسنة ، (٢٣٦٣).

وقال أيضا: إنكم اليوم على الفطرة ، وإنكم **ستحدِثون ويُحدث لكم** ، فإذا رأيتم محدثة **فعليكم بالهدي الأول**[١] .[٢]

وروى الخطيب البغدادي عن سفيان قال: إذا كان **يأتم بمن قبله**[٣] ؛ فهو إمام لمن بعده.[٤]

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحداً أحب إلى الشيطان هلاكاً مني.

فقيل: كيف؟

فقال: والله إنه[٥] ليُحدث البدعة في مشرقٍ أو مغرب ، فيحملها الرجل إلي ، فإذا انتهت إلي **قمعتُها بالسنة** ، فتُردُّ عليه[٦] .[٧]

وعن أبي حمزة قال: قلت لإبراهيم: إنك إمامي ، وأنا أقتدي بك ، فدُلَّني على الأهواء.

قال: ما جعل الله فيها مثقال حبة من خردل من خير ، وما الأمر إلا **الأمر الأول**[٨] .[٩]

---

[١] أي هدي النبي ﷺ .

[٢] رواه المروزي في «السنة» (٨٠) ، والدارمي في باب الفتيا وما فيه من الشدة ، (١٧٢).

[٣] وهم النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم.

[٤] انظر كتاب «الفقيه والمتفقه» ، باب القول في أنه يجب اتباع ما سنّه أئمة السلف (٤٥٧).

[٥] أي الشيطان.

[٦] أي على الشيطان.

[٧] أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٥٥/١).

[٨] أي الأمر الذي كان عليه النبي ﷺ وصحابته ، وهو مطابق لما قاله ابن مسعود آنفا (وعليكم بالعتيق).

[٩] رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٤٧/٤-٢٤٨).

٢٠ . المقدمة الثانية والعشرون: الاتعاظ بحال أهل البدع في الآخرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، ودِدْت أنَّا قد رأينا إخواننا.

فقالوا: أَوَلسنا إخوانك يا رسول الله؟

قال: أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد.

فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟

فقال: أرأيت لو أن رجلاً له خيل غُرٌّ[١] مُحجَّلة[٢] بين ظهري خيل دُهمٍ[٣] بُهمٍ[٤] ، ألا يَعرف خيله؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء ، وأنا فرَطُهم[٥] على الحوض[٦] ، ألا ليُذادَنَّ[٧] رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال ، فأناديهم: ألا هلم ، فيقال: **إنهم قد بدَّلوا بعدك**.

فأقول: سُحقًا سُحقًا.[٨]

---

[١] الغرة هي البياض في وجه الفرس. انظر «النهاية».

[٢] التحجيل هو بياض في القوائم يرتفع إلى موضع قيد الفرس. انظر «النهاية».

[٣] الدهم هم العدد الكثير. انظر «النهاية».

[٤] البهم جمع بهيم وهو اللون الذي لا يخالطه لون سواه. انظر «النهاية».

[٥] أي متقدمكم إليه. انظر «النهاية».

[٦] أي حوضه الذي في عرصات القيامة ، الذي يشربون منه المؤمنون المتبعون لشريعته فلا يظمئوا أبدا.

[٧] يذاد أي يطرد ويساق. انظر «لسان العرب».

[٨] رواه مسلم (٢٤٩).

فقول النبي ﷺ في وصف أولئك المطرودين عن حوضه (قد بدَّلوا بعدك) ؛ صريح في وصفهم بأنهم أهل البدع ، لأن التبديل ليس إلا التغيير في الدين ، وهو فِعل أهل البدع كما تقدم.

٢١. **المقدمة التاسعة عشرة**: علامة حب الله ورسوله اتباع نبيه ﷺ ، قال تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ ، ولما كان الابتداع ضد الاتباع كان الابتداع علامة على الخلل في صدق محبة النبي ﷺ ، عافانا الله من ذلك.

٢٢. **المقدمة العشرون**: اتباع سنة النبي ﷺ ونبذ ما خالفه هو الطريق إلى العزة والكرامة في الدنيا ، وهو الطريق المؤدية إلى الجنة في الآخرة ، قال تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾ ، جعلنا الله ممن يتبعون سنة النبي ﷺ ظاهرا وباطنا.

٢٣. المقدمة الثالثة والعشرون: ذكر بعض مراجع أهل السنة والجماعة في العقيدة والاتباع

من أراد معرفة طريقة أهل السنة في الاعتقاد والاتباع كما جاءت عن النبي ﷺ وصحابته والتابعين لهم بإحسان ؛ فعليه بقراءة كتب العقائد المسندة ، ومنها:

١. الشريعة ، لأبي بكر ، محمد بن الحسين الآجري (٣٦٠ هـ).
٢. السنة ، لأبي بكر ، أحمد بن محمد الخلال (٣١١ هـ).
٣. السنة ، لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢٩٠ هـ).
٤. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، لابن بطة ، عبيد الله بن محمد العكبري (ت ٣٨٧ هـ).

٥. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، لأبي القاسم ، هبة الله بن الحسن اللالكائي (٤١٨ هـ).

وهناك كتب مختصرة ، اختصرت ما ورد في تلك الكتب في متون علمية ، مثل:

٦. العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وهي رسالة في العقيدة أرسلها الشيخ إلى أحد قضاة بلدة «واسط» فسُمِّيت بالواسطية ، وعليها عدة شروح ، من أنفسها شرح الشيخ محمد ابن عثيمين رحمه الله.

٧. العقيدة الطحاوية لأبي جعفر الطحاوي ، وأفضل شروحها شرح ابن أبي العز الحنفي رحمه الله.

الحق الخامس: التحاكم لشريعته ﷺ

ومن حقوق الرسول ﷺ التحاكم لشريعته ، والرضى بحكمه رضا قلبيا كاملا والاستسلام لها ، فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً.[1]

والرضا كلمة تجمع القبول والانقياد ، فلا يكون الرضا إلا حيث يكون التسليم المطلق والانقياد الكامل ظاهراً وباطناً لما جاء به الرسول ﷺ من ربه.

وقال تعالى ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾[2] ، وقال تعالى ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾[3].

فقه الآيتين:

"كلا الآيتين توجبان التسليم الكامل والانقياد التام من أهل الإيمان لِما حَكم به الله تعالى وحكم به رسوله ﷺ ، فليس في ذلك اختيار ، بل السمع والطاعة والقبول والتسليم بما جاء عن الله ورسوله.

ومن الملاحظ في كلا الآيتين أن الخطاب فيهما لأهل الإيمان ، ففي الآية الأولى ﴿إنما كان قول المؤمنين﴾ ، وفي الثانية ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ ، وهذا التخصيص للمؤمنين فيه من الدلالة ما فيه ، فاسم الإيمان يُشعر بأن هذا المطلوب منهم من موجبات الاسم الذي نُسبوا إليه ، ولذلك فإنه يجب على كل من يؤمن بالله ورسوله ﷺ أن يضع هاتين الآيتين وأمثالهما من الآيات الموجبة للامتثال

---

[1] رواه مسلم (٣٤).

[2] سورة النور: ٥١ .

[3] سورة الأحزاب: ٢٦ .

لأمر الله ورسوله ﷺ نصب عينيه ، فيسمع ويطيع ، ويؤمن بأنه لا اختيار له في ذلك ولا رأي ، بل التسليم المطلق الذي لا يصاحبه شك ولا ارتياب.

فهذه حقيقة الإيمان ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله ، التي تعني طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

ومثل هذه الآيات هي الفاصل بين دعوى الإيمان الحقيقية التي هي للمؤمنين الصادقين ، وبين دعوى الإيمان الزائفة الباطلة التي هي سمة المنافقين الكاذبين ، المظهرين خلاف ما يُبطنون".[١]

ومن الأدلة كذلك على وجوب التحاكم لشريعة الله قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾[٢].

وقال الله تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾[٣].

قال ابن تيمية رحمه الله: فكل من خرج عن سنة رسول الله ﷺ وشريعته ؛ فقد أقسم الله بنفسه المقدسة أنه لا يؤمن حتى يرضى بحكم رسول الله ﷺ في جميع ما شجر بينهم من أمور الدين والدنيا ، وحتى لا يبقى في قلوبهم حرج من حكمه ، ودلائل القرآن على هذا الأصل كثيرة.[٤]

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يُحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور ، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا

---

[١] «حقوق النبي ﷺ على أمته» ، ص ١٨٤ – ١٨٥ .

[٢] سورة النساء: ٥٩ ، وانظر ما قاله الشنقيطي رحمه الله في تفسير الآية الكريمة.

[٣] سورة النساء: ٦٥ .

[٤] «مجموع الفتاوى» (٢٨/٤٧١).

وظاهرًا ، ولهذا قال ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ ، أي إذا حكّموك يطيعونك في بواطنهم ، فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به ، وينقادون له في الظاهر والباطن ، فيسلموا لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة. انتهى.

وقال ابن القيم رحمه الله: أقسم سبحانه بأجلِّ مقسَمٍ به – وهو نفسه عز وجل – على أنهم لا يَثبت لهم الإيمان ولا يكونون من أهله حتى يحكموا رسوله ﷺ في جميع موارد النزاع ، وهو كل ما شجر بينهم من مسائل النزاع في جميع أبواب الدين ، فإن لفظة «ما» من صيغ العموم ، فإنها موصولة ، تقتضي نفي الإيمان إذ لم يوجد تحكيمه في جميع ما شجر بينهم.

ولم يقتصر على هذا حتى ضم اليه انشراح صدورهم بحكمه ، بحيث لا يجدون في أنفسهم حرجا – وهو الضيق والحصر[1] – من حكمه ، بل يتلقوا حكمه بالإنشراح ويقابلوه بالتسليم ، لا أنهم يأخذونه على إغماض[2] ويشربونه على إقذاء[3] ، فإن هذا مناف للإيمان ، بل لابد أن يكون أخذه بقبول ورضى وانشراح صدر.

ومتى أراد العبد أن يعلم منزلته من هذا فلينظر في حاله ، وليطالع قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه ، أو على خلاف ما قلد فيه أسلافه من المسائل الكبار وما دونها ، ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره﴾.

---

[1] الحصر هو الحبس ، والمقصود به هنا هو الضيق ، لأن المحبوس يضيق بحبسه. انظر «النهاية».

[2] الإغماض هو التنقص لقيمة الشيء. انظر «المعجم الوسيط».

[3] الإقذاء من القذى ، وهو الشوائب التي تكون في الشراب ، والمقصود هو السكوت على الذل كما يشرب الإنسان من الماء الذي فيه شوائب وهو كاره لذلك ، متصبر عليه.

فسبحان الله ، كم من حزازة في قلوب كثير من الناس من كثير من النصوص ، وبودِهم أن لو لم ترِد ، وكم من حزازة في أكبادهم منها ، وكم من شجى في حلوقهم منها ومن موردها ، ستبدو لهم تلك السرائر بالذي يسوء ويخزي يوم تبلى السرائر.

ثم لم يقتصر سبحانه على ذلك حتى ضم إليه قوله تعالى ﴿ويسلموا تسليما﴾ ، فذكر الفعل مؤكِّدا له بمصدره القائم مقام ذكره مرتين ، وهو الخضوع له والانقياد لما حَكم به طوعا ورضا وتسليما ، لا قهرا ومصابرة ، كما يُسلِّم المقهور لمن قهره كَرها ، بل تسليم عبد مطيع لمولاه وسيده الذي هو أحب شيء إليه ، ويعلم أن سعادته وفلاحه في تسليمه إليه ، ويعلم بأنه أولى به من نفسه ، وأبر به منها ، وأرحم به منها ، وأنصح له منها ، وأعلم بمصالحه منها ، وأقدر على تحصيلها.

فمتى علم العبد هذا من الرسول ﷺ ؛ استسلم له ، وسلَّم إليه ، وانقادت كل ذرة من قلبه إليه ، ورأى أنه لا سعادة له إلا بهذا التسليم والانقياد.[1]

وقال أيضا رحمه الله كلاما نفيسا في «الصواعق المرسلة»:

وقد أقسم سبحانه بنفسه المقدسة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم ، ولا يكفي ذلك في حصول الإيمان حتى يزول الحرج من نفوسهم بما حكم به في ذلك أيضا ، حتى يحصل منهم الرضا والتسليم ، فقال تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ ، فأكد ذلك بضروب من التأكيد:

أحدها: تصدير الجملة المقسم عليها بحرف النفي المتضمن لتأكيد النفي المقسَم عليه[2] ، وهو في ذلك كتصدير الجملة المثبتة بـ «إن».

---

[1] «الرسالة التبوكية» ، ص ٨٠ – ٨٣ .

[2] أي قوله ﴿فلا﴾.

الثاني: القسم بنفسه سبحانه.

الثالث: أنه أتى بالمقسم عليه بصيغة الفعل الدالة على الحدوث ، أي لا يقع منهم إيمان ما حتى يحكموك.

الرابع: أنه أتى في الغاية بـ «حتى» دون «إلا» المُشعِرة بأنه لا يوجد الإيمان إلا بعد حصول التحكيم ، لأن ما بعد «حتى» يدخل فيما قبلها.

الخامس: أنه أتى المحَكّم فيه بصيغة الموصول الدالة على العموم ، وهو قوله ﴿فيما شجر بينهم﴾ ، أي في جميع ما تنازعوا فيه من الدقيقة والجليلة.

السادس: أنه ضم إلى ذلك انتفاء الحرج ، وهو الضيق من حكمه.

السابع: أنه أتى بهِ نكرةً في سياق النفي ، أي لا يجدون نوعا من أنواع الحرج البتة.

الثامن: أنه أتى بذكر ما قضى به بصيغة العموم ، فإنها إما مصدرية ، أي من قضائك ، أو موصولة ، أي من الذي قضيته ، وهذا يتناول كل فرد من أفراد قضائه.

التاسع: أنه لم يكتف منهم بذلك حتى يُضيفوا إليه التسليم ، وهو قدر زائد على التحكيم وانتفاء الحرج ، فما كل من حكَّم انتفى عنه الحرج ، ولا كل من انتفى عنه الحرج يكون مسلِّما منقادا ، فإن التسليم يتضمن الرضا بحكمه والانقياد له.

العاشر: أنه أكَّد فعل التسليم بالمصدر المؤكد.[1]

وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير الآية: وهذا شامل لتحكيمه[2] في أصول الدين

---

[1] «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (١٥٢٠ – ١٥٢١).

[2] أي النبي ﷺ ، والمقصود بتحكيمه تحكيم شريعته.

وفي فروعه ، وفي الأحكام الكلية ، والأحكام الجزئية.[1]

وضد التحاكم إلى الشريعة الإعراض عنها ، وهذا من علامات الزيغ والنفاق ، قال الله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليكم وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً ﴾[2].

[1] «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» ، ص ٣٩ ، بتصرف يسير.

[2] سورة النساء: ٦٠ – ٦١ .

الحق السادس : تعظيم سنته ﷺ

تعظيم سنة النبي ﷺ تقتضي العمل بشريعته ، والعمل بسنته ، والأخذ بأوامره ظاهرًا وباطنًا ، والتمسك بها والحرص عليها ، وتحكيم ما جاء به في الأمور كلها ، والرضا بحكمه والتسليم له ، والسعي في إظهار دينه ، ونصر ما جاء به ، وتبليغ رسالته للناس ، ودعوتهم للإيمان به ، والذب عن سنته والدفاع عنها وتعلُّمها وتعليمها وخدمتها ، والموالاة والمعادة والحب والبغض لأجله ، وجهاد من خالفه ، واجتناب عما نهى عنه وزجر ، والبعد عن معصيته ومخالفته والحذر من ذلك ، والتوبة والاستغفار عما وقع فيه الإنسان من الزلل والتقصير.

ومن دلائل **تعظيم سنته** ﷺ توقير حديثه ، والتأدب عند سماعه ، والوقار عند دراسته ، وقد كان لسلف الأمة وعلمائها عموماً والمحدثين خصوصاً منهم إسهام قوي في إجلال حديث رسول الله ﷺ ، وتوقير مجلس الحديث ، والتحفز لاستباق العمل به ، تعظيماً له ، وقد كان محمد بن سيرين يتحدث فيضحك ، فإذا جاء الحديث خَشع.[1]

وتعظيم سنته ﷺ يتضمن إجلال العاملين بها وتقديرهم وتوقيرهم ، وخاصة العلماء منهم ، فهُم الشامة في جبين الأمة ، وهم النور الذي يمشي بين الناس ، كما هم الأمنة والأمناء على ميراث النبوة.

ولهذا قال سفيان بن عيينة : ما من أحد يطلب الحديث إلا وفي وجهه نضرة لقول النبي ﷺ : نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه.[2]

---

[1] ذكره اخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» ، (٩٨٥) ، باب خشوعه في حال الرواية ، بسنده إلى حسين المعلم عن ابن سيرين وذكره.

[2] رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» ، باب قوله ﷺ : ليبلغ الشاهد منكم الغائب.

ورواه الدينوري عن الفضيل بن عياض رحمه الله.[3]

وقال الشافعي رحمه الله : إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث كأني رأيت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ.[4]

وقال أحمد بن حنبل : من عظّم أصحاب الحديث تعظَّم في عين رسول الله ، ومن حقرهم سقط من عين رسول الله ، لأن أصحاب الحديث أحبار[5] رسول الله ﷺ .[6]

---

[3] «المجالسة وجواهر العلم» ، الجزء الأول ، أثر رقم ١١٤ ، الناشر: دار ابن حزم — بيروت.

[4] رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١١٦/٩).

[5] الحبر هو العالم. انظر «النهاية».

[6] روى ذلك ابن الجوزي عنه في كتابه «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» ، الباب الثاني والعشرون في ذكر تعظيمه لأهل السنة والنقل ، ص ٢٤٩ .

الحق السابع: مجانبة الراغبين عن سنة النبي ﷺ

ومن أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة مجانبة أهل البدع ، والحكمة في ذلك ألا يُلبِّسوا على السُّني دينه ، وليكون في هجره تأديبا له لعله يرجع عن بدعته ، فعن سفيان الثوري قال: من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث: إما أن يكون فتنة لغيره[1] ، وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيُدخله الله في النار ، وإما أن يقول (والله ما أبالي ما تكلَّموا ، وإني واثق بنفسي) ، فمن أَمِن الله على دينه طرفة عين سلَبه إياه.[2]

وعن أبي قلابة[3] أنه قال: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تخالطوهم ، فإني لا آمن أن يغمِسوكم في ضلالتهم ، ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون.[4]

كان عمرو بن قيس الملائي يقول: لا تجالس صاحب زيغ فيزيغ قلبك.[5]

قال ابن المبارك لإسماعيل الطُّوسي: إياك أن تجالس صاحب بدعة.[6]

---

[1] أي يراه الناس يجالس أصحاب البدع فيقلدونه.

[2] «البدع والنهي عنها» (١٢٠).

[3] هو عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي ، أبو قلابة البصري ، ثقة فاضل. انظر «تقريب التهذيب» لابن حجر رحمه الله.

[4] رواه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٤٤) ، والدارمي في المقدمة ، باب اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة (٣٩٧) ، والبيهقي في «كتاب الاعتقاد» ، ص ٣١٩ ، وغيرهم.

[5] رواه أبو نعيم في «الحلية» (١١٨/٥).

[6] رواه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٦٠).

وأعظم من ينبغي الحذر من مجالستهم من أهل البدع هم أهل البدع العقائدية ، ويليهم أهل البدع العملية ، والله أعلم.

الحق الثامن: الدعوة لدينه

من أهم حقوق النبي ﷺ نشر سنته وهديه ، وتبليغها للناس ، وقد ثبت عنه أنه قال: (ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يُبلغ من هو أوعى له منه)[1] ، وقال: بلغوا عني ولو آية.[2]
وقد دعا رسول الله ﷺ لمن حمل هذا اللواء بقوله: نضر الله امرءًا سمع منا شيئًا فبلغه كما سمِعه ، فرب مبلغ أوعى من سامع.[3]
ومن حقوق النبي ﷺ الحرص على إماتة البدع والضلالات المخالفة لأمره وهديه ، لأن البدع تهدم الدين ، وتخالف هدي النبي ﷺ ، بل هي زيادة في دين الإسلام ، وهي مردودة على صاحبها ، كما قال النبي ﷺ : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد.[4]

فصل

والأدلة على فضل الدعوة إلى الله كثيرة جدا ، ليس المقام مقام استقصائها ، نكتفي منها بآية وثلاثة أحاديث ، وفيها كفاية لمن أراد الهداية ، أما الآية فقوله تعالى ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا﴾ ، أي لا أحد أحسن قولا ممن دعا إلى الله.
قوله ﴿وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾ (أي وهو في نفسه مهتد بما يقوله ، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه ، وينهون عن المنكر ويأتونه ،

---

[1] رواه البخاري (67) ومسلم (1679) عن أبي بكرة رضي الله عنه.
[2] رواه البخاري (3461) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.
[3] رواه ابن حبان (66) والترمذي (2657) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وقال الترمذي: حسن صحيح.
[4] تقدم تخريجه.

بل يأتمر بالخير ويترك الشر ، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى ، وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد)[1] .

وأما الأحاديث الثلاثة فأولها حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ أرسل علي بن أبي طالب لغزو اليهود في خيبر ، فأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفُذ على رِسلِك[2] حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم.[3]

وأما الحديث الثاني على فضل الدعوة حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، الحديث.[4]

وأما الحديث الثالث فهو حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكان منها نقية قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخرى ، إنما هي قيعان ، لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعهُ ما بعثني الله به فعلم وعلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به.[5]

---

[1] قاله ابن كثير في تفسير الآية.

[2] قوله (انفذ) أي امضِ ، وقوله (على رِسلِك) أي على مهلك. انظر «النهاية».

[3] رواه البخاري (4210) ومسلم (2406) ، قال ابن حجر رحمه الله: (حُمْر النعم) بسكون الميم وبفتح النون والعين ، وهو من ألوان الإبل المحمودة ، قيل المراد خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها ، وقيل تقتنيها وتملكها ، وكانت مما تتفاخر العرب بها. (باختصار).

[4] رواه مسلم (2674).

[5] رواه البخاري (79) ومسلم (2282).

قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث: قال القرطبي وغيره:
ضرب النبي ﷺ لِما جاء به من الدين مثلا بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه ، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه ، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت ؛ فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت ، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث ، فمنهم العالم العامل المعلم ، فهو بمنزلة الأرض الطيبة ؛ شربت فانتفعت في نفسها ، وانبتت فنفعت غيرها.
ومنهم الجامع للعلم ، المستغرق لزمانه فيه ، غير أنه لم يعمل بنوافله ، أو لم يتفقه فيما جمع ، لكنه أداه لغيره ، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به ، وهو المشار إليه بقوله (نضر الله امرأً سمع مقالتي فأداها كما سمعها).
ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره ، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء ، التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها.
وإنما جمع في المثل بين الطائفتين الأوليين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما ، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها ، والله أعلم.

فصل

والمبتدع لا يحب نشر السنة النبوية ، ويسعى لكتمانها ، قال ابن تيمية رحمه الله: ومن المعلوم أنك لا تجد أحداً ممن يرد نصوص الكتاب والسنة بقوله إلا وهو يبغض ما خالف قوله ، ويود أن تلك الآية لم تكن نَزلت ، وأن ذلك الحديث لم يرِد ، ولو أمكنه كشط ذلك المصحف من قلبه لفعله.
قال بعض السلف: ما ابتدع أحد بدعة إلا خرجت حلاوة الحديث من قلبه.
وقيل عن بعض رؤوس الجهمية – إما بشر المريسي أو غيره – أنه قال: ليس شيء أنقض لقولنا من القرآن ، فأقِروا به في الظاهر ، ثم صرِّفوه بالتأويل.

ويقال إنه قال: إذا احتجوا عليكم بالحديث فغالطوهم بالتكذيب ، وإذا احتجوا بالآيات فغالطوهم بالتأويل.

ولهذا تجد الواحد من هؤلاء لا يحب تبليغ النصوص النبوية ، بل قد يختار كتمان ذلك والنهي عن إشاعته وتبليغه ، خلافاً لما أمر الله به ورسوله من التبليغ عنه ، كما قال: (ليبلغ الشاهد الغائب) ، وقال: (بلغوا عني ولو آية) ، وقال: (نضر الله امرءٍ سمع منا حديثا فبلغه إلى من لم يسمعه ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه).

وقد ذم الله في كتابه الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى ، وهؤلاء يختارون كتمان ما أنزله الله لأنه معارض لما يقولونه ، وفيهم جاء الأثر المعروف عن عمر ، قال: إياكم وأصحاب الرأي ، فإنهم أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها ، فقالوا **بالرأي** ، فضلوا وأضلوا.[1]

فذَكر أنهم أعداء السنن.

وبالجملة ، فكل من أبغض شيئا من الكتاب والسنة ففيه من عداوة النبي بحسب ذلك ، وكذلك من أحب ذلك ففيه من الولاية بحسب ذلك ، قال عبد الله بن مسعود: لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله.

وأعداء الأنبياء هم شياطين الإنس والجن ، وهؤلاء يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ، والزخرف هو الكلام المزين ، كما يزيَّن الشيء بالزخرف وهو المذهب ، وذلك غرور ، لأنه يغر المستمع ، والشبهات المعارضة لما جاءت به الرسل هي كلام مزخرف يغر المستمع ، ﴿ولتصغى إليه

---

[1] «جامع بيان العلم وفضله» (211/2) ، وقد روي هذه الأثر بعدة أسانيد عن عمر ، قال عنها ابن القيم رحمه الله: وأسانيد هذه الآثار عن عمر في غاية الصحة. «إعلام الموقعين» ، فصل في تحريم الإفتاء في دين الله بالرأي ، (63/1).

أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ ، فهؤلاء المعارضون لما جاءت به الرسل تَصغى إليه[1] أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة كما رأيناه وجربناه.[2]

[1] أي تصغي إلى كلامهم.

[2] «درء تعارض العقل والنقل» (217/5 – 220) ، باختصار يسير.

الحق الثاني عشر: الذب عن ذات النبي ﷺ

الدفاع عن رسول الله ﷺ ونصرته آية عظيمة من آيات المحبة والإجلال ، تفضل بها الصحابة عمن أتى بعدهم ، قال الله تعالى ﴿للفقراء المهاجرين الذي أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾[1] .

وقد سطّر الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة وأصدق الأعمال في الذب عن رسول الله ﷺ ، وفدائه بالأموال والأولاد والأنفس في المنشط والمكره ، في العسر واليسر ، وكتب السير عامرة بقصصهم وأخبارهم التي تدل على غاية المحبة والإيثار والتعظيم.

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد: من يردهم عنا وله الجنة ، أو هو رفيقي في الجنة؟ فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، ثم لما أدركو النبي ﷺ قال: من يردهم عنا وله الجنة ، أو هو رفيقي في الجنة ، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة.[2]

ومن ذلك أن أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه كان يحمي الرسول ﷺ في غزوة أحد ، ويرمي بين يديه ، ويقول: يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، لا تُشرِف[3] ، لايصيبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك.[4]

وعن قيس بن أبي حازم رضي الله عنه قال: رأيت يد طلحة[5] شلاَّء ، وَقى بها النبي ﷺ يوم أحد.[6]

---

[1] الحشر: ٨ .

[2] رواه مسلم (١٧٨٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[3] الإشراف هو الاطلاع من مكان مشرف أي عالي وبارز. انظر «النهاية».

[4] رواه البخاري (٣٨١١) ، ومسلم (١٨١١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[5] أي طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

[6] رواه البخاري (٤٠٦٣).

ولما قال رأس المنافقين عبد الله بن أبي سلــول: (لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذل) ؛ قال رسول الله ﷺ : أدعوا لي عبد الله بن عبد الله بن أُبي ، فدعاه ، فقال: ألا ترى ما يقول أبوك؟

قال: وما يقول ، بأبي أنت وأمي؟

قال: يقول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

فقال: فقد صدق والله يا رسول الله ، أنت والله الأعز وهو الأذل ، أما والله لقد قدمت المدينة يا رسول الله ، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبر مني ، ولئن كان يُرضي الله ورسوله أن آتيهما برأسه لأتيتهما به.

فقال رسول الله ﷺ : لا.

فلما قدموا المدينة قام عبد الله بن عبد الله بن أبي على بابها[١] بالسيف لأبيه ، ثم قال: أنت القائل: (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) ؟

أما والله لتعرفَنَّ العزة لك أو لرسول الله ، والله لا يأويك ظله ولا تَأويه أبدًا[٢] إلا بإذن من الله ورسوله.

فقال: يا للخزرج ، إبني يمنعني بيتي ، يا للخزرج ، ابني يمنعني بيتي!

فقال: والله لا تأويه أبداً إلا بإذن منه.

---

[١] أي باب المدينة.

[٢] أي ظل بيتك ،كما سيأتي.

فاجتمع إليه رجال فكلَّموه ، فقال: (والله لا يدخله إلا بإذن من الله ورسوله) ، فأتوا النبي ﷺ فأخبروه ، فقال: اذهبوا إليه ، فقولوا له: (خلِّه ومَسْكنَه) ، فأَتوه ، فقال: أما إذا جاء أمر النبي ﷺ فنعم.[١]

وفي رواية عند الترمذي ؛ أن عبد الله قال لأبيه: والله لا تنفلِت[٢] حتى تُقِر أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز ، ففعل.[٣]

وقد ورد في ذلك عدة أدلة منها قصة الأعمى الذي كانت له أم ولد[٤] ، وكانت تشتم النبي ﷺ ، فلما كان ذات ليلة جعلت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه ، فأخذ مِغولا[٥] فوضعه في بطنها فاتكأ عليه حتى ماتت ، فلما ذكر ذلك لرسول الله ﷺ دعا الأعمى فأخبره بأمرها ، فقال النبي ﷺ : ألا اشهدوا أن دَمَها هَدَر.[٦]

وعن أبي برزة الأسلمي قال: أغلظ رجل لأبي بكر الصديق ، فقلت: أقتله؟

فانتهرني وقال: ليس هذا لأحد بعد رسول الله ﷺ .[٧]

---

[١] رواه الطبري في تفسير سورة المنافقين ، تفسير قوله تعالى ﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾.

[٢] الإنفلات هو التخلص من الشيء. انظر «النهاية».

[٣] برقم (٣٣١٥) ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

[٤] أم ولد أي أمة ، وطأها فولدت له ولدا.

[٥] المِغول ، قال شمس الحق العظيم أبادي في «عون المعبود»: مِثْل سَيْف قَصِير يَشْتَمِل به الرَّجُل تَحْت ثِيَابه فَيُغَطِّيه ، وَقِيلَ حَدِيدَة دَقِيقَة لَهَا حَدّ مَاضٍ ، وَقِيلَ هُوَ سَوْط فِي جَوْفه سَيْف دَقِيق يَشُدّهُ الْفَاتِك عَلَى وَسَطه لِيَغْتَالَ به النَّاس.

[٦] رواه أبو داود (٤٣٦١) والنسائي (٤٠٨١) عن ابن عباس رضي الله عنه ، وصححه الألباني رحمه الله ، وقال في الإرواء (٩٢/٥): إسناده صحيح على شرط مسلم.

[٧] رواه النسائي (٤٠٨٢) ، وصححه الألباني رحمه الله.

وعن علي رضي الله عنه أن يهودية كانت تشتمُ النبيَّ ﷺ وتقع فيه ، فخنقها رجل حتى ماتت ، فأبطل[1] رسول الله ﷺ دمها.[2]

وقد نقل ابن تيمية رحمه الله في كتابه العظيم «الصارم المسلول على شاتم الرسول» إجماع أهل العلم على قتل من وقع في سب النبي ﷺ ، سواء كان مسلما أو كافرا.

والذب عن ذات النبي ﷺ ماضٍ بعد مماته ، بِرد الشبهات التي تثار حوله ، والأخذ على يد المتطاولين عليه والمستهزئين به ، وإقامة حد الردة عليهم إن كانوا في بلاد المسلمين ، وإن كانوا خارجها فبإظهار النكير عليهم ، وبيان سيرة النبي ﷺ وهديه ، ولا شك أن هذا من الجهاد باللسان ، وقد كان حسان بن ثابت رضي الله عنه يدافع عن النبي ﷺ بشعره ، وفي الحديث: جاهدوا المشركين بألسنتكم وأنفسكم وأموالكم وأيديكم.[3]

---

[1] أبطل أي أهدر.

[2] رواه أبو داود (٤٣٦٢) ، وقال في «الإرواء» (٩١/٥): إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[3] رواه أحمد (١٥٣/٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط مسلم.

الحق العاشر: محبة النبي ﷺ أكثر من محبة النفس والمال والوالدَين والولد والناس أجمعين

محبة النبي ﷺ وتعظيمه ﷺ من **شرط إيمان العبد** ، ومن أصول الدين ، بل الأمر كما قال ابن تيمية رحمه الله: قيام المِدحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله ، وسقوط ذلك سقوط الدين كله.[1]

والأدلة على وجوب حب النبي ﷺ كثيرة ، منها قوله تعالى ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها **أحب إليكم من الله ورسوله** وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾[2].

فكفى بهذه الآية حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته ، ووجوب فرضها ، وعظم خطرها ، واستحقاقه لها ﷺ ، إذ قرع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله ، وتوعدهم بقوله تعالى ﴿فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾ ، ثم فسّقهم بتمام الآية ، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله.

فصل

وتمام كمال محبة النبي ﷺ لا تكون إلا بتقديم محبة النبي ﷺ على النفس والمال والأهل ، ودون هذا نقص في المحبة والإيمان ، وقد دل على هذا الكتاب والسنة ، فأما الكتاب فقوله تعالى ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾[3].

---

[1] «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ » ، (٢/٣٩٧).

[2] سورة التوبة: ٢٤ .

[3] سورة الأحزاب: ٦ .

ومن السنة قوله ﷺ : ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة ، اقرءوا إن شئتم: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾.[1]

وقال رسول الله ﷺ : أنا أولى بكل مؤمن من نفسه.[2]

قال ابن القيم رحمه الله: وهذه الأولوية تتضمن أمورا ، منها:

أن يكون النبي أحب إلى العبد من نفسه ، لأن الأولوية أصلها الحب ، ونفسُ العبد أحب إليه من غيره ، ومع هذا فيجب أن يكون الرسول أولى به منها[3] ، فبذلك يحصل له اسم الإيمان.

ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم وسائر لوازم المحبة ، من الرضا بحكمه ، والتسليم لأمره ، وإيثاره على من سواه.

ومنها: أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلاً ، بل الحكم على نفسه للرسول ﷺ ، يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده والوالد على ولده ، فليس في نفسه تصرف قط إلا ما تصرف فيه الرسول الذي هو أولى به منها.

فيا عجبا كيف تحصل هذه الأولوية لعبد قد عزل ما جاء به الرسول ﷺ عن منصب التحكيم ، ورضي بحكم غيره ، واطمأن إليه أعظم من طمأنينته إلى رسول الله ﷺ ، وزعم أن الهدى لا يُتلقى من مشكاته ، وإنما يُتلقى من دلالات العقول ، وإن ما جاء به لا يفيد اليقين ، إلى غير ذلك من الأقوال التي تتضمن الإعراض عنه وعما جاء به ، والحوالة في العلم النافع إلى غيره ، ذلك هو الضلال المبين ، ولا سبيل إلى ثبوت هذه الأولوية إلا بعزل كل ما سواه ، وتوليته في كل شيء ، وعرض ما قاله كل أحد سواه على ما جاء به ، فإن شهد له بالصحة قبله ، وإن شهد له بالبطلان

---

[1] رواه البخاري (٢٣٩٩) ومسلم (١٦١٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، واللفظ للبخاري.

[2] رواه مسلم (٨٦٧) عن جابر رضي الله عنه.

[3] أي النفس.

رده ، وإن لم تتبين شهادته له بصحة ولا بطلان جعله بمنزلة أحاديث أهل الكتاب ، ووقّفه حتى يتبين أي الأمرين أولى به.

ومن العجب أن يدعي حصول هذه الأولوية والمحبة التامة من كان سعيه واجتهاده ونصَبه في الاشتغال بأقوال غيره وتقريرها والغضب والحمية لها والرضا بها والتحاكم إليها ، وعرْضِ ما قال الرسول عليها ، فإن وافقها قبله ، وإن خالفها التمس وجوه الحيل ، وبالغ في رَدِّه[1] ليًّـا[2] وإعراضا.[3]

وأما الدليل من السنة على أن كمال محبة النبي ﷺ لا يكون إلا بتقديم محبة النبي ﷺ على النفس والمال والأهل فقوله ﷺ : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين.[4]

قال النووي في شرح الحديث: قال ابن بطال والقاضي عياض وغيرهما رحمة الله عليهم:

المحبة ثلاثة أقسام: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد ، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد ، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس ، فجمع ﷺ أصناف المحبة في محبته.

وأخرج البخاري عن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله ، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي.

فقال النبي ﷺ : لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك.

فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي.

فقال النبي ﷺ : الآن يا عمر.[5]

---

[1] أي ما قال الرسول ﷺ .

[2] اللي هو الالتفات والانصراف. انظر «الصحاح» للجوهري ، مادة: لفف.

[3] «الرسالة التبوكية» ص ٩٣ - ٩٧ باختصار يسير.

[4] رواه البخاري (١٥) ومسلم (٤٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[5] رواه البخاري (٦٦٣٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النار.[1]

فبين هذا الحديث أمرين ؛ الأول كيف يكون كمال المحبة ، وهو بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، فلا يكتفى بأصل الحب بل لا بد من أن يقدم على كل شيء ليحصل للعبد كمال الإيمان ويذوق حلاوته.

والثاني لوازم المحبة وهن أمران ؛ الأول الحب في الله ، والثاني كره ما يكرهه الله ورسوله ، وهو الكفر.

قال ابن تيمية رحمه الله: **ومحبة الله ورسوله على درجتين:** واجبة ، وهي درجة المقتصدين ، ومستحبة ، وهي درجة السابقين ، فالأولى تقتضي أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، بحيث لا يحب شيئاً يبغضه ، كما قال تعالى ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حاد الله ورسوله﴾[2] وذلك يقتضي محبة جميع ما أوجبه الله تعالى ، وبغض ما حرمه الله تعالى ، وذلك واجب ، فإن إرادة الواجبات إرادة تامة تقتضي وجود ما أوجبه ، كما تقتضي عدم الأشياء التي نهى الله عنها ، وذلك مسلتزم لبغضها التام.

فيجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله ، ويبغض ما أبغضه الله ، قال تعالى ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط الله أعمالهم﴾[3] ، وقال تعالى ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم

---

[1] رواه البخاري (١٦) ، ومسلم (٤٣) ، واللفظ لمسلم.

[2] سورة المجادلة : ٢٢ .

[3] سورة محمد : ٢٨ .

مرض فزادهم رجساً إلى رجسهم﴾[1] ، وقال تعالى ﴿والذين أتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه﴾[2].

وأما محبة السابقين ؛ بأن يحب ما أحبه الله من النوافل والفضائل محبة تامة ، وهذه حال المقربين الذين قربهم الله إليه.[3]

قال ابن رجب رحمه الله: فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبةً توجب له الإتيان بما وجب عليه منه ، فإن زادت المحبة حتى أتى بما نُدب إليه منه كان ذلك فضلا ، وأن يكره ما كرِهه الله تعالى كراهة توجب له الكف عما حرَّم عليه منه ، فإن زادت الكراهة حتى أوجبت الكف عما كرِهه تنزيها كان ذلك فضلا.[4]

فصل

وقد جاء ذكر محبة الرسول مقترناً بمحبة الله في عدة نصوص شرعية من الكتاب والسنة ، فدل ذلك على عظم شأن محبة النبي ﷺ ، كقوله تعالى ﴿أحب إليكم من الله ورسوله﴾[5] ، وكذلك في قوله ﷺ : ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ؛ من كان **الله ورسوله** أحب إليه مما سواهما ... الحديث.

---

[1] سورة التوبة: ١٢٤ – ١٢٥ .

[2] سورة الرعد : ٣٦ .

[3] «قاعدة في المحبة» ، ص ٢٧٧ – ٢٧٨ ، وتقع في «جامع الرسائل» لابن تيمية ، المجموعة الثانية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم.

[4] «جامع العلوم والحكم» ، شرح الحديث الحادي والأربعين.

[5] سورة التوبة: ٢٤ .

وهذا الاقتران يدل على مدى الصلة الوثيقة بين محبة الله ومحبة رسوله ﷺ ، وإن كانت محبة الرسول داخلة ضمن محبة الله تعالى أصلاً ، لكن إفرادها بالذكر مع أنها ضمن محبة الله فيه إشارة إلى عظم قدرها وإشعار بأهميتها ومكانتها.

فتأمل هذا التلازم بين محبة الله تعالى ومحبة نبيه ﷺ .

قال ابن القيم: وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعاً لمحبة الله وتعظيمه ، كمحبة رسول الله ﷺ وتعظيمه ، فإنها من تمام محبة مرسِلِهِ وتعظيمه ، فإن أمته يحبونه لمحبة الله له ، ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له ، فهي محبة لله من موجبات محبة الله ، وكذلك محبة أهل العلم والإيمان ومحبة الصحابة رضي الله عنهم وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسوله ﷺ لهم.

والمقصود أن النبي ﷺ ألقى الله سبحانه وتعالى عليه من المهابة والمحبة ، ولكل مؤمن مخلص حظ من ذلك.[1]

فصل

والحب الصادق للنبي ﷺ له دلائل عدة ؛ أهمها وأولها موافقة النبي ﷺ في حب ما يحبه وكره ما يكرهه ، قال ابن رجب رحمه الله: فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله ، ويكره ما يكرهه الله ورسوله ، ويرضى بما يُرضي الله ورسوله ، ويَسخط ما يُسخَطُه الله ورسوله ، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض ، فإن عمِل بجوارحه شيئا يخالف ذلك بأن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله ، أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه ؛ دل ذلك على نقص محبته الواجبة ، فعليه أن يتوب من ذلك

[1] «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد سيد الأنام» ، الباب الثاني ، ص ٢٩٧ – ٢٩٨ .

ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة ، قال أبو يعقوب النهرُجوري: كل من ادعي محبة الله عز وجل ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة ، وكل مُحب ليس يخاف الله فهو مغرور.[١]

وقال يحيى بن معاذ: ليس بصادق من ادعي محبة الله عز وجل ولم يحفظ حدوده.

ولبعض المتقدمين:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمري في القياس شنيع

لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع[٢].[٣]

فصل

وجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله ، وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه ، فقال تعالى ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾[٤].

وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ، ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء ، وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة ما يحبه.[٥]

ومن علامات محبة النبي ﷺ حب من أحبه الله ورسوله ﷺ ، قال ابن رجب رحمه الله: وكذلك حب الأشخاص ؛ الواجب فيه أن يكون تبعا لما جاء به الرسول ﷺ ، فيجب على المؤمن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عموما ، ولهذا كان من

---

[١] «جامع العلوم والحكم» ، شرح الحديث الحادي والأربعين.

[٢] هذا البيت وإن كان مُتَعلقه حب الله عز وجل فإن مطرد في حق النبي ﷺ ، لأن كلا المحبتين مستلزمة للأخرى.

[٣] «جامع العلوم والحكم» ، شرح الحديث الحادي والأربعين ، باختصار يسير.

[٤] سورة القصص: ٥٠ .

[٥] المرجع السابق.

علامات وجوده حلاوة الإيمان أن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ويحرم موالاة أعداء الله ومن يكرهه الله عموما ، وبهذا يكون الدين كله لله ، ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان ، ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصا في إيمانه الواجب ، فيجب عليه التوبة من ذلك والرجوع إلى اتباع ما جاء به الرسول ﷺ من تقديم محبة الله ورسوله وما فيه رضا الله ورسوله على هوى النفس ومراداتها كلها.[1]

فصل

ومن علامات محبة النبي ﷺ بغض من أبغضه الله ورسوله ﷺ ، قال تعالى ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ ، وقال ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة﴾ إلى قوله ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

والمؤمن عليه أن يعادي في الله ، ويوالي في الله ، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه ، فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية ، قال تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما

[1] المرجع السابق ، باختصار.

بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين * إنما المؤمنون إخوة﴾ ، فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي والأمر بالإصلاح بينهم ...

وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك ، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك.

فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتاب ليكون الدين كله لله ، فيكون الحب لأوليائه ، والبغض لأعدائه ، والإكرام لأولياءه والإهانة لأعدائه ، والثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه.

وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور ، وطاعة ومعصية ، وسنة وبدعة ؛ استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر ، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة ، فيجتمع له من هذا وهذا ، كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته ، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة.[1]

فصل

(والناس باعتبار الحب والبغض والولاء والبراء ينقسمون إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: من يُحَب جملة ، وهو من آمن بالله ورسوله ، وقام بوظائف الإسلام ومبانيه العظام ، علماً وعملاً واعتقادا ، وأخلص أعماله وأفعاله وأقواله لله ، وانقاد لأوامره ، وانتهى عما نهى الله عنه ورسوله ، وأحب في الله ، ووالى في الله ، وأبغض في الله ، وعادى في الله ، وقدم قول رسول الله ﷺ على قول كل أحد كائناً من كان.

---

[1] «مجموع الفتاوى» (٢٨/٢٠٨ – ٢٠٩) ، باختصار يسير.

الصنف الثاني: من يحب من وجه ويبغض من وجه ، وهو المسلم الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، فيُحَب ويوالى على قدر ما معه من الخير ، ولا يُبغض أكثر مما يصلح ، وإذا أردت الدليل على ذلك ؛ فهو في قصة ذلك الرجل من الصحابة والذي كان يشرب الخمر ، فأُتي به إلى رسول الله ﷺ ، فلعنه رجل وقال: ما أكثر ما يؤتى به ، فقال النبي ﷺ : لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله.

الصنف الثالث: من يُبغَض جملة ، وهو من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ولم يؤمن بالقدر خيره وشره ، وأنه كُلُّه بقضاء الله وقدره ، وأنكر البعث بعد الموت ، أو أنكر أحد أركان الإسلام الخمسة ، أو أشرك بالله في عبادته أحداً من الأنبياء والأولياء والصالحين ، وصرف لهم نوعاً من أنواع العبادة ، كالحب والدعاء والخوف والرجاء والتعظيم والتوكل والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر والإنابة والذل والخضوع والخشية والرغبة والرهبة والتعلق ، أو ألحَد في أسمائه وصفاته واتبع غير سبيل المؤمنين ، وانتحل ما كان عليه أهل البدع والأهواء المُضِلَّة ، وكذلك من قامت به نواقض الإسلام العشرة أو أحدهما).[١]

ومن دلائل الصدق في محبة النبي ﷺ تمني رؤية النبي ﷺ في الآخرة وصحبته ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: مِن أشد أمتي لي حباً ؛ ناسٌ يكونون بعدي ، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله.[٢]

ومن دلائل الصدق في محبة النبي ﷺ الاجتهاد في الأعمال التي تقرب لرؤية النبي ﷺ في الآخرة وصحبته ، مثل التحلي بالأخلاق الفاضلة ، فعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهِقون.

---

[١] «إرشاد الطالب» للشيخ سليمان بن سحمان ، ص ١٩ ، بتصرف يسير جدا.

[٢] رواه مسلم (٢٨٣٢).

قالوا: يا رسول الله ، قد علِمنا الثرثارون والمتشدقون ، فما المُتفيهقون؟

قال: المتكبرون.

قال الترمذي: والثرثار هو الكثير الكلام ، والمتشدق الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو[1] عليهم.[2]

ومن أسباب صحبة النبي ﷺ في الآخرة كفالة اليتيم ، بأن يضمه إلى عِياله ، فعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ : أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا) ، وأشار بالسبابة والوسطى ، وفرج بينهما شيئا.[3]

فصل

وقد ضرب السلف أروع الأمثلة في تشوقهم للقاء النبي ﷺ ، فقد روى أبو يعلى في مسنده عن الحسن البصري عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جنبِ خشبةٍ يُسند ظهره إليها ، فلما كثر الناس قال: (ابنوا لي منبرا) ، فبنوا له منبرا له عَتَبتان ، فلما قام على المنبر يخطب حنَّت الخشبة إلى رسول الله ﷺ ، قال أنس: وإني في المسجد ، فسمعت الخشبة حين حنَّت حنين الوالِه[4] ، فما زالت تَحِنُّ حتى نزل إليها رسول الله ﷺ فاحتضنها فسكنت ، قال:

---

[1] أي يتلفظ بالكلام البذيء.

[2] رواه الترمذي (٢٠١٨) ، وصححه الألباني.

[3] رواه البخاري (٥٣٠٣) ، وأحمد (٥/٣٣٣).

[4] الوَلَه ذهاب العقل ، والتحير من شدة الوجد. انظر «النهاية».

فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال: يا عباد الله ، الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقا إليه لمكانه من الله ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه.[1]

فصل

والذنوب تُنقِص من محبة الله تعالى ورسوله بقدرها ، فكلما كثرت الذنوب وعظمت دل هذا على نقص في محبة النبي ﷺ ، ولكنها لا تزيل المحبة لله والرسول زوالا كليا إلا إذا كانت عن كفر ونفاق أكبر ، كما في صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث حِمار الذي كان يشرب الخمر ، وكان النبي ﷺ يقيم عليه الحد ، فأُتي به يوما ، فأمر به فجُلد ، فقال رجل من القوم: (اللهم العنه ، ما أكثر ما يؤتى به) ، فقال النبي ﷺ : (لا تلعنه ، فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله)[2] ، أي الذي علمت أنه يحب الله ورسوله ، لأن «ما» هنا موصولة بمعنى «الذي».
فهذا الحديث يفيد أن المعصية لا تزيل المحبة زوالا كليا إلا إذا بلغت درجة الكفر ، وفي الحديث دلالة على أنا منهيون عن لعنة أحد بعينه وإن كان مذنباً ، إذا كان يحب الله ورسوله.[3]

فصل

وفضائل محبة النبي ﷺ كثيرة ، منها أن من أحب النبي ﷺ كان معه في الآخرة ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة؟
قال: وماذا أعددت لها؟

---

[1] رواه أبو يعلى (١٤٢/٥) (٢٧٥٦) ، والترمذي مختصرا (٣٦٢٧) ، ورواه ابن ماجه (١٤١٤) عن أبي بن كعب ، واللفظ لأبي يعلى.

[2] رواه البخاري (٦٧٨٠).

[3] «قاعدة في المحبة» ، ص ٢٥٩ ، وتقع في «جامع الرسائل» لابن تيمية ، المجموعة الثانية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم.

قال: لا شيء ، إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ .

قال: أنت مع من أحببت.

قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ : أنت مع من أحببت.

قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر ، وأرجو أن أكون معهم بِحُبِّي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.[1]

وروي عن الشعبي قال: جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ، فقال: لأنت أحب إلي من نفسي وولدي وأهلي ومالي ، ولولا أني آتيك فأراك لظننت أني سأموت ، وبكى الأنصاري.

فقال له النبي ﷺ : ما أبكاك؟

قال: ذكرت أنك ستموت ونموت ، فترفع مع النبيين ، ونحن إن دخلنا الجنة كنا دونك.

فلم يخبره النبي ﷺ بشيء ، فأنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء﴾ إلى قوله ﴿عليما﴾.

فقال: أبشر.[2]

فصل

والأسباب المعينة على حب النبي ﷺ متعددة ، وأهمها أربعة:

الأول: تذكر تضحياته لأمته وشفقته عليهم ، فقد لقي النبي ﷺ في سبيل نشر الإسلام أذىً عظيما ، ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أنها قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟

---

[1] رواه البخاري (٣٦٨٨) ومسلم (٢٦٣٩).

[2] أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (١٣٠٧/٤).

فقال: لقد لقيت من قومك ، **وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة** ، إذ عَرضت نفسي على ابن عبدِ ياليل بن عبد كِلال ، فلم يُجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفِق إلا بـ (قرن الثعالب) ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني ، فقال: (إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بَعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم) ، قال: فناداني ملك الجبال ، فسلم علي ثم قال: يا محمد ، إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك ، فما شئت؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين[1].

فقال له رسول الله ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ، لا يشرك به شيئاً.[2]

وقال ربيعة بن عِباد: رأيت رسول الله ﷺ وهو يدعو الناس إلى الإسلام بذي المجاز[3] ، وخلفه رجل أحول يقول: لا يغلبنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم.

قلت لأبي وأنا غلام: من هذا الأحول الذي يمشي خلفه؟

قال: هذا عمه أبو لهب.[4]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين ؛ آثر النبي ﷺ ناسا ، أعطى الأقرع مائة من الإبل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى ناسا ، فقال رجل: ما أريد بهذه القسمة وجه الله!

[1] الأخشب هو الجبل الغليظ ، والمقصود بالأخشبان هنا هما جبلان عظيمان بمكة ، وهما أبو قبيس والأحمر. انظر «النهاية».

[2] رواه البخاري (٣٢٣١) ومسلم (١٧٩٥) ، واللفظ لمسلم.

[3] ذي المجاز سوق مشهور من أسواق الحجاز ،كان يقام في الجاهلية.

[4] رواه عبد الله أحمد في زوائده على مسند أبيه (٤٩٢/٣) ، وقال محققو المسند: حديث صحيح.

فقلت: لأخبرن النبي ﷺ .

قال: رحم الله موسى ، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر.[1]

الثاني: ومما يقوي محبة النبي ﷺ تذكر شفقته العظيمة على أمته من الهلاك الأخروي ، كما قال تعالى ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا ، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، فجعل الرجل يزَعهن[3] ويغلِبنه فيقتحمن فيها ، فأنا آخذ بِحُجزكم[4] عن النار وأنتم تَقَحَّمون[5] فيها.[6]

الثالث: ومما يقوي محبة النبي ﷺ معرفة صفاته الحميدة وأخلاقه الطيبة ، والكلام في هذا يطول جدا ، ولكن يكفي القول بأنه ليس ثمة صفة حميدة إلا وقد تحلى بها النبي ﷺ ، وما من خلق سيء إلا والنبي ﷺ منزه عنه ، ويكفي في هذا الباب قوله تعالى ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[7] .

ومن أعظم صفات النبي ﷺ الصدق والعفو ، فقد شهد له أعداؤه بصفة الصدق ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ ؛ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فِهر ، يا بني عدي ، لبطون قريش ، حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن

---

[1] رواه البخاري (٤٣٣٦) ومسلم (١٠٦٢).

[2] سورة التوبة: ١٢٨ .

[3] أي يدفعها ويطردها.

[4] حُجَزِكم جمع حُجزة وهي موضع شد الإزار. انظر «النهاية».

[5] تقحَّمون أي ترمون بأنفسكم فيها من غير روية ولا تثبت. انظر «النهاية».

[6] رواه البخاري (٦٤٨٣) ، ومسلم (٢٢٨٤).

[7] سورة القلم: ٥ .

يَخرج أرسل رسولا لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقي؟

قالوا: نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقا.

قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا؟

فنزلت ﴿تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾.[1]

وروى الطبري عن السدي في قوله ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ الآية[2]:

التقى الأخنس وأبو جهل ، فخلا الأخنس بأبي جهل فقال: يا أبا الحكم ، أخبرني عن محمد ، أصادق هو أم كاذب ، فإنه ليس هاهنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا.

فقال أبو جهل: ويحك ، **والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط** ، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة ، فماذا يكون لسائر قريش؟

فذلك قوله ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾.

فآيات الله ؛ محمد ﷺ .

ولما أخبر النبي ﷺ خديجة رضي الله عنها أنه خشي على نفسه لما أتاه جبريل في غار حراء ؛ قالت له: كلا أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبدا ، فوالله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتَحمِلُ

---

[1] رواه البخاري (٤٧٧٠) ، ومسلم (٢٠٨).

[2] سورة الأنعام: ٣٣ .

الكَلّ[1] ، وتَكسِب المعدوم[2] ، وتَقري الضيف[3] ، وتُعين على نوائب الحق.[4]

وسأل هرقل أبا سفيان عن النبي ﷺ ؛ هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فقال أبو سفيان: لا ، فقال هرقل: أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.[5]

وأما العفو فقد ضرب النبي ﷺ أعظم الأمثلة في ذلك ، وقد أتى ذِكر هذه الخصلة في النبي ﷺ في التوراة والإنجيل قبل أن يُرى هذا عيانا منه ﷺ ، فعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة.

قال: أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ، ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾ ، وحرزا للأميين[6] ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخّاب[7] في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا «لا إله إلا الله» ، ويفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غُلفا.[8]

---

[1] تحمل الكل أي تحمل عن الناس ما يُثقلهم من أعباء الدنيا. انظر «النهاية».

[2] تَكسِب المعدوم أي تعطيه ، والمعدوم هو الذي لا مال عنده. انظر «النهاية».

[3] تَقري الضيف أي تكرمه.

[4] رواه البخاري (٤٩٥٣) ، ومسلم (١٦٠).

[5] رواه البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣).

[6] أي حافظا لدينهم. انظر «تفسير غريب ما في الصحيحين» للحميدي.

والأميين هم العرب بالإجماع ، قاله الشنقيطي في تفسير قوله تعالى من سورة البقرة ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليم آياتك ويزكيهم﴾ الآية.

[7] سخاب ويصح صخاب ، والسخب هو الصياح والضوضاء والجلبة ، أي ليس ممن ينافس في الدنيا وجمعها ، فيحضر الأسواق لذلك ، ويصخب معهم في ذلك. انظر «تفسير غريب ما في الصحيحين».

[8] رواه البخاري (٢١٢٥).

ومن أعظم صفات النبي ﷺ أنه يعفو ويصفح ، وهذه لا يستطيعها إلا ذو خلق عظيم ، وسجايا كريمة ، فقد قال عنه أهل مكة أنه ساحر ، وشاعر ، ومجنون ، وصابئ ، وضرب على عقبه ، وخُنِق بسلا الجزور[1] ، وكسرت رباعيته ، ودمي وجهه الشريف ، ثم لما أمكنه الله من أهل مكة بعدما فعلوا به ما فعلوا قال لهم: يا أهل مكة ، ما ترون أني فاعل بكم؟

قالوا: خيرا ، أخٌ كريم وابن أخٍ كريم.

ثم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

فأعتقهم رسول الله ، وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة ، وكانوا له فيئا ، فبذلك يُسمَّى أهل مكة «الطلقاء».[2]

ولما تُوُفي رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ، أتى النبي ﷺ قبره بعدما دفن ، فأخرجه فنفث فيه من ريقه ، وكفنه في قميصه ، وصلى عليه صلاة الجنازة ، وكان هذا قبل نزول النهي عن الصلاة على الكفار ، قال ابن عمر: لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ ، فسأله أن يعطيه قميصه ، أن يكفن فيه أباه ، فأعطاه ، ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه ، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ، أَتُصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟

فقال رسول الله ﷺ : إنما خيَّرني الله فقال ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾ وسأزيد على سبعين.

---

[1] الجزور هو البعير ، ذكرا كان أم أنثى ، وسلاه هي الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد من المواشي ، قاله العيني في «عمدة القاري» ، كتاب الجهاد والسير ، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة.

[2] رواه الطبري في «تأريخه» ، ذكر الخبر عن فتح مكة ، وانظر «أخبار مكة» (١٢١/٢) للأزرقي.

قال: إنه منافق ، فصلى عليه رسول الله ﷺ ، وأنزل الله عز وجل ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره﴾.[1]

فإن قيل: فلماذا صلى عليه النبي ﷺ ونفَث عليه من ريقِه وكفَّنه بقميصه؟

فالجواب أن عبد الله بن عبد الله بن أبي – الصحابي الجليل – طلب من النبي ﷺ ذلك ، فإنه كان صحابيا صالحا ، فلم يردُّه تطيبيا لقلبه ، ولم يكن ﷺ يرد سائلا.

وقيل: إنما أعطاه قميصه مكافأة له لأنه كان ألبس العباس حين أُسر يوم بدر قميصا.

قال النووي رحمه الله: إن النبي ﷺ أعطاه قميصه ليكفن فيه ، وفي هذا الحديث بيان عظيم مكارم أخلاق النبي ﷺ ، فقد علم ما كان من هذا المنافق من الإيذاء ، وقابله بالحسنى ، فألبسه قميصه كفنا ، وصلى عليه ، واستغفر له ، قال الله تعالى ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾. انتهى.[2]

الرابع: ومما يقوي محبة النبي ﷺ الإكثار من قراءة كتب السيرة النبوية والمطالعة فيها ، وتذكر أحوال الرسول ﷺ وأعماله وجهاده وتكوينه للمجتمع الإسلامي.

ومن الكتب التي ينصح بمطالعتها كتاب «السيرة» لابن إسحاق ، وكتاب «الفصول في سيرة الرسول ﷺ » لابن كثير ، و «السيرة النبوية» لابن هشام ، و «الرحيق المختوم» للمباركفوري ، و «مختصر سيرة الرسول ﷺ» للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وكتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ » للقاضي عياض رحمه الله ، وكتاب «السيرة النبوية الصحيحة» للدكتور أكرم ضياء العمري وهو كتابٌ قمة في التوثيق العلمي ، ونحوها من الكتب.

---

[1] رواه البخاري (١٢٦٩) ، ومسلم (٢٤٠٠) واللفظ له.

[2] «شرح صحيح مسلم».

فصل

وقد ضرب السلف أروع الأمثلة في حب النبي ﷺ وتقديمه على النفس والأهل والمال ، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع وقال لي: إن رأيته فأقرئه مني السلام وقل له: يقول لك رسول الله: كيف تجدك؟

قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته وهو في آخر رمق وبه سبعون ضربة ، ما بين طعنة برمح ، وضربة بسيف ، ورمية بسهم ، فقلت له: يا سعد ، إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك: خبِّرني كيف تجدك.

قال: على رسول الله السلام وعليك السلام ، قل له: يا رسول الله ، أجِدُني أجد ريح الجنة ، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يُخلص[١] إلى رسول الله ﷺ وفيكم شُفرٌ[٢] يَطرِف[٣].

قال: وفاضت نفسه رحمه الله.[٤]

وسأَل أبو سفيان بن حرب – وهو على الشرك حينذاك – زيد بن الدثنة رضي الله عنه حينما أخرجه أهل مكة من الحرم ليقتلوه: أنشدك الله يا زيد ، أتحب محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وإنك في أهلك؟

قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي.

---

[١] أي يصل إليه من أراده ، والمقصود هنا من أراده بسوء. انظر «النهاية».

[٢] الشفر بالضم وقد يفتح هو حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر. انظر «النهاية».

[٣] الطرف هو تحريك الجفون. انظر «لسان العرب».

[٤] رواه الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٢٠١/٣) ، وابن إسحاق في «السيرة» (٣١٤/٣) (٥١٧) ، في ذكر أخبار غزوة أحد.

فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً.[1]

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ ولا أجلّ في عيني منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه.[2]

وروى ابن جرير في «تاريخه» عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال: مر رسول الله بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله بـ «أحد» ، فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله؟

قالوا: خيرا يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين.

قالت: أرِنيه حتى أنظر إليه.

فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل.[3]

ولقد حكّم الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله ﷺ في أنفسهم وأموالهم قبيل غزوة بدر لما دنا المشركون منهم فقال سعد بن عبادة: والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى «برَك الغماد» لفعلنا.[4]

بل كان بعض السلف يبكي إذا ذكر النبي ﷺ ، فقد سُئل مالك: متى سمعت من أيوب السختياني؟

---

[1] انظر «السيرة النبوية» لابن هشام ذكر يوم الرجيع ، سنة ثلاث ، وعزاه لسيرة ابن إسحاق.

[2] رواه مسلم (١٢١).

[3] رواه ابن إسحاق في «السيرة» ، كما في «السيرة النبوية» لابن هشام ، غزوة أحد.

وكلمة «الجلل» من الأضداد ، تقال للأمر الهين والعظيم ، والمقصود هنا الهين. انظر «النهاية» .

[4] رواه مسلم (١٧٧٩) عن أنس رضي الله عنه.

قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان»:

وبِرَكِ الغِماد – بكسر الغين – موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر ، وقيل بلد باليمن.

فقال: حَجَّ حِجتين ، فكنت أرمُقُهُ ولا أسمع منه ، غير أنه كان إذا ذكر النبي ﷺ بكى حتى أرحمُه ، فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي ﷺ كتبت عنه.[1]

فصل

ومن تلبيس الشيطان على بعض الجهلة وأهل الأهواء أن زين لهم فعل أمور ليست من الدين يزعمون أنها من تمام المحبة له ، وهذا جهل عظيم ، لأن المحبة تقتضي التسليم للمحبوب ، وتتبع آثاره ، والوقوف عند أمره ونهيه ، والحرص على عدم النقص أو الزيادة في دينه ، ومن هذا ما يسمى بـ «المولد النبوي» ، وفي خاتمة هذا البحث المبارك جواب عن هذه الظاهرة ، والله المستعان.

[1] ذكره ابن عبد البر في «التمهيد» ، كتاب الصلاة ، باب ما يفعل من سلم من ركعتين ساهيا ، وذكره أبو الوليد الباجي في «التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح» ، باب أيوب.

الحق الحادي عشر: توقيره ﷺ

جاءت الأدلة في الكتاب والسنة على وجوب توقير النبي ﷺ ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه﴾[1] ، وقال تعالى ﴿فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه وأتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾[2].

قال ابن تيمية: فالإيمان بالله والرسول ، والتعزير والتوقير للرسول ، والتسبيح بكرة وأصيلا لله وحده.[3]

قال ابن جرير رحمه الله: معنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنصرة والمعونة ، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال.[4]

وقال شيخ الإسلام: التعزير ؛ اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه.[5]

وقال ابن جرير الطبري: فأما التوقير فهو التعظيم والإجلال والتفخيم.[6]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «التوقير» اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام ، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار.[7]

---

[1] سورة الفتح: ٩ .

[2] سورة الأعراف: ١٥٧ .

[3] «مجموع الفتاوى» (٣٠٧/١) ، باختصار يسير.

[4] «تفسير الطبري» ، سورة الفتح ، آية ٩ .

[5] «الصارم المسلول» (٨٠٣/٣).

[6] «تفسير الطبري» ، سورة الفتح ، آية ٩ .

[7] «الصارم المسلول» (٨٠٣/٣).

ومن دلائل توقير الله تعالى لنبيه ﷺ ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (أنه خصه في المخاطبة بما يليق به ، فقال ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾ ، فنهى أن يقولوا: يا محمد أو يا أحمد أو يا أبا القاسم ، ولكن يقولون: يا رسول الله ، يا نبي الله.

وكيف لا يخاطبونه بذلك ، والله سبحانه وتعالى أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحداً من الأنبياء ، فلم يدعه باسمه في القرآن قط ، بل يقول ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها﴾ ، ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين﴾ ، ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك﴾ ، ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ ، ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ ، ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ ، ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ ، ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ ، ﴿يا أيها المزمل * قم الليل﴾ ، ﴿يا أيها المدثر * قم فأنذر﴾ ، ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾.

مع أنه سبحانه قال ﴿وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك﴾ الآية ، ﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾ ، ﴿يا نوح إنه ليس من أهلك﴾ ، ﴿يا إبراهيم أعرض عن هذا﴾ ، ﴿يا موسى إني اصطفيتك على الناس﴾ ، ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ ، ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ ، ﴿يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس﴾ ، ﴿يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك﴾).[1] انتهى.

ومن دلائل توقير الله لنبيه ﷺ تحريم نكاح أزواجه من بعده أبدا ، كما قال تعالى ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما﴾.

وتعظيم النبي ﷺ وتوقيره يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح ، فأما تعظيم القلب فيكون باستشعاره لهيبة النبي ﷺ وجلالَة قدْره وعظيم شأنه ، واستحضاره لمحاسنه ومكانته ومنزلته ، والمعاني الجالبة

---

[1] «الصارم المسلول» (٣/٨٠٣ - ٨٠٦).

لحبه وإجلاله وكل ما من شأنه أن يجعل القلب ذاكراً لحقه من التوقير والتعزير ، ومعترفاً به ومذعناً له.

فالقلب مَلِك الأعضاء ، وهي له جند وتبع ، فمتى ما كان تعظيم النبي ﷺ مستقراً في القلب مسطورًا فيه على تعاقب الأحوال ؛ فإن آثار ذلك ستظهر على الجوارح حتماً لا محالة ، وحينئذ سترى اللسان يجري بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه ، وترى باقي الجوارح متبعة لشرعه وأوامره ، ومؤدية لما له من الحق والتكريم.

وأما تعظيم اللسان للنبي ﷺ فيكون بالثناء عليه بما هو أهله مما أثنى به عليه ربه وأثنى على نفسه من غير غلو ولا تقصير ، ومن أعظم ذلك الصلاة والسلام عليه ﷺ ، فقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يصلوا على النبي ﷺ ، فقال تعالى ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾.

ومن تعظيم اللسان كذلك أن نتأدب عند ذكره بألسنتنا ، وذلك بأن نقرن ذِكر اسمه بلفظ النبوة أو الرسالة ، مع الصلاة والسلام عليه ﷺ .

ومن تعظيم اللسان ؛ تعداد فضائله وخصائصه ومعجزاته ودلائل نبوته ، وتعريف الناس بسنته وتعليمهم إياها ، وتذكيرهم بمكانته ومنزلته وحقوقه ، وذكر صفائه وأخلاقه وخِلاله ، وما كان من أمر دعوته وسيرته وغزواته ، والتمدح بذلك شعراً ونثراً ، بشرط أن يكون ذلك في حدود ما أمر به الشارع الكريم ، مع الابتعاد عن مظاهر الغلو والإطراء المحظور.

وقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة في توقير النبي ﷺ وتعظيمه فلم يكن من عادة الصحابة رضوان الله عليهم أن يتجادلوا في مجلس النبي ﷺ أو يرفعوا أصواتهم بنقاش أو حوار ، عملا بقول الله تعالى ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم

لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾[1] ، بل يعطون لهذا المجلس حقه من التشريف والاحترام.

وفي الآية دليل على أن سوء الأدب مع النبي ﷺ من الذنوب التي توجب حبوط العمل.

وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: كنا إذا قعدنا عند رسول الله ﷺ لم نرفع رؤوسنا إليه إعظاماً له.[2]

ولما بعثت قريش أبا سفيان إلى رسول الله ﷺ وقدم المدينة ؛ دخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه ، فقال: يا بُنيَّة ، أرغِبتِ[3] بهذا الفراش عني أم بي عنه؟

فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ ، وأنت امرؤ نجس مشرك.[4]

فأكرمت أم حبيبة فراش رسول الله ﷺ أن يجلس عليه أبوها ، فهل بعد هذا التوقير من توقير؟

وعن أسامة بن شريك قال: أتيت رسول الله ﷺ فإذا أصحابه عنده كأن على رؤوسهم الطير ، الحديث.[5]

فهذه العبارة هي كناية عن التعظيم الذي كانوا يظهرونه في مجلس الرسول ﷺ توقيراً وإجلالاً له صلوات الله وسلامه عليه.

---

[1] سورة الحجرات: ٢ .

[2] رواه الحاكم (١/١٢١) ، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٦٥٨).

[3] أي هل فضلتيه عليَّ؟

[4] رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» ، ذكر أزواج رسول الله ﷺ (٨/٢٩٢) ، والبيهقي في «الدلائل» (٥/٨).

[5] رواه النسائي في «الكبرى» (٧٥٥٣) ، وأبو داود (٣٨٥٥) ، والبيهقي في «الشعب» (٢/٢٠٠) ، واللفظ للنسائي ، وصححه الألباني رحمه الله.

وقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في تعظيم قدر النبي ﷺ التعظيم الشرعي ، ومن هذا ما رآه عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه لما أتى للتفاوض مع النبي ﷺ في صلح الحديبية ، وكان إذ ذاك مشركاً ، فرأى من تعظيم الصحابة ما هاله ، فقال عندما رجع إلى قريش: أيْ قومِ ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت مِلِكاً[1] قط **يعظمه** أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يُحِدُّون النظر إليه تعظيماً له.[2]

---

[1] أي: ما رأيت مِلِكا ...

[2] رواه البخاري (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢).

الحق الخامس: التحاكم لشريعته ﷺ

ومن حقوق الرسول ﷺ التحاكم لشريعته ، والرضى بحكمه رضا قلبيا كاملا والاستسلام لها ، فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً.[1]

والرضا كلمة تجمع القبول والانقياد ، فلا يكون الرضا إلا حيث يكون التسليم المطلق والانقياد الكامل ظاهراً وباطناً لما جاء به الرسول ﷺ من ربه.

وقال تعالى ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾[2] ، وقال تعالى ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾[3].

فقه الآيتين:

"كلا الآيتين توجبان التسليم الكامل والانقياد التام من أهل الإيمان لِما حَكم به الله تعالى وحكم به رسوله ﷺ ، فليس في ذلك اختيار ، بل السمع والطاعة والقبول والتسليم بما جاء عن الله ورسوله.

ومن الملاحظ في كلا الآيتين أن الخطاب فيهما لأهل الإيمان ، ففي الآية الأولى ﴿إنما كان قول المؤمنين﴾ ، وفي الثانية ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ ، وهذا التخصيص للمؤمنين فيه من الدلالة ما فيه ، فاسم الإيمان يُشعر بأن هذا المطلوب منهم من موجبات الاسم الذي نُسبوا إليه ، ولذلك فإنه يجب على كل من يؤمن بالله ورسوله ﷺ أن يضع هاتين الآيتين وأمثالهما من الآيات الموجبة للامتثال

---

[1] رواه مسلم (٣٤).

[2] سورة النور: ٥١ .

[3] سورة الأحزاب: ٢٦ .

لأمر الله ورسوله ﷺ نصب عينيه ، فيسمع ويطيع ، ويؤمن بأنه لا اختيار له في ذلك ولا رأي ، بل التسليم المطلق الذي لا يصاحبه شك ولا ارتياب.

فهذه حقيقة الإيمان ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله ، التي تعني طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

ومثل هذه الآيات هي الفاصل بين دعوى الإيمان الحقيقية التي هي للمؤمنين الصادقين ، وبين دعوى الإيمان الزائفة الباطلة التي هي سمة المنافقين الكاذبين ، المظهرين خلاف ما يُبطنون". [1]

ومن الأدلة كذلك على وجوب التحاكم لشريعة الله قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾[2].

وقال الله تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾[3].

قال ابن تيمية رحمه الله: فكل من خرج عن سنة رسول الله ﷺ وشريعته ؛ فقد أقسم الله بنفسه المقدسة أنه لا يؤمن حتى يرضى بحكم رسول الله ﷺ في جميع ما شجر بينهم من أمور الدين والدنيا ، وحتى لا يبقى في قلوبهم حرج من حكمه ، ودلائل القرآن على هذا الأصل كثيرة.[4]

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يُحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور ، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا

---

[1] «حقوق النبي ﷺ على أمته» ، ص ١٨٤ – ١٨٥ .

[2] سورة النساء: ٥٩ ، وانظر ما قاله الشنقيطي رحمه الله في تفسير الآية الكريمة.

[3] سورة النساء: ٦٥ .

[4] «مجموع الفتاوى» (٤٧١/٢٨).

وظاهرًا ، ولهذا قال ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ ، أي إذا حكّموك يطيعونك في بواطنهم ، فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به ، وينقادون له في الظاهر والباطن ، فيسلموا لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة. انتهى.

وقال ابن القيم رحمه الله: أقسم سبحانه بأجلِّ مقسَمٍ به – وهو نفسه عز وجل – على أنهم لا يَثبت لهم الإيمان ولا يكونون من أهله حتى يحكموا رسوله ﷺ في جميع موارد النزاع ، وهو كل ما شجر بينهم من مسائل النزاع في جميع أبواب الدين ، فإن لفظة «ما» من صيغ العموم ، فإنها موصولة ، تقتضي نفي الإيمان إذ لم يوجد تحكيمه في جميع ما شجر بينهم.

ولم يقتصر على هذا حتى ضم اليه انشراح صدورهم بحكمه ، بحيث لا يجدون في أنفسهم حرجا – وهو الضيق والحصر[1] – من حكمه ، بل يتلقوا حكمه بالإنشراح ويقابلوه بالتسليم ، لا أنهم يأخذونه على إغماض[2] ويشربونه على إقذاء[3] ، فإن هذا مناف للإيمان ، بل لابد أن يكون أخذه بقبول ورضى وانشراح صدر.

ومتى أراد العبد أن يعلم منزلته من هذا فلينظر في حاله ، وليطالع قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه ، أو على خلاف ما قلد فيه أسلافه من المسائل الكبار وما دونها ، ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره﴾.

---

[1] الحصر هو الحبس ، والمقصود به هنا هو الضيق ، لأن المحبوس يضيق بحبسه. انظر «النهاية».

[2] الإغماض هو التنقص لقيمة الشيء. انظر «المعجم الوسيط».

[3] الإقذاء من القذى ، وهو الشوائب التي تكون في الشراب ، والمقصود هو السكوت على الذل كما يشرب الإنسان من الماء الذي فيه شوائب وهو كاره لذلك ، متصبر عليه.

فسبحان الله ، كم من حـزازة في قلوب كثير من الناس من كثير من النصوص ، وبودِهم أن لو لم ترِد ، وكم من حزازة في أكبادهم منها ، وكم من شجى في حلوقهم منها ومن موردها ، ستبدو لهم تلك السرائر بالذي يسوء ويخزي يوم تبلى السرائر.

ثم لم يقتصر سبحانه على ذلك حتى ضم إليه قوله تعالى ﴿ويسلموا تسليما﴾ ، فذكر الفعل مؤكّدا له بمصدره القائم مقام ذكره مرتين ، وهو الخضوع له والانقياد لما حَكم به طوعا ورضا وتسليما ، لا قهرا ومصابرة ، كما يُسلِّم المقهور لمن قهره كَرها ، بل تسليم عبد مطيع لمولاه وسيده الذي هو أحب شيء إليه ، ويعلم أن سعادته وفلاحه في تسليمه إليه ، ويعلم بأنه أولى به من نفسه ، وأبر به منها ، وأرحم به منها ، وأنصح له منها ، وأعلم بمصالحه منها ، وأقدر على تحصيلها.

فمتى علم العبد هذا من الرسول ﷺ ؛ استسلم له ، وسلَّم إليه ، وانقادت كل ذرة من قلبه إليه ، ورأى أنه لا سعادة له إلا بهذا التسليم والانقياد.[١]

وقال أيضا رحمه الله كلاما نفيسا في «الصواعق المرسلة»:

وقد أقسم سبحانه بنفسه المقدسة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم ، ولا يكفي ذلك في حصول الإيمان حتى يزول الحرج من نفوسهم بما حكم به في ذلك أيضا ، حتى يحصل منهم الرضا والتسليم ، فقال تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ ، فأكد ذلك بضروب من التأكيد:

أحدها: تصدير الجملة المقسم عليها بحرف النفي المتضمن لتأكيد النفي المقسَم عليه[٢] ، وهو في ذلك كتصدير الجملة المثبتة بـ «إن».

---

[١] «الرسالة التبوكية» ، ص ٨٠ – ٨٣ .

[٢] أي قوله ﴿فلا﴾.

الثاني: القسم بنفسه سبحانه.

الثالث: أنه أتى بالمقسم عليه بصيغة الفعل الدالة على الحدوث ، أي لا يقع منهم إيمان ما حتى يحكموك.

الرابع: أنه أتى في الغاية بـ «حتى» دون «إلا» المُشعِرة بأنه لا يوجد الإيمان إلا بعد حصول التحكيم ، لأن ما بعد «حتى» يدخل فيما قبلها.

الخامس: أنه أتى المحَكّم فيه بصيغة الموصول الدالة على العموم ، وهو قوله ﴿فيما شجر بينهم﴾ ، أي في جميع ما تنازعوا فيه من الدقيقة والجليلة.

السادس: أنه ضم إلى ذلك انتفاء الحرج ، وهو الضيق من حكمه.

السابع: أنه أتى بهِ نكرةً في سياق النفي ، أي لا يجدون نوعا من أنواع الحرج البتة.

الثامن: أنه أتى بذكر ما قضى به بصيغة العموم ، فإنها إما مصدرية ، أي من قضائك ، أو موصولة ، أي من الذي قضيته ، وهذا يتناول كل فرد من أفراد قضائه.

التاسع: أنه لم يكتف منهم بذلك حتى يُضيفوا إليه التسليم ، وهو قدر زائد على التحكيم وانتفاء الحرج ، فما كل من حكَّم انتفى عنه الحرج ، ولا كل من انتفى عنه الحرج يكون مسلِّما منقادا ، فإن التسليم يتضمن الرضا بحكمه والانقياد له.

العاشر: أنه أكَّد فعل التسليم بالمصدر المؤكد.[1]

وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير الآية: وهذا شامل لتحكيمه[2] في أصول الدين

---

[1] «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (١٥٢٠ – ١٥٢١).

[2] أي النبي ﷺ ، والمقصود بتحكيمه تحكيم شريعته.

وفي فروعه ، وفي الأحكام الكلية ، والأحكام الجزئية.[1]

وضد التحاكم إلى الشريعة الإعراض عنها ، وهذا من علامات الزيغ والنفاق ، قال الله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليكم وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً ﴾[2].

---

[1] «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» ، ص ٣٩ ، بتصرف يسير.

[2] سورة النساء: ٦٠ – ٦١ .

الحق الثالث عشر: الأدب معه ﷺ حيا وميتا

من الآداب مع النبي ﷺ إذ كان حيا نداءه بلفظ الرسالة أو النبوة ، وضده النداء والإشارة إليه باسمه مجردا ، وقد نهى الله قوماً كانوا ينادونه باسمه: (يا محمد) كما ذكره كثير من المفسرين ، يجئ التوجيه إلى هذا الأدب في قوله تعالى ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾[1] .

ومن الآداب أيضا عدم رفع الصوت واللغط في مسجده بعد مماته ، لاسيما عند قبره ، فقد روى البخاري رحمه الله عن السائب بن يزيد ، قال: كنت في المسجد فحصبني رجل[2] ، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب ، فقال: اذهب فأتني بهذين فجئته بهما ، قال: من أنتما ؟ – أو: من أين أنتما ؟ – قالا: من أهل الطائف.

قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ ؟.[3]

ولهذا قال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام ، لأنه محترم حياً وفي قبره ﷺ دائماً.

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» في تفسير سورة الحجرات عند قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ ، قال رحمه الله:

---

[1] النور: ٦٣ .

[2] أي رماني بالحصباء ، وهو الحصى.

[3] رواه البخاري (٤٧٠).

ومعلوم أن حرمة النبي ﷺ بعد وفاته كحرمته في أيام حياته ، وبه نعلم أن ما جرت به العادة اليوم من اجتماع الناس قرب قبره ﷺ وهم في صخب ولغط ، وأصواتهم مرتفعة ارتفاعاً مزعجاً ؛ كله لا يجوز ولا يليق ، وإقرارهم عليه من المنكر. انتهى.

قال مقيده عفا الله عنه: والدليل على قبح رفع الصوت عند النبي ﷺ هو ما رتبه الله تعالى على ذلك في آية الحجرات المتقدمة ﴿أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾.

وقد بلغ الصحابة الغاية في احترام النبي ﷺ والتأدب معه ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبواب النبي ﷺ كانت تُقرع بالأظافير.[1]

وضد الأدب مع النبي ﷺ إيذاءه ، وإيذائه كفر – عياذا بالله – ، ومن أسباب لعنة الله ، وقد قرن الله تعالى إيذاء النبي ﷺ بإيذائه تعالى ، قال تعالى في سورة الأحزاب ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا﴾[2].

ومن مظاهر إيذاء النبي ﷺ سبه أو سب صحابته أو زوجاته أو سب دينه أو الاستهزاء بشيء منها أو التقليل من شأنها ، وسيأتي في هذا البحث المبارك – إن شاء الله – ذكرٌ لألوان من مظاهر إيذاء النبي ﷺ عند الكلام عن حقوق صحابة النبي ﷺ وزوجاته.

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»[3]: اعلم أن عدم احترام النبي ﷺ المُشعِر بالغض منه أو تنقيصه ﷺ والاستخفاف به أو الاستهزاء به ؛ ردة عن الإسلام وكفر بالله ، وقد قال تعالى في

---

[1] رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٨٠) ، والبيهقي في «الشعب» (٢٠١/٢) ، وهو مخرج في «الصحيحة» (٢٠٩٢).

[2] الأحزاب: ٥٧ .

[3] تفسير سورة الحجرات ، الآية ٣ .

الذين استهزءوا بالنبي ﷺ وسخروا منه في غزوة تبوك لما ضلت راحلته ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل إبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾. انتهى.

الحق الرابع عشر: الدعاء للنبي ﷺ

الدعاء للنبي ﷺ يتضمن أربعة أمور ؛ الصلاة عليه ، والسلام عليه ، والدعاء له بالوسيلة والفضيلة ، والدعاء له بأن يبعثه الله مقاما محمودا.

الأمر الأول: الصلاة على النبي ﷺ ، وفيها خمسة مباحث:

1. **معنى الصلاة على النبي ﷺ**
2. **مكانة الصلاة على النبي ﷺ**
3. **صفة الصلاة على النبي ﷺ**
4. **مواطن الصلاة على النبي ﷺ**
5. **فضائل الصلاة على النبي ﷺ**

تفصيل

1. معنى الصلاة على النبي ﷺ

معنى الصلاة على النبي ﷺ : الدعاء له بالرحمة وشريف المنزلة ، فإن الصلاة تأتي بمعنى الدعاء كما في قوله تعالى ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم ,تزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾[1] .
ومعنى الصلاة على النبي ﷺ من الله: رحمته والثناء عليه في الملأ الأعلى.
ومعنى الصلاة على النبي ﷺ من الملائكة الدعاء له بالرحمة ، والثناء عليه.
قال أبو العالية: صلاة الله ؛ ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء.[2]
قال الحليمي[3]: معنى الصلاة على النبي ﷺ تعظيمه ، فمعنى قولنا (اللهم صل على محمد) ؛ عظِّم محمدًا ، والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته ، وفي الآخرة بإجزال مثوبته

---

[1] التوبة: 103 .

[2] رواه البخاري تعليقا في صحيحه في تفسير سورة الأحزاب.

[3] نقله ابن حجر عنه في «فتح الباري» ، كتاب الدعوات ، باب الصلاة على النبي ﷺ ، ولم يذكر الحافظ اسم الحليمي كاملا ، فلعله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم القاضي ، أبو عبد الله الحليمي البخاري.
قال الحاكم: أوحد الشافعيين بما وراء النهر ، وأنظرهم وآدبهم بعد أستاذيه أبوي بكر القفال والأودني.
وكان مقدما فاضلا كبيرا ، له مصنفات مفيدة ينقل منها الحافظ أبو بكر البيهقي كثيرا.
ولد سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، ومات في جمادى – وقيل في ربيع الأول – سنة ثلاث وأربعمائة.
ومن تصانيفه «شعب الإيمان».
انظر «الطبقات» لابن قاضي شهبة (1 / 178، 179) ، و «الأعلام» (253/2) و «وفيات الأعيان» (403/1) ، و«تذكرة الحفاظ» (1030/3).

وتشفيعه في أمته وإبداء فضيلته بالمقام المحمود ، وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى ﴿صلوا عليه﴾ ؛ أدعوا ربكم بالصلاة عليه. انتهى.

فهي من الله إكرام وتعظيم ومحبة وثناء على نبيه ﷺ ، ومن الناس والملائكة ثناء عليه أيضا ، وطلب من الله أن يعلي ذكره ، ويزيده تعظيمًا وتشريفًا.

قال ابن تيمية رحمه الله: الصلاة عليه تتضمن ثناء الله عليه ، ودعاء الخير له ، وقربته منه ، ورحمته له.

والسلام عليه يتضمن سلامته من كل آفة.

فقد جمعت الصلاة عليه والتسليم جميع الخيرات.

ثم إنه يصلي سبحانه عشرا على من يصلي عليه مرة ، حضاً للناس على الصلاة عليه ، ليسعدوا بذلك ، وليرحمهم الله بها.[1]

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير آية الأحزاب ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾: والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى ، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين ، وأن الملائكة تصلي عليه ، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا.[2]

---

[1] «الصارم المسلول» (801/3).

[2] تفسير سورة الأحزاب ، الآية 56 .

قال البيهقي في «الشعب»: أمر الله تعالى عباده أن يصلوا عليه ويسلموا بعد إخبارهم بأن ملائكته يصلون عليه ، لينبههم بذلك على ما فيها من الفضل ، إذ الملائكة – مع انفكاكهم من شريعته – تتقرب إلى الله تعالى بالصلاة والتسليم عليه ، فهي في حق عباده أولى وأحق.[1]

2. مكانة الصلاة على النبي ﷺ

ورد في شأن الصلاة على النبي ﷺ كثير من الأحاديث التي تبين مشروعيتها وكيفيتها ومواطنها وفضلها إلى غير ذلك من الجوانب المتعلقة بها.

وقد روى هذه الأحاديث جمع من الصحابة رضي الله عنهم ، وقد عدَّهم ابن القيم في كتابه «جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام» فبلغوا اثنين وأربعين صحابياً.

وقد جمع ابن القيم هذه الأحاديث ، وبيَّن طرقها وصحيحها من حسنها ومعلولها ، وما في معلولها من العلل بياناً شافياً.

وقبل الدخول في كيفية الصلاة على النبي ﷺ ، فإنه يجدر التنبيه إلى أن الصلاة على النبي ﷺ واجبة إذا ذكر ، ومما يدل على ذلك ؛ أنه قد ورد الترهيب من ترك الصلاة عليه إذا ذكر في حديثين:

قوله ﷺ : البخيل الذي من ذُكرت عنده فلم يُصل علي.[2]

---

[1] «شعب الإيمان» (207/2) ، بتصرف يسير.

[2] رواه ابن حبان (189/3) ، والنسائي في «الكبرى» (9800) ، كتاب عمل اليوم والليلة ، باب من البخيل ، والترمذي (3546) ، وأحمد (201/1) ، عن حسين بن علي بن أبي طالب ، وصححه الألباني ، وقال الشيخ شعيب: إسناده قوي.

وقوله: رغِم[1] أنف رجل ذُكرت عنده فلم يُصل علي.[2]

وقال الشافعي رحمه الله: يُكره للرجل أن يقول: قال الرسول ، ولكن يقول: قال رسول الله ﷺ ، تعظيماً لرسول الله ﷺ .[3]

3. صفة الصلاة على النبي ﷺ

ورد في السنة الصحيحة عدة صفات للصلاة على النبي ﷺ ، وهي كالتالي:

عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة رضي الله عنه فقال: ألا أهدي لك هدية؟ إن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا: يا رسول الله ، قد عِلمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.[4]

ولفظ مسلم: كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

وعن طلحة بن عبيد الله قال: قلت يا رسول الله ، كيف الصلاة عليك؟

قال: قل: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.[5]

---

[1] الرَّغام هو التراب ، والمقصود الدعاء عليه بالإهانة بأن يلصق أنفه في التراب.

[2] رواه الترمذي (3545) وأحمد (254/2) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه محققو «المسند» ، وقال الألباني: حسن صحيح.

[3] «ذم الكلام وأهله» (188/4) ، رقم (972).

[4] رواه البخاري (6357) ، ومسلم (406).

[5] مسند أحمد (162/1) ، وقال محققو المسند: إسناده قوي على شرط مسلم.

وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله ، كيف نُصلي عليك؟
قال: قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد.[1]
ولفظ مسلم: وعلى أزواجه ... الحديث.
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله ، هذا السلام عليك ، فكيف نصلي؟
قال: قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم.[2]
والملاحظ في هذه الأحاديث هو اختلاف ألفاظها ، وقد يتساءل المرء بأي هذه الألفاظ يدعو؟
فالجواب أن ينوِّع الألفاظ ، فيذكر هذه تارة وهذه تارة ، ليصيب السنة كلها ، إلا ما ورد في موطن معين فينبغي لزومه وعدم تغيير الفظ ، كلفظ الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة ، وسيأتي بيانه قريبا إن شاء الله.

4. مواطن الصلاة على النبي ﷺ

وردت الصلاة على النبي ﷺ في عدة مواطن ، وهي كالتالي:

الموطن الأول: في الصلاة في التشهد الأخير ، وقد ورد في التشهد عدة صيغ عن النبي ﷺ ، وقد جمعها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في كتابه «صفة صلاة النبي ﷺ ».

[1] رواه البخاري (6360) ، ومسلم (407).
[2] رواه البخاري (6358).

الموطن الثاني: في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية: والدليل على ذلك حديث أبي أمامة أنه أخبره رجل من أصحاب النبي ﷺ أن السنة في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام ، ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرا في نفسه ، ثم **يصلي على النبي ﷺ** ... الحديث.[1]

الموطن الثالث: في الخطب كخطبة الجمعة والعيدين ، والاستسقاء ، وغيرها.

والدليل على مشروعية الصلاة على النبي ﷺ في الخطبة ؛ ما رواه الإمام أحمد في المسند بسنده عن عون بن أبي جحيفة قال: كان أبي من شُرَط علي ، وكان تحت المنبر ، فحدثني أبي أنه صعد المنبر – يعني عليا – ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ .[2]

وقال ابن القيم: الصلاة على النبي ﷺ في الخطب أمراً مشهوراً معروفاً عند الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.[3]

الموطن الرابع: **الصلاة عليه بعد إجابة المؤذن وعند الإقامة** ، لما روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي ، فإن من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً ... الحديث.[4]

---

[1] رواه الشافعي في «مسنده» ، الباب الثالث والعشرون ، في الجنائز وأحكامها ، وصححه الألباني في «الجنائز» ، ص 155 .

[2] رواه عبد الله بن أحمد في زوائده على مسند أبيه (106/1) ، وقال محققو المسند: إسناده قوي.

[3] «جلاء الأفهام» ، الموطن الخامس من مواطن الصلاة على النبي ﷺ ، ص 441 .

[4] رقم (384).

الموطن الخامس: عند الدعاء

والدليل على ذلك حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: سمع رسول الله ﷺ رجلا يدعو في صلاةٍ لم يمجد الله ولم يصل على النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : عَجِلت أيها المصلي ، ثم علمهم رسول الله ﷺ .

وسمع رسول الله ﷺ رجلاً يصلي[1] ، فمجد الله وحمده وصلى على النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : ادع تجب وسلْ تعطَ.[2]

وفي رواية: أن النبي ﷺ قال للرجل: عَجِل هذا ، ثم دعاه ، فقال له ولغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ، ثم ليصل على النبي ﷺ ، ثم ليدع بعد بما شاء.[3]

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك ﷺ .[4]

الموطن السادس عند دخول المسجد وعند الخروج منه ، فقد ثبت عنه أنه كان إذا دخل المسجد صلى وسلم على رسول الله ﷺ ثم قال: اللهم افتح لي أبواب رحمتك.

---

[1] أي يدعو ، لأن الصلاة تأتي بمعنى الدعاء.

[2] رواه النسائي (1283) والترمذي (3476) وأبو داود (1331) ، عن فضالة بن عبيد ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن ، وصححه الألباني رحمه الله.

[3] رواه الترمذي (3477) ، وابن خزيمة (351/1) ، والبيهقي (148/2) ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني رحمه الله.

[4] رواه الترمذي (486) ، وصححه الألباني رحمه الله.

وإذا خرج صلى وسلم على رسول الله ﷺ ثم قال: اللهم افتح لي أبواب فضلك.[1]

والصلاة والسلام على النبي ﷺ مأثور عنه ﷺ وعن غير واحد من الصحابة والتابعين ، فقد روى ابن أبي شيبة السلام على النبي ﷺ عن عبد الله بن سلام وعلقمة وإبراهيم النخعي رحمهم الله ، إلا إبراهيم النخعي فقد روى عنه الصلاة أيضا.[2]

الموطن السابع: **أثناء السعي بين الصفا والمروة** ، فعن وهب بن الأجدع قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمكة وهو يخطب الناس قال: إذا قدم الرجل منكم حاجاً فليطف بالبيت سبعاً ، وليصل عند المقام ركعتين ، ثم ليبدأ بالصفا ، فيستقبل البيت فيكبر سبع تكبيرات ، بين كل تكبيرتين حمدا لله وثناء عليه وصلى على النبي ﷺ ، وسأل لنفسه ، وعلى المروة مثل ذلك.[3]

الموطن الثامن: **عند اجتماع القوم قبل تفرقهم** ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ما جلس قوم مجلساً فلم يذكروا الله ولم يصلوا على نبيه ﷺ إلا كان مجلسهم عليهم ترة[4] يوم القيامة ، إن شاء عفا عنهم ، وإن شاء آخذهم.[5]

---

[1] انظر سنن ابن ماجه (771) والترمذي (314) وابن أبي شيبة (3412) ، وصححه الألباني رحمه الله دون جملة المغفرة الواردة في تلك الروايات ، انظر «صحيح الترمذي».

[2] «المصنف» (3415 – 3418).

[3] رواه البيهقي (94/5) (9343) ، ورواه ابن أبي شيبة (14501) مختصرا ، وحسنه صاحب «جامع الآثار الصحيحة عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه» ، ص 159.

[4] أي نقص. انظر «النهاية».

[5] رواه أحمد (484/2) ، والترمذي (3380) ، وصححه محققو «المسند» ، والألباني كما في «السلسلة الصحيحة» (156/1).

الموطن التاسع يوم الجمعة ، فعن أوس بن أبي أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم عليه السلام ، وفيه قُبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا علي من الصلاة ، فإن صلاتكم معروضة علي ، قالوا: يا رسول الله ، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرِمت – أي يقولون: قد بليت – ؟
قال: إن الله عز وجل قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام.[1]

5. فضائل الصلاة على النبي ﷺ [2]

ذكر ابن القيم رحمه الله في الباب الرابع من كتابه القيم «جلاء الأفهام» عدداً من الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ ، أنتقي منها ما يلي:

1. **الفائدة الأولى:** امتثال أمر الله تعالى بالصلاة والسلام عليه الوارد في قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾.

ثم إن صلاة العبد على النبي ﷺ دعاء ، والدعاء عبادة مستقلة ، أمر بها الله ، ويؤجر عليها العبد.

2. **الفائدة الثانية:** أن الصلاة والسلام على النبي ﷺ من **الذكر** المستحب ، ومن المعلوم أن الذكر من أفضل الأعمال وأزكاها.

---

[1] رواه النسائي (1373) ، وأبو داود (1047) ، وابن ماجه (1085) ، وأحمد (8/4) ، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود».

[2] استفدت هذه الفوائد من كتاب «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ » ، الباب الرابع في الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ .

3. **الفائدة الثالثة:** حصول عشر صلوات من الله على من صلى على النبي صلاة واحدة ، كما قال ﷺ : من صلى عليَّ صلاة ؛ صلى الله عليه بها عشراً.[1]

والجزاء من جنس العمل ، فمن أثنى على رسول الله ﷺ ؛ جزاه الله من جنس عمله ، بأن يثني عليه ويزيد تشريفه وتكريمه.

4. **الفائدة الرابعة والخامسة والسادسة:** أنه يُرفع عشر درجات ، ويُكتب له عشر حسنات ، ويُمحى عنه عشر سيئات ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ، وحُطت عنه عشر خطيئات ، ورفعت له عشر درجات.[2]

5. **الفائدة السابعة: أنها سبب لمغفرة الذنوب وكفاية العبد ما أهمه** ، فعن أبي بن كعب عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال:

يا أيها الناس ، اذكروا الله ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة ، تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه ، جاء الموت بما فيه.

قال أبي: قلت يا رسول الله ، إني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي؟

فقال: ما شئت.

---

[1] تقدم تخريجه.

[2] رواه النسائي (1297) ، وصححه الألباني رحمه الله.

وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنه ، رواه ابن أبي شيبة (8698).

وفي الباب أيضا عن أبي بردة رضي الله عنه ، رواه البزار (260/9) ، والبيهقي في «الدعوات الكبير» ، باب في فضل الصلاة على النبي ﷺ .

قال: قلت: الربع؟

قال: ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك.

قلت: النصف؟

قال: ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك.

قال: قلت: فالثلثين؟

قال: ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك.

قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟

قال: إذاً تُكفى همك ، ويُغفر لك ذنبك.[1]

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

6. **الفائدة الثامنة: أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة له** ، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي ، فإنه من صلى عليَّ صلاة ؛ صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة.[2]

[1] رواه الترمذي (2457) ، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ » (14) بنحوه ، وأحمد (136/5) مختصرا ، وحسنه الألباني رحمه الله كما في «الصحيحة» (954).

[2] رواه مسلم (384).

7. **الفائدة التاسعة: أنه يُرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه ، فهي تُصاعِد الدعاء إلى رب العالمين** ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد منه شيء ، حتى تصلي على نبيك ﷺ .[1]

8. **الفائدة العاشرة:** أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها ، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به ، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه ؛ تضاعف حبه له ، وتزايد شوقه إليه ، واستولى على جميع قلبه.

وإذا أعرض عن ذكره وإحضاره وإحضار محاسنه بقلبه ؛ نقص حبه من قلبه ، ولا شيء أقر لعين العبد المحب من رؤية محبوبه ، ولا أقرّ لقلبه من ذكرِه[2] وإحضار محاسنه ، فإذا قوي هذا في قلبه جرى

---

[1] تقدم تخريجه.

[2] والمقصود بالذكر هنا الذكر المشروع ، وعلى رأسه الصلاة والسلام عليه ﷺ ، امتثالاً لأمر الله تعالى الوارد في قوله ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾.

ويدخل ضمن الذكر المشروع تعداد فضائله وخصائصه وما وهبه الله من الصفات والأخلاق والخِلال الفاضلة ، وما أكرمه به من المعجزات والدلائل ، وذلك من أجل التعرف على مكانته ومنزلته والتأسي بصفاته وأخلاقه ، وتعريف الناس وتذكيرهم بذلك ، ليزدادوا إيماناً ومحبة له ﷺ ولكي يتأسوا به.

أما التمدح الذي يتجاوز به حدود بشريته ، ليُصرف له شيء من الأمور الخاصة بالله عز وجل ؛ فهذا محرم بلا شك ، كما فعل بعض الغلاة في أشعارهم ومدائحهم للنبي ﷺ كمحمد البوصيري في قصيدة «البردة» وغيره.

ومن الأمور المنهي عنها ؛ الذكر المقترن بالغناء وأدوات اللهو والطرب والرقص ، وهذا هو الذكر البدعي الذي عليه حال أرباب الطرق والتصوف ، وقد وافقهم على ذلك كثير من عوام الناس ظناً منهم أن فعل مثل هذه الأمور هو الطريق إلى تحقيق محبة النبي ﷺ ، وهو في الحقيقة ليس إلا محادّة لله ورسوله ، ومما أحدث في دين الله ، وقد تبرأ ﷺ ممن أحدث في الدين ، حيث قال: من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد.

لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه ، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه.

9. **الفائدة الحادية عشرة: أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه** ، فإنه كلما أكثر من الصلاة عليه وذكره استولت محبته على قلبه ، ومحبة النبي ﷺ من أسباب حياة القلوب.

10. **الفائدة الثانية عشر: أنها سبب لعرض صلاة المصلي عليه ﷺ** ، كما دل على هذا قوله ﷺ : (إن صلاتكم معروضة علي) ، وكفى بالعبد شرفا أن تعرض صلاته على رسول الله ﷺ .

11. **الفائدة الثالثة عشرة: أنها سبب لرد النبي ﷺ على المصلي صلاته وسلامه.**

12. **الفائدة الرابعة عشرة: أن في الصلاة عليه ﷺ أداءً لأقل القليل من حقه** ، وشكرًا له على نعمته التي أنعم الله بها علينا ، مع أن الذي يستحقه من ذلك لا يحصى علماً ولا قدرة ولا إرادة ، ولكن لله سبحانه وتعالى لكرمه رضي عن عباده باليسير من شكره وأداء حقه.

13. **الفائدة الخامسة عشرة: أنها سبب لطيب المجلس وزكاته** ، بخلاف المجلس الذي لا يصلى فيه على النبي ﷺ فإنه يعود حسرة على أهله يوم القيامة ، كما تقدم في حديث أبي هريرة رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ : ما جلس قوم مجلساً فلم يذكروا الله ولم يصلوا على نبيه ﷺ إلا كان مجلسهم عليهم ترة[1] يوم القيامة ، إن شاء عفا عنهم ، وإن شاء آخذَهم.[2]

---

[1] أي نَقص. انظر «النهاية».

[2] تقدم تخريجه.

14. **الفائدة السادسة عشرة**: أنها تنفي عن قائلها وصف البخل الذي وصف به من لم يصل على النبي ﷺ ، فعن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال: البخيل الذي من ذُكرت عنده فلم يُصل علي.[1]

15. **الفائدة السابعة عشرة** أنها تنجي قائلها من دعوة النبي ﷺ عليه برُغم أنفه[2] إذا ذكر عنده ولم يصلِّ عليه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : رَغِم أنف رجل ذُكرت عنده فلم يُصلِّ علي.[3]

---

[1] تقدم تخريجه.

[2] أي التصاقه بالتراب ، والمقصود هو الدعاء بالإذلال لمن دُعي عليه ، لأن الذي يرغم قهرا على أن يلامس أنفه التراب هو في الحقيقة مستذل ومستصغر.

[3] تقدم تخريجه.

الأمر الثاني: السلام عليه ﷺ

جاء الحث في الأدلة المتقدمة من الكتاب والسنة بالسلام على النبي ﷺ مقترنا بالأمر بالصلاة عليه ، فلا داعي من إعادة الأدلة هنا.

والسلام عليه ﷺ تعني تحيته بتحية الإسلام ؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، قاله ابن جرير في تفسير آية الأحزاب (56).

ولفظ السـلام يتضمن معنيين ؛ **أحدهما** ذكر الله تـعالى ، لأن (السلام) اسم من أسماء الله تعالى ، فعلى هذا يكون معنى قول القائل (السلام عليكم) ؛ أي نزلت بركة اسم الله عليكم وحلّت بكم.[1]

والثاني طلب السلامة ، والسلامة تشمل السلامة من الآفات الدينية والدنيوية.

ويدخل في السلامة أيضا الأمن من فزع اليوم الأكبر ، لأن الفزع من الآفات الأخروية.

قال ابن جرير رحمه الله: وقوله ﴿وسلام على المرسلين﴾[2] ؛ يقول: وأمنةٌ من الله للمرسلين الذين أرسلهم إلى أممهم الذي ذكرهم في هذه السورة وغيرهم من فزع يوم العذاب الأكبر وغير ذلك من مكروهٍ أن ينالهم من قِبل الله تبارك وتعالى.[3] انتهى

وتسليم الله على أنبياءه من الجزاء بالمثل ، لسلامة ما قالوه في ربهم لأقوامهم من الخطأ والزلل ، ولتوقيهم الذنوب والمعاصي وسلامتهم منها.

---

[1] قاله ابن القيم في «بدائع الفوائد» ، مسألة (سلام عليكم ورحمة الله) ، (610/2).

[2] سورة الصافات ، الآية 181 .

[3] وانظر ما قاله عماد الدين ابن كثير وابن سعدي في تفسيريهما للآية ، وكذا الشوكاني في «فتح القدير» ، وابن الجوزي في «زاد المسير» ، وكذا ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (5/3) ، (130/3) ، (37/6) ، وابن القيم في «بدائع الفوائد» ، مسألة (سلام عليكم ورحمة الله) ، (615/2).

ويستفاد من الآية الكريمة أن يُسلم المسلم على جميع الأنبياء أيضا ولا يَهجر ذلك ، ﴿وسلام على المرسلين﴾.

وتسليم المسلم على من لقيه من إخوانه إذا لقيهم هو أفضل تحية يحيي بها المسلم إخوانه ، وهو من غاية الإكرام لهم ، وبها يحيي الله تعالى عباده المؤمنين ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ ، جعلنا الله منهم.

فائدة

قال النووي رحمه الله: إذا صلى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم ، ولا يقتصر على أحدهما ، فلا يقول (صلى الله عليه) فقط ، ولا (عليه السلام فقط).[1]

قال ابن كثير رحمه الله: وهذا الذي قاله منتزع من هذه الآية الكريمة وهي قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾.[2]

فإن قيل: فلم نصلي في التشهد الأخير ولا نسلم؟

فالجواب أن التسليم سبق في أول التشهد في قوله (السلام عليك أيها النبي ...).

ذكره النووي في «شرح مسلم».

---

[1] كتاب «الأذكار» ، باب صفة الصلاة على رسول الله ﷺ .

[2] تفسير القرآن العظيم ، سورة الأحزاب ، نهاية تفسيره للآية 56 .

فائدة في بيان أن المشتغلين بالحديث النبوي هم أكثر الناس صلاة وسلاما على النبي ﷺ

قال أبو نعيم الأصبهاني[1] رحمه الله: (لا يُعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على رسول الله ﷺ أكثر مما يُعرف لهذه العصابة نسخا وذِكرا)[2] ، قوله (عصابة) أي عصابة علماء الحديث ، ونسخا أي كتابة ، فليس أحد أكثر منهم كتابة للفظ الصلاة والتسليم على النبي ﷺ ، كما أنه ليس أحد أكثر منهم ذكرا ، أي صلاة وسلاما على النبي ﷺ باللسان ، لأنهم يمرون بذكره كلما قرؤوا حديثا ، فيصلون عليه.

فائدة في حكم الصلاة على غير النبي ﷺ

قال ابن كثير في تفسير آية الأحزاب ، (ص 1082) فيما يتعلق بالصلاة على غير النبي ﷺ :
الصلاة على غير الأنبياء إن كانت على سبيل التبعية كما في الحديث (اللهم صل على محمد وآلِه وأزواجه وذريته) فهذا جائز بالإجماع.
وإذا أُفرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم فقد قال قائلون بالجواز ، واستدلوا بقول الله تعالى ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ ، وبقوله ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ ، وبقوله ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم﴾ الآية ، وبحديث عبد الله بن أبي أوْفى قال: كان

---

[1] هو الحافظ الكبير محدث العصر ، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن البناء ، مات سنة 430 . انظر «تذكرة الحفاظ» (197/3).

[2] رواه الخطيب البغدادي عنه في «شرف أصحاب الحديث» ، باب كون أصحاب الحديث أولى الناس بالرسول ﷺ لدوام صلاتهم عليه ﷺ .

رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال (اللهم صل عليهم) ، فأتاه أَبي بصدقته فقال: (اللهم صل على آل أبي أوفى)[1] ، وبحديث جابر قال: أتانا رسول الله ﷺ فنادته امرأتي فقالت: يا رسول الله ، صلِّ علي وعلى زوجي.
فقال: صلَّى الله عليكِ وعلى زوجِك.[2]

قال الجمهور من العلماء: لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة لأن هذا قد صار شعارا للانبياء إذا ذكروا ، فلا يلحق بهم غيرهم ، فلا يقال (قال أبو بكر صلى الله عليه) ، أو (قال علي صلى الله عليه) ، وإن كان المعنى صحيحا ، كما لا يقال (قال محمد عز وجل) ، وإن كان عزيزا جليلا ، لأن هذا من شعار ذِكر الله عز وجل ، وحملوا ماورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم ، ولهذا لم يثبت شعارا لآل أبي أوفى ، ولا لجابر وامرأته ، **وهذا مسلك حسن.**

وأما السلام فلا يفرد به غير الأنبياء ، فلا يقال علي عليه السلام ، وهذا مجمع عليه ، قاله أبو محمد الجويني.

وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ أن ينفرد علي رضي الله عنه بأن يقال عليه السلام من دون سائر الصحابة ، أو كرم الله وجهه ، وهذا وإن كان معناه صحيحا ؛ لكن ينبغي أن يُسوَّى بين الصحابة في ذلك ، فإن هذا من باب التعظيم والتكريم ، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه ، رضي الله عنهم أجمعين.[3]

---

[1] رواه البخاري (4166) ومسلم (1078).

[2] رواه ابن حبان (197/3) ، وأبو داود (1533) ، والنسائي في «الكبرى» (10184) ، وأحمد (398/3) ، وصححه الألباني رحمه الله والشيخ شعيب الأرناؤوط حفظه الله.

[3] باختصار من تفسير ابن كثير لآية الأحزاب: 56 .

الأمر الثالث والرابع: الدعاء له بالوسيلة والفضيلة وأن يبعثه الله مقاما محمودا الذي وعده

الأصل في هذه حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من قال حين يسمع النداء: (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ؛ آتِ محمدا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته) ؛ حلت له شفاعتي يوم القيامة.[1]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي ، فإنه من صلى عليَّ صلاة ؛ صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة.[2]

فالوسيلة هي منزلة عالية في الجنة كما في الحديث ، وأما (الفضيلة) ؛ فهي عموم الفضل والبركة والخير ، كما في دعاء التشهد: وبارك على محمد وعلى آل محمد ... الحديث.

قوله (مقاما محمودا) ، أي يُحمد القائم فيه[3] ، والمقام هو الشفاعة الكبرى لأهل الموقف للبدء الحساب ، والقائم هو النبي ﷺ ، ودليل ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : المقام المحمود ؛ الشفاعة.[4]

---

[1] رواه البخاري (614).

[2] تقدم تخريجه.

[3] قاله ابن حجر في «فتح الباري» عند شرح الحديث المذكور.

[4] رواه أحمد (478/2) ، وقال محققو «المسند»: حسن لغيره ، وكذا رواه ابن جرير في تفسير سورة الإسراء ، تفسير قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ ، آية 79 .

وروى ابن أبي خيثمة عن علي بن الحسين وابن عمر رضي الله عنه أن المقام المحمود هو شفاعة النبي ﷺ الشفاعة العظمى حين تنتهي إليه.[1]

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يُبعث الناس يوم القيامة ، فأكون أنا وأمتي على تلٍّ ، فيكسوني ربي حلة خضراء ، فأقول ما شاء الله أن أقول ، فذلك المقام المحمود.[2]

قال ابن جرير الطبري: قال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم.

ثم روى عدة أحاديث وآثار عن السلف تدل على ذلك.[3]

قال ابن الجوزي: والأكثر على أن المراد بالمقام المحمود ؛ الشفاعة.[4]

قال ابن حجر: هو المشهور.

وقال: ويظهر أن المراد بالقول المذكور[5] هو الثناء الذي يقدمه بين يدي الشفاعة ، ويظهر أن المقام المحمود هو مجموع ما يحصل له في تلك الحالة. انتهى.[6]

---

[1] «التاريخ الكبير» ، (204/1) ، تحقيق صلاح فتحي هلل ، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر.

[2] رواه ابن حبان (399/14) ، وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط ، وكذا ابن جرير في تفسير سورة الإسراء ، تفسير قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ ، آية 79 ، وكذا الشيخ الألباني كما في «السلسلة الصحيحة» (485/5).

[3] رواها في تفسير سورة الإسراء ، قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ ، آية 79 ، عن حذيفة وابن عباس وابن مسعود وسلمان الفارسي والحسن البصري وعم مجاهد من طريقين وقتادة.

[4] حكاه عنه ابن حجر في «فتح الباري» ، شرح الحديث المذكور.

[5] أي قوله (فأقول ما شاء الله أن أقول).

[6] «فتح الباري» ، شرح الحديث المذكور.

تنبيه: قال مجاهد في تفسير قوله ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما﴾: (يوسع له على العرش فيجلسه معه).

رواه ابن عبد البر في «التمهيد» ، كتاب القرآن ، باب الدعاء ، وكذا ابن جرير في «تفسيره» ، سورة الإسراء ، آية 79 .

وقوله في آخر الحديث: (حلت له شفاعتي) ؛ هذا من الجزاء بالمثل ، فلما دعا الداعي للنبي ﷺ أن يبعثه المقام المحمود ، وهو المقام الذي يشفع فيه للناس كلهم في البدء في فصل القضاء ؛ استحق بذلك أن يكون ممن يشفع لهم النبي ﷺ في تكفير السيئات ورفع الدرجات ، فاللهم اجعلنا ممن تدركه شفاعة نبيك ﷺ .

وقد تعقبه ابن عبد البر رحمه الله في «التمهيد» ، (كتاب القرآن ، باب الدعاء) فقال:

وهذا عندهم منكر في تفسير هذه الآية ، والذي عليه جماعة العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين أن المقام المحمود هو المقام الذي يشفع فيه لأمته.

وقد روي عن مجاهد مثل ما عليه الجماعة من ذلك ، فصار إجماعا في تأويل الآية من أهل العلم بالكتاب والسنة. انتهى.

ثم ذكر ابن عبد البر بعض الآثار عن السلف من الصحابة ومن بعدهم في تفسير المقام المحمود بالشفاعة ، كابن مسعود وسلمان الفارسي وحذيفة وقتادة ، ثم قال: وممن روي عنه أيضا أن المقام المحمود ؛ الشفاعة: الحسن البصري وإبراهيم النخعي وعلي بن الحسين بن علي ، وابن شهاب وسعيد بن هلال وغيرهم. انتهى.

وقال ابن جرير بعدما ساق القولين: وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ .

«تفسير الطبري» ، سورة الإسراء ، آية 79 .

وأما الحديث الوارد عن النبي ﷺ في أن المقام المحمود هو إجلاسه على العرش فضعيف ، انظر «السلسة الضعيفة» (865).

لطيفة: أدى الاختلاف في هذه المسألة إلى قتال ، قال ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» حوادث سنة 317 هجري:

وفيها وقعت فتنة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروذي الحنبلي وبين طائفة من العامة ، اختلفوا في تفسير قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ ، فقالت الحنابلة: (يُجلسه معه على العرش) ، وقال الآخرون: (المراد بذلك الشفاعة العظمى) ، فاقتتلوا بسبب ذلك ، وقتل بينهم قتلى ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد ثبت في صحيح البخاري أن المراد بذلك مقام الشفاعة العظمى ، وهي الشفاعة في فضل القضاء بين العباد ، وهو المقام الذي يرغب إليه فيه الخلق كلهم حتى إبراهيم ، ويغبطه به الأولون والآخرون. انتهى.

فائدة:

والأحاديث الواردة في الشفاعة العظمى متواترة ، رواها كثير من الصحابة منهم أنس وأبو هريرة وغيرهم ، وسنكتفي هنا بحديث أنس رضي الله عنه ، فقد روى عن النبي ﷺ قال: يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا[1] ، فيأتون آدم فيقولون:

أنت أبو الناس ، خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا.

فيقول: لست هناكم – ويذكر ذنبه فيستحي – ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. فيأتونه فيقول: لست هناكم – ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحي – فيقول: ائتوا خليل الرحمٰن ، فيأتونه فيقول: لست هناكم ، ائتوا موسى ، عبدا كلمه الله ، وأعطاه التوراة ، فيأتونه فيقول: لست هناكم ، ويذكر قتل النفس بغير نفس ، فيستحي من ربه ، فيقول: ائتوا عيسى عبد الله ورسوله ، وكلِمة الله وروحه ، فيقول: لست هناكم ، ائتوا محمدا ﷺ ، عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتونني فأنطلق حتى أستأذن على ربي فيؤذن لي ، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا ، فيدَعُني ما شاء الله ، ثم يقال: إرفع رأسك ، وسل تعطه ، وقل يسمع ، واشفع تُشفّع ، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع ... الحديث.[2]

---

[1] أي التمسنا من يشفع لنا إلى ربنا للبدء في فصل القضاء بين العباد ، والذين يقولون هذا هم عموم الناس من مؤمنين وكافرين بعد أن يضيق بهم الموقف ويشتد الحر.

[2] رواه البخاري (4476).

الحق الخامس عشر: توقير صحابته ﷺ

ومن حقوق النبي ﷺ ، ودلائل توقيره وبِرِّه ؛ توقير أصحابه وبِرِّهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم ، وحسن الثناء عليهم ، والاستغفار لهم ، والإمساك عما شجر بينهم ، ومعاداة من عاداهم ، والإعراض عن الأخبار القادحة في أحد منهم ، والتي نقلها بعض المؤرخين ، وجهلة الرواة ، وضلال الشيعة والمبتدعين ، وأن نلتمس لهم فيما نقل عنهم فيما كان بنيهم من الفتن أحسن التأويلات ، ويُخَرَّج لهم أصوب المخارج ، إذْ هم أهلٌ لذلك ، ولا يُذكر أحد منهم بسوء ولا يُعاب عليه أمر ، بل تُذكر حسناتهم وفضائلهم ، وحمِيد سيرتهم ، ويُسكت عما وراء ذلك.[1]

وقال أبو جعفر الطحاوي في عقيدته المسماة بـ «العقيدة الطحاوية»: ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا نُفرِط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير ، وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان. انتهى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ ، كما وصفهم الله في قوله تعالى ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم﴾[2].[3]

---

[1] بتصرف يسير من «الشفا» للقاضي عياض ، الفصل السادس: ومن توقيره وبره توقير أصحابه وبرهم.

[2] سورة الحشر: ١٠ .

[3] قاله في كتابه «العقيدة الواسطية».

والصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم ، وثنائه عليهم ، وثناء رسوله ﷺ عليهم ، قال ابن عبد البر: الصحابة كلهم عدول مرضيون ثقات أثبات ، وهذا أمر مجتمع عليه عند أهل العلم بالحديث.[1]

قال النووي في «التقريب»: الصحابة كلهم عدول ، مَن لابس الفتن وغيرهم ، بإجماع من يُعتد به.[2]

وقال الخطيب البغدادي[3] رحمه الله: عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم ، وإخباره عن طهارتهم ، واختياره لهم في نص القرآن ، فمن ذلك قوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾[4] ، وقوله تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾[5] .

وهذا اللفظ وإن كان عاماً ؛ فالمراد به الخاص.

وقيل هو وارد في الصحابة دون غيرهم.

ثم قال بعد ذكر عدة آيات وأحاديث في فضل الصحابة:

وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة ، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم ، فلا يَحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم ، المطلع على بواطنهم ، إلى تعديل أحد من الخلق له.

---

[1] «التمهيد» ، كتاب الصيام ، باب ما جاء في الصيام في السفر ، (٢/٢٢٤) ، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر.

[2] النوع التاسع والثلاثون.

[3] هو الحافظ الكبير الإمام محدث الشام والعراق أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، مات سنة ٤١٢ هـ . انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (٣/٢٢١).

[4] سورة آل عمران: ١١٠ .

[5] سورة البقرة: ١٤٣ .

ثم قال: على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل الـمُهَج[1] والأموال وقتل الآباء والأولاد ، والـمناصحة في الدين ، وقوة الإيمان واليقين ، القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم أفضل من جميع الـمُعَدّلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين.
هذا مذهب كافة العلماء ومن يُعتد بقوله من الفقهاء.[2] انتهى.

بم فَضُلَ الصحابة

الصحابة أناس اختارهم الله وشرفهم بصحبة نبيه ﷺ ، وخصهم في الحياة الدنيا بالنظر إلى النبي ﷺ وسماع حديثه من فمه الشريف ، وتلقي الشريعة وأمور الدين عنه ، وتبليغ ما بعث به رسول الله ﷺ من النور والهدى على أكمل الوجوه وأتمها ، فكان لهم الأجر العظيم لصحبتهم رسول الله ﷺ والجهاد معه في سبيل الله ، وأعمالهم الجليلة في نشر الإسلام والدعوة إليه ، ولهم من الأجر مثل أجور من بعدهم ، لأنهم الواسطة بينهم وبين رسول الله ﷺ ، ومن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً.
ولقد أوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقرة الإيمان واليقين ؛ القطع على عدالتهم ، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون بعدهم ، أبد الآبدين.

---

[1] المُهج جمع مُهجة ، وهي الروح. انظر «لسان العرب».
[2] «الكفاية في علوم الرواية» ، باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة وأنه لا يحتاج للسؤال عنهم ، وإنما يجب ذلك فيمن دونهم ، باختصار.

ولقد أثنى ربهم عليهم أحسن الثناء ، ورفع ذكرهم في التوراة والإنجيل والقرآن ، ووعدهم المغفرة والأجر العظيم ، فقال تعالى ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾.

وأخبر أنهم أحق بكلمة التقوى وأهلها كما في سورة الفتح ﴿وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها﴾.

وأخبر أن الناس إن آمنوا بمثل ما آمن به الصحابة فقد اهتدوا ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا﴾.

وشهد لهم الله تعالى أنهم المؤمنون حقا ، قال تعالى ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا **أولئك هم المؤمنون حقاً** لهم مغفرة ورزق كريم﴾.

وأمره بمشاورتهم ، تنبيهًا لمن بعدهم من الحكام على المشاورة في الأحكام ، فقال﴿وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾.

وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم ، وأن لا يجعلوا في قلوبهم غلاً للذين آمنوا ، فقال ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم﴾.

وأوضح أنهم خير القرون ، فقال ﷺ : خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم.[١]

ولفظ مسلم: خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم.

---

[١] رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وفي الحديث شهادته ﷺ لهم بأنهم خير الأمم.

وأجرُهم مضاعف على أجر من جاء بعدهم ، لقوله ﷺ : (لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه[1])[2].

قال ابن حجر في شرح الحديث:

(قال البيضاوي[3]: معنى الحديث: لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحدٍ ذهبا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصيفه ، وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص وصدق النية.

قلت: وأعظم من ذلك في سبب الأفضلية عِظم موقع ذلك لشدة الاحتياج إليه ، وأشار بالأفضلية بسبب الإنفاق إلى الأفضلية بسبب القتال ، كما وقع في الآية ﴿من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾ ، فإن فيها إشارة إلى موقع السبب الذي ذكرته ، وذلك أن الإنفاق والقتال كان قبل فتح مكة عظيما لشدة الحاجة إليه وقلة المعتني به ، بخلاف ما وقع بعد ذلك ، لأن المسلمين كثُروا بعد الفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا ، والله أعلم).[4]

---

[1] النصيف هو النصف ، والمد هو ربع الصاع ، يعني أن صدقة الصحابي لو كانت مُدًّا أعظم ثوابا ممن أتى بعده ولو كانت كجبل أحد ، وانظر «النهاية».

[2] رواه البخاري (٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه مسلم (٢٥٤٠).

[3] هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي ، أبو الخير ، ناصر الدين ، البيضاوي ، كان إماما علامة عارفا بالفقه والتفسير والأصلين والعربية ، نظارا صالحا متعبدا زاهدا شافعيا. انظر «طبقات المفسرين» للداوودي ، ص ١٧٣ ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

[4] باختصار من «فتح الباري».

وقد جاء في التنزيل ذكر رِضَى الله عنهم في موطنين من القرآن ، وهما قوله تعالى ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾[1] .

كما ورد الرضى عنهم في سورة التوبة ، قال تعالى ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾.[2]

وما أحسن قول عبد الله بن عمر رضي الله عنه: من كان مستناً فليستنن بمن قد مات ، أولئك أصحاب محمد ﷺ ، كانوا خير هذه الأمة ، أبرها قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفًا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، ونقلِ دينه ، فتشبَّهوا بأخلاقهم وطرائقهم ، فهم أصحاب محمد ﷺ ، كانوا على الهدى المستقيم.[3]

ولقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ فيما يدل على فضل الصحابة رضوان الله عليهم ووجوب تعظيمهم وإكرامهم وكونهم خير قرون هذه الأمة بعد النبي ﷺ ، ولقد عقد البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وكذا أهل السنن وغيرهم ، فصولا في فضائل الصحابة ، أوردوا فيها الكثير من الأحاديث الواردة في فضلهم ، وبعضهم أفرد كتبا مستقلة في فضائلهم ، كالنسائي وأحمد رحمهم الله.

---

[1] سورة الفتح: ١٨ .

[2] سورة التوبة: ١٠٠ .

[3] رواه أبو نعيم في «الحلية» (٣٧٩/١) ، ورواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٣٤/٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بنحوه.

وبناء على هذه النصوص فقد أجمعت الأمة على أن الصحابة رضي الله عنهم أفضل هذه الأمة بعد النبي ﷺ ، اعتمادا على النصوص المتواترة في الكتاب والسنة في بيان ذلك.

والحاصل أن الصحابة فَضُلوا على من بعدهم بإحدى عشر خصلة

١. اختيار الله لهم لصحبة نبيه ﷺ .
٢. رؤيتهم للنبي ﷺ وصحبتهم له.
٣. حب النبي ﷺ لهم.
٤. أنهم خير الناس قاطبة ، كما قال النبي ﷺ : خير الناس قرني ، ... الحديث.
٥. ذكر فضلهم وخيريتهم في التوراة والإنجيل والقرآن ، وثناؤها عليهم ، كما في قوله تعالى ﴿وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها﴾ ، وقوله ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا﴾ ، وقوله ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾
٦. سابقتهم في الإسلام.
٧. ما قدموا لله وللدين وللنبي ﷺ من النفس والمال والولد ، وشدهم من عزم الرسول ﷺ وتثبيته ، وتحملهم الأذى في سبيل قيام دين الإسلام.
٨. ما اتصفوا به من الصفات الحميدة ، التي تلقوها وتربوا عليها من مشكاة النبوة مباشرة.
٩. أن للخلفاء الراشدين منهم سنةً متبعةً.
١٠. حفظهم للقرآن والسنة وتبليغهما للناس ، وانتشارهما بسببهم في الآفاق إلى قيام الساعة.
١١. أنهم أعلم الخلق بدين الله بعد النبي ﷺ ، وما أجمعوا عليه لا يسع أحداً خلافه.

وأهل السنة والجماعة يقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم ، فيؤمنون بأن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ويثلثون بعثمان ، ويربعون بعلي رضي الله عنهم ، ويُقدمون المهاجرين على الأنصار ، ويُفضلون من أنفق قبل الفتح[1] وقاتل ، على من أنفق من بعده وقاتل ، ويؤمنون بأن الله تعالى قال لأهل بدر – وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر – (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[2] ، وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ، كما أخبر به ﷺ ، بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة ، ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة ، كالعشرة وغيرهم من الصحابة.

ومذهب أهل السنة والجماعة في الصحابة وسَطٌ بين الإفراط والتفريط ، فليسوا من المفرِّطين الغالين الذين يرفعون من يُعظمون منهم ما لا يليق إلا بالله أو برسله ، وليسوا من المفرِّطين الجافين الذين ينتقصونهم ويسبونهم ، فهم وسط بين الغلاة والجفاة.

ويحبونهم جميعاً ، وينـزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف ، فلا يرفعونهم إلى ما لا يستحقون ، ولا يقصرون بهم عما يليق بهم ، فألسنتهم رطبة بذكرهم بالجميل اللائق بهم ، وقلوبهم عامرة بحبهم ، وما صح فيما جرى بينهم من خلاف فهم فيه مجتهدون ، إما مصيبون ولهم أجر الاجتهاد وأجر الإصابة ، وإما مخطئون ولهم أجر الاجتهاد وخطؤهم مغفور ، وليسوا معصومين ، بل هم بشر يصيبون ويخطئون ، **ولكن ما أكثر صوابَهم بالنسبة لصواب غيرهم ، وما أقل خطأهم إذا نسب إلى خطأ غيرهم** ، ولهم من الله المغفرة والرضوان.

---

[1] أي فتح الحديبية.

[2] رواه البخاري (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٩٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقد انحرفت طوائف من المبتدعة في حق الصحابة رضي الله عنهم انحرافا عظيما ، فقدحوا فيهم ، وقللوا من شأنهم ، واتهموهم بالكذب والنفاق والخيانة ، ولم يعرفوا لهم فضلهم وسابقتهم ، وهم الرافضة قبحهم الله ومن سلك مسلكهم.

وهذا الفعل محرم ، لقوله ﷺ : (لا تسبوا أصحابي) ، فمن سب صحابيا أو صحابيين فلا شك في أنه آثم لأنه عصى النبي ﷺ وسب أصحابه ، وأما من طعن في عمومهم كما تفعل الرافضة ؛ فإن هذا كفر ، لأن الدين نُقل من طريقهم ، فمن طعن فيهم لزم من هذا الطعن فيما نقلوه ، من آيات وأحاديث ، وهذا كفر بيِّن.

والقدح في الصحابة رضي الله عنهم قدح في النبي ﷺ ، فهم خاصته وبطانته ، ولهذا قال ابن تيمية رحمه الله: فإن القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول قدح في الرسول عليه السلام ، كما قال مالك وغيره من أئمة العلم: هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله ﷺ ، إنما طعنوا في أصحابه ليقول القائل: (رجل سوء ، كان له أصحاب سوء ، ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين)![1]

وقال أبو زرعة الرازي ، وهو من أجل شيوخ الإمام مسلم:

إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا[2] ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح أولى بهم ، وهم زنادقة.[3]

---

[1] «مجموع الفتاوى» (٤/٤٢٩).

[2] الشهود هم العلماء ، والمقصود بالعلماء هنا خصوص علماء الصحابة ، فإن الزنادقة يطعنون فيهم لإسقاط الشريعة ، وقد وصف الله تعالى العلماء بأنهم شهداء في قوله ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم﴾.

[3] «تهذيب الكمال» ، ترجمة أبو زرعة الرازي.

وقد روى مسلم عن عروة قال: قالت لي عائشة: (يا ابن أختي ، أُمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم)[1] ، تشير إلى الاستغفار الوارد في قوله تعالى ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾.

والذين عُرف عنهم القدح في الصحابة هم فرقة الرافضة ، قبحهم الله ، قال ابن تيمية: وأما الرافضة فيطعنون في الصحابة ونقلهم ، وباطن أمرهم الطعن في الرسالة.[2]

والقدح في زوجات النبي ﷺ داخل في القدح في الصحابة ، وقد وقع في هذا بعض المنافقين ، فاتهموا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه بتهمة الزنا ، فبرأها الله عز وجل من ذلك في آيات تتلى إلى قيام الساعة ، ثم تبعهم على هذا الرافضة ، قبحهم الله ، وسيأتي الكلام على هذا في حق مستقل قريبا إن شاء الله.

وقد وردت خصوصية تفضيل لبعض أصناف من الصحابة ، وهذا التفضيل تفضيل جنس لا تفضيل عين ، فأفضل الصحابة جنسا هم **المهاجرون** ، قال تعالى في وصفهم ﴿للفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾[3].

---

[1] رواه مسلم (٣٠٢٢).

[2] «منهاج السنة النبوية» (٤٦٣/٣).

[3] سورة الحشر: ٨ .

ويجمع النص القرآني بين المهاجرين والأنصار ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنهم وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾[1].

وبعد المهاجرين يأتي الأنصار في المرتبة ، وقد قدمهم الله عليهم في الذكر كما في آيتي الحشر والتوبة اللتان تقدمتا.

والأنصار آووا النبي ﷺ ونصروه ، وجعلوا له منطلقا للدعوة إلى دين الإسلام ، فعن أنس رضي الله عنه قال: مرّ أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون ، فقال: ما يُبكيكم؟

قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا ، فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك ، قال: فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية بُرْدٍ ، قال: فصعد المنبر– ولم يصعده بعد ذلك اليوم – فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أوصيكم بالأنصار ، فإنهم كرشي وعيبتي[2] ، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم ، فاقبلوا من محسنهم ، وتجاوزا عن مسيئهم.[3]

بل تبلغ الدعوة إلى حب الأنصار أن جعل رسول الله ﷺ حبهم آية على الإيمان ، وبغضهم آية على النفاق ، فقال فيهم: لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ، من أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله.

---

[1] سورة التوبة: ١٠٠ .

[2] كرشي أي بطانتي وموضع سري وأمانتي ، واستعيرت الكرش لذلك لأنها مجمع الغذاء ، والعيبة هي ما يجمع فيه الإنسان نفيس ما عنده. انظر «فتح الباري».

[3] رواه البخاري (٣٧٩٩) ، ورواه مسلم (٢٥١٠) مختصرا عن أنس بن مالك.

وممن وردت النصوص بتفضيلهم من الصحابة وإجلالهم ؛ أهل بيت النبي ﷺ ، سواء كانوا من المهاجرين أو الأنصار ، فقد روى مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً ، بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ، ثم قال: أما بعد ، أيها الناس ، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثَقَلين[1]:

أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به.

فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال: وأهل بيتي ، وأذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي.[2]

وسيأتي مزيد كلام قريبا إن شاء الله في بيان من هم آل بيته ﷺ .

وسيأتي خصوص كلام في حق آل بيت النبي ﷺ في الحق الرابع عشر إن شاء الله.

وخلاصة القول أن القيام بحقوق الصحابة يتضمن أربعة أمور:

١. محبتهم والترضي عنهم ، كما أمر الله المؤمنين في قوله ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم﴾[3] .

---

[1] قال ابن الأثير رحمه الله: سماهما ثقلين ، لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل ، ويقال لكل خطير نفيس: ثقل ، فسماهما ثقلين ، إعظاما لقدرهما وتفخيما لشأنهما. انظر «النهاية».

وكلمة الثقلان تطلق أيضا على الجن والإنس.

[2] رواه مسلم (٢٤٠٨).

[3] سورة الحشر: ١٠ .

٢. الإيمان بأنهم أفقه الأمة بأمر دينها ، لأنهم تربوا على عين النبي ﷺ وعاينوا التنزيل ، ولهذا أخبر النبي ﷺ بأن للأربعة المقدمين منهم – وهم الخلفاء الراشدون – سنة متبعة ، ينبغي على من أتى بعدهم أن يتبعها ، قال رسول الله ﷺ : فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عَضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة.[1]

٣. الكف عما شجر بينهم.

٤. الذب عنهم مما قاله بعض المبتدعة فيهم ، كالروافض ومن سلك مسلكهم.

---

[1] تقدم تخريجه.

الحق السادس عشر: توقير زوجاته ﷺ[1]

ومن حقوق النبي ﷺ ودلائل توقيره ؛ توقير زوجاته ، كيف لا ، وقد رفع الله مقام أزواج النبي ﷺ وبوّأهن منزلة عالية ، بل رفعهن إلى منزلة الأمومة لجميع المؤمنين ، كما في قوله تعالى ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ ، وفي ذلك من الحُرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام ما يوجب على كل مسلم أن يحفظ لهن هذا الحق ، ويؤديه على الوجه المطلوب منه شرعاً.

ومما يوجب توقير زوجات النبي ﷺ أنهن حفظن هديه في بيته ونقلنه للأمة ، لاسيما عائشة رضي الله عنها ، فإنها من المكثرين من الرواية عن النبي ﷺ ، وهكذا غيرهن من زوجات النبي ﷺ ، إلا أن عائشة حازت القدح المُعَلَّى.

وأما خديجة رضي الله عنها فكانت تثبت النبي ﷺ ، وتطمئنه إلى أن ما هو عليه هو الحق ، وأن الله تعالى لن يخزيه أبدا ، كما هو معلوم من قصته ﷺ لما جاءها يرجف فؤاده لما جاءه جبريل أول مرة في غار حراء ، فطمئنته ثم أتت به لابن عمها ورقة بن نوفل ، وكان قد تنصر في الجاهلية ، فزاده طمأنينة ، وبين له أن الذي نزل عليه هو الوحي من الله تعالى.[2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين ، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة ، خصوصاً خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده ، وأول من آمن به وعاضده على أمره ، وكان له منها المنزلة العالية.

---

[1] زوجات النبي ﷺ داخلات في آل بيته ، وسيأتي الكلام على آل بيته في الحق السابع عشر ، وإنما أُفرد هنا حق تعظيم زوجات النبي ﷺ لعظم أمره ، رضي الله عنهن أجمعين.

[2] انظر القصة في صحيح البخاري (٣) وصحيح مسلم (١٦٠).

والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها ، التي قال فيها النبي ﷺ : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.[1]

ومما يدل على عظم حق أمهات المؤمنين تخصيصهن بالصلاة عليهن ، فعن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله ، كيف نصلي عليك ؟

قال: قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد.[2]

ولفظ مسلم: وعلى أزواجه ... الحديث.

ومن حقوق أمهات المؤمنين الاستغفار لهن ، وذكر مدائحهن وفضائلهن وحسن الثناء عليهن ، وما على الأولاد في أمهاتهم اللاتي ولدنهم وأكثر ، وذلك لمكانتهن من رسول الله ﷺ ، وزيادة فضلهن على غيرهن من نساء هذه الأمة.

وقد تقدم الكلام على أن الرافضة قبحهم الله تَبِعوا المنافقين في اتهام أم المؤمنين بالزنا ، فهم يدينون الله بهذا الاعتقاد الفاسد ، وهذا كفر عياذا بالله ، لأن الذي يتهم عائشة بالزنا لم يصدق بخبر براءتها الوارد في القرآن في صدر سورة النور ، قال الله تعالى ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم * لو لا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا وقالوا هذا إفك مبين﴾

---

[1] انظر «مجموع الفتاوى» (١٥٤/٣) وهي جزء من «العقيدة الواسطية» ، والحديث رواه البخاري (٣٧٦٩) ومسلم (٢٤٤٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[2] تقدم تخريجه.

إلى أن قال تعالى ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم * يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله: وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية ؛ فإنه كافر لأنه معاند للقرآن.[2]

وقد نص القرآن على طهارة زوجات النبي ﷺ من الرجس ، كما في قوله ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ ، قال ابن جرير رحمه الله: إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد ، ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيرا. انتهى.

قلت: وأعظم الرجس الوقوع في الزنا عياذا بالله ، وفراش النبوة مطهر من ذلك ، والرافضة لا يتحاشون اتهام عائشة بذلك ، مع تطهير الله لها من فوق سبع سماوات.

وطهارة فراش النبوة مطرد في الأنبياء كلهم ، والطعن في فراش النبوة طعن فيهم ، عياذا بالله من تنقص الأنبياء.

وعلى هذا فالوقيعة في زوجات النبي ﷺ واتهامهن بالباطل من أعظم الإيذاء للنبي ﷺ ، وقد حرم الله إيذاء النبي ﷺ في قوله ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا عظيما﴾.

وأزواج النبي ﷺ هنَّ من دخل بهنَّ من النساء ، وهن إحدى عشرة:

١- خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

---

[1] النور: ١١ – ١٧ .

[2] «تفسير ابن كثير» ، سورة النور ، الآيات: ٢٣ .

٢- عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبيها.

٣- سودة بن زمعة رضي الله عنها.

٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها وعن أبيها.

٥- أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما.

٦- أم سلمة رضي الله عنها.

٧- زينب بنت جحش رضي الله عنها.

٨- زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها.

٩- جويرية بنت الحارث رضي الله عنها.

١٠- صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها.

١١- ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها.

الحق السابع عشر: توقير آل بيته ﷺ

من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ .

والأدلة على هذا الأصل كثيرة ، فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً ، بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ، ثم قال: أما بعد أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثَقَلين:

أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به.

فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال: وأهل بيتي ، وأذكّركم الله في أهل بيتي ، أُذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي.

فقيل لزيد: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال: نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته **من حُرِم الصدقة بعده.**[١]

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (أرقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته)[٢].

قال ابن حجر رحمه الله: المراقبة للشيء المحافظة عليه ، يقول: احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيؤوا إليهم.[٣]

والأحاديث في فضائل آل بيت النبي ﷺ ومناقبهم كثيرة جداً ، وهي مبسوطة في الصحيحين والسنن

---

[١] تقد تخريجه.

[٢] رواه البخاري (٣٧١٣)

[٣] «فتح الباري» ، شرح الحديث المتقدم.

والمسند وغيرها من كتب الحديث.[1]

وآل بيت النبي ﷺ هم الذين تحرم عليهم الصدقة كما تقدم ، وقد حرم الله الصدقة على آل محمد تعظيما لقدْرهم ، لأن الصدقة أوساخ الناس ، قال ﷺ : إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد ، إنما هي أوساخ الناس.[2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وآل محمد ﷺ هم الذين حرُمت عليهم الصدقة ، هكذا قال الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما من العلماء.[3]

وعلى هذا فآل بيت النبي ﷺ هم بنو هاشم بن عبد مناف ، وبنو المطلب بن عبد مناف ، وبنو هاشم أربعة ، هم أبو طالب وعبد المطلب وعبد الله وأبو لهب ، وأبناء أبو طالب هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر ، وأبناء عبد المطلب هم آل العباس وآل الحارث ، وعبد الله لم يترك إلا محمدا ﷺ ، وأبو لهب لا كرامة له ، لأنه لم ينصر النبي ﷺ كغيره ، فلا تحرم الصدقة على أبناءه ، وقد تقدم أن مناط التحريم هو التكريم ، وأبو لهب لا كرامة له.

وبنو المطلب قد أشركهم النبي ﷺ مع بنو هاشم في سهم ذوي القربى ، ولا يكون إشراكُهم معهم إلا لأنهم ممن حُرِم الصدقة ، والصدقة لا تحرم إلا على آل محمد ﷺ ، فيدخلون في وصفهم بآل محمد ، أو آل البيت.

---

[1] انظر «الصحيح المسند من فضائل آل بيت النبوة» لأم شعيب الوادعية ، الناشر: دار الآثار – صنعاء.

[2] رواه مسلم (١٠٧٢) عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث.

[3] «مجموع الفتاوى» (٣/٤٠٧).

قال في «سيرة النبي المختار»[1]: وأخذ أبو طالب يحشد بطون بني عبد مناف وهم أربعة: بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وبنو عبد شمس ، وبنو نوفل ، فأجابه بنو هاشم وبنو المطلب ، وخذله بنو عبد شمس وبنو نوفل ، وانسلخ أيضا من بني هاشم أبو لهب.

ثم قال:

قال العلماء: ولأجل نصرة بني المطلب لبني هاشم وموالاتهم لهم شاركوهم في التشريف بتسميتهم أهل البيت ، وفضل الكفاءة على سائر قريش ، واستحقاق سهم ذوي القربى ، وتحريم الزكاة ، دون البطنين الآخرين ، إذ لم يفترقوا في جاهلية ولا إسلام.

وروى البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب عن جبير بن مطعم بن عدي بن الحارث **بن نوفل** بن عبد مناف قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله ، أعطيت **بني المطلب** وتركتنا ، ونحن وهم منك بمنزلة واحدة!

فقال: إنما بنو المطلب **وبنو هاشم** شيء واحد.[2]

انتهى مختصرا.

وزوجات النبي ﷺ داخلات في آل البيت بنص القرآن ، قال تعالى ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾[3] ، قال ابن كثير رحمه الله: وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا ، لأنهن سبب نزول هذه الآية.

---

[1] (١/١٨٠ – ١٨٢) ، «حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار» ، تأليف محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي ، تحقيق محمد غسان نصوح عزقول ، ١٩٩٨م ، الطبعة الأولى ، دار النشر: دار الحاوي – بيروت.

[2] رواه البخاري (٣١٤٠).

[3] سورة الأحزاب: ٣٤ .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: ولا نُنكر الوصاة بأهل البيت ، والأمر بالإحسان إليهم ، واحترامهم وإكرامهم ، فإنهم من ذرية طاهرة ، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً ، ولاسيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية ، كما كان عليه سلفهم ، كالعباس وبنيه ، وعلي وأهل بيته وذريته ، رضي الله عنهم أجمعين.[١]

وقال ابن تيمية رحمه الله: ولا ريب أن لآل محمد ﷺ حقاً على الأمة لا يشرَكُهم فيه غيرهم ، ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة ما لا يستحقه سائر بطون قريش ، كما أن قريشاً يستحقون من المحبة والموالاة ما لا يستحقه غير قريش من القبائل ، كما أن جنس العرب يستحق من المحبة والموالاة ما لا يستحقه سائر أجناس بني آدم ، وهذا على مذهب الجمهور الذين يرون فضل العرب على غيرهم ، وفضل قريش على سائر العربَ وفضل بني هاشم على سائر قريش ، وهذا هو المنصوص عن الأئمة كأحمد وغيره.[٢]

ثم ذكر حديث واثلة بن الأسقع الذي دل على التفضيل المذكور.[٣]

وقد جعل الله لآل البيت حقاً في الخُمُسِ[٤] والفيء[٥] ، عِوضا عما حُرِموا من الصدقة ، فقد روى البخاري عن جبير بن مطعم قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى النبي ﷺ ، فقلنا: يا رسول الله ، أعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركتنا ، ونحن وهم بمنزلة واحدة.

---

[١] تفسير ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾ ، سورة الشورى: ٢٣ .

[٢] «منهاج السنة النبوية» (٥٩٩/٤).

[٣] ونصه: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله عز وجل اصطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم. رواه مسلم (٢٢٧٦) وغيره.

[٤] أي خمس الغنائم.

[٥] الفيء هو ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد. انظر «النهاية».

فقال رسول الله ﷺ : إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد.[1]

ومن دلائل توقير آل البيت ؛ أن النبي ﷺ علَّم أمته أن يقولوا في التشهد: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

فهل بعد الدعاء لهم في الصلوات الخمس توقير أفضل من هذا التوقير؟!

ولما سأل الصحابة النبي ﷺ كيف يصلون عليه قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى **آل محمد** كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى **آل محمد** كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.[2]

فالصلاة على النبي ﷺ حق ولآله دون سائر الأمة.

وقد ضرب السلف المثل الأعلى في توقير آل بيت النبي ﷺ ، فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: والذي نفسي بيده ؛ لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي.[3]

والمؤمنون يتولون أهل البيت ويحبونهم ، لا كما يزعم الروافض أنهم المخصوصون بحب أهل البيت وحدهم ، وأن غيرهم ظلموهم ، فالحقيقة أن الروافض هم الذين ظلموا أهل البيت ظلماً لا نظير له ، فهم الذين خذلوهم وغرُّوهم ، وتسببوا في ردِّ كثير من روايات أهل البيت ، بسبب ما اشتهر عن أولئك الروافض من الكذب على آل البيت.

ثم إن الروافض يحصرون محبتهم في نفر قليل من أهل البيت ، أما أهل السنة المستقيمين عليها يحبون أهل البيت كلهم ويتولونهم ، ثم إن الذين يبغضهم الروافض من أهل البيت أكثر بكثير ممن يحبونهم.

---

[1] تقدم تخريجه.

[2] أخرجه البخاري (٣٣٧٠) ومسلم (٤٠٦) عن كعب بن عجرة رضي الله عنه.

[3] رواه البخاري (٣٧١٢) ، ومسلم (١٧٥٩).

الفصل الخامس: نواقض الإيمان بالنبي ﷺ

شهادة أن محمدا رسول الله تنتقض بالوقوع في أحد خمسة أمور ، نذكرها إجمالا ثم نفصل الكلام فيها بما يسر الله:

الناقض الأول: مناقضة شرط من شروط تحقيق شهادة أن محمدا رسول الله.

الناقض الثاني: إنكارُ أمر معلوم من الدين بالضرورة.

الناقض الثالث: إيذائه ﷺ ، سواء في حياته أو بعد مماته

الناقض الرابع: الوقوع في شيء من نواقض الإسلام

الناقض الخامس: الغلو فيه ﷺ

تفصيل

الناقض الأول: مناقضة شرط من شروط تحقيق شهادة أن محمدا رسول الله الثمانية ، وقد تقدم ذكرها في جزء «شروط شهادة أن محمدا رسول الله» فلا داعي لإعادتها هنا.

الناقض الثاني: إنكارُ أمر معلوم من الدين بالضرورة ، كإنكار نبوته ، أو بشريته ، أو إنكار أن له حقوقا على أمته ، أو أنه خاتم النبيين ، أو أن رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع ، أو إنكار أنه بعد بعثة النبي ﷺ لا دين مقبول عند الله إلا دين الإسلام ، أو إنكار أن النبي ﷺ قد بلَّغ الدين كله ، أو إنكار عموم رسالته للإنس والجن.

الناقض الثالث: إيذائه ﷺ ، سواء في حياته أو بعد مماته ، كالاستهزاء به ، أو الطعن في شخصه ، كالطعن في صدقه ، أو عقله ، أو عفته ، فهذا كله كفر لأنه يتنافى مع الايمان بما تقرر في

القرآن العزيز من اصطفاء الله تعالى له ، والدليل على كفر المستهزء قوله تعالى ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا﴾ ، واللعن هو الإبعاد عن الرحمة ، ومن طرده الله عن رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلا كافرا.

وفي هذه الآية نرى أن الله تعالى قرن بين أذى النبي ﷺ وأذاه ، كما قرن في آيات أخر بين طاعته وطاعة نبيه ، وهذا وغيره بيان لتلازم الحقين ، وأن جهة حرمة الله تعالى ورسوله جهة واحدة ، فمن آذى الرسول فقد أذى الله ، ومن أطاعه فقد أطاع الله ، لأن الأمة لا تصل ما بينها وبين ربها إلا بواسطة النبي ﷺ ، وليس لأحد منها طريق غيره ولا سبب سواه.[1]

قال القاضي عياض رحمه الله في «الشفا»: اعلم – وفقنا الله وإياك – أن جميع من سب النبي ﷺ أو عابه ، أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله ، أو عرَّض به ، أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغضُّ منه والعيب له ؛ فهو سابٌّ له ، والحكم فيه حكم الساب ، يُقتل كما نبينه.

ثم قال: وكذلك من لعنه ، أو دعا عليه ، أو تمنى مضرة له ، أو نسب إليه مالا يليق بمنصِبه على طريق الذم ، أو عيّره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه ، أو غَمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه.

وهكذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جَرًّا.[2]

---

[1] انظر «الصارم المسلول» ، ص 86 .

[2] باختصار يسير من «الشفا» للقاضي عياض رحمه الله ، القسم الرابع ، الباب الأول.

والاستهزاء بالنبي ﷺ كفر ، والدليل على ذلك قصة النفر الذين خرجوا معه ﷺ في غزوة ، فلما كانوا ببعض الطريق قال أحدهم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ؛ أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فنزل القرآن بتكفيره في قوله تعالى في سورة التوبة ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾.

قال عبد الله بن عمرو: أنا رأيته متعلقا بحقِبِ[1] ناقة رسول الله ﷺ تنكِبُهُ[2] الحجارة وهو يقول يا رسول الله: إنما كنا نخوض ونلعب ، ورسول الله ﷺ يقول ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾ الآية.

وفي هذه الآية أعظم تنبيه على أهمية حق التوقير والتعظيم والإجلال للنبي ﷺ ، قال ابن سعدي رحمه الله في تفسير الآية: فإن الاستهزاء بالله ورسوله كفر مخرج عن الدين ، لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسله والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة. انتهى.

وفي الآية أيضا تنبيه على الحكم بكفر المستهزئ يستوي فيه الجاد والهازل ، لأن الرجل جاء معتذرا بأنه إنما كان يخوض ويلعب ، ولم يكن جادا في استهزائه ، فجاء الحكم العام بكفره ، ليبين دخوله الجاد والهازل في الحكم سواء.[3]

---

[1] الحقب هو الحبل الذي يشد على حقو البعير. انظر «النهاية».

[2] تنكِبُهُ تناله وتصيبه أثناء مشيه عليها. انظر «النهاية».

[3] انظر القصة مسندة في تفسير الطبري وتفسير ابن أبي حاتم.

فصل

وموضوع الاستهزاء بالنبي ﷺ فيه عشرة مسائل:

المسألة الأولى: أن الاستهزاء بالنبي ﷺ لون من ألوان إيذائه ، وقد تقدم بيان ذلك.

المسألة الثانية: حكم الاستهزاء بالنبي ﷺ ، وقد تقدم الكلام في ذلك ، وبيان أنه كفر.

المسألة الثالثة: عقوبة المستهزئ بالنبي ﷺ .

أجمع المسلمون على وجوب قتل من سب النبي ﷺ ، حكى ذلك القاضي عياض في كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ »[1] ، وكذا إسحاق بن راهويه ومحمد بن سحنون ، كما حكى ذلك عنهما ونقل كلامهما ابن تيمية في كتابه «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ »[2] ، ومما قاله رحمه الله في هذا الباب: وتحرير القول فيها[3] أن الساب إن كان مسلما فإنه يكفر ويُقتل بغير خلاف ، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم.[4]

كما أجمع المسلمون على قتل من سب رسول الله ﷺ ، وقد حكى الإجماع على ذلك جمع من العلماء ، منهم القاضي عياض في كتاب «الشفا»[5] ، وأبو بكر بن المنذر ، حيث قال: أجمع عوام أهل العلم على أن حد من سب النبي ﷺ القتل ، وممن قال ذلك: مالك والليث بن سعد وأحمد وإسحاق ، وهو مذهب الشافعي.

---

[1] انظر القسم الرابع ، الباب الأول.

[2] ص 15 .

[3] أي في مسألة سب النبي ﷺ .

[4] «الصارم المسلول» ، ص 16 .

[5] انظر كتاب «الشفا» للقاضي عياض ، القسم الرابع ، فصل في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه ﷺ .

ومما يُحتج به في هذا الباب قصة كعب بن الأشرف ، وأن النبي ﷺ قال: من لكعب بن الأشرف ، فإنه قد آذى الله ورسوله؟

فانتدب له جماعة بإذن النبي ﷺ فقتلوه.[1]

وتغيظ أبو بكر الصديق رضي الله عنه على رجل ، فقال من أصحابه أبو برزة: أضرب عنقه؟

فقال: ما كانت لأحد بعد رسول الله ﷺ .[2]

قال أبو بكر: فأما من بعدَ رسول الله ﷺ فلا أعلم أحدا يوجب قتل من سُبَّ بعد رسول الله ﷺ .[3]

وكذا قال الخطابي ومحمد بن سحنون وأبو بكر الفارسي من أصحاب الشافعي ، حكى ذلك عنهم ابن تيمية رحمه الله في كتابه «الصارم المسلول» ، ص 14-15.

المسألة الرابعة: أن الاستهزاء بالنبي ﷺ معاداة له ، ومن المعلوم أن من عادا رسول الله ﷺ فقد عادا الله في الحقيقة ، لأن النبي ﷺ من أولياء الله ، ومن عادا وليا من أولياء الله فإنه معادٍ لله في الحقيقة ، فكيف بمن عادى خير أولياء الله تعالى وهو محمد ﷺ ؟!

قال النبي ﷺ : إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته **بالحرب**.[4]

---

[1] رواه البخاري (4037) ومسلم (1801) من حديث جابر رضي الله عنه.

[2] رواه أبو داود (4363) ، والنسائي (4083) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[3] «الإشراف» لابن المنذر ، كتاب المرتد ، باب ما يجب على من سب نبي الله ﷺ (60/8) ، باختصار يسير ، وانظر «الإجماع» ، كتاب المرتد.

[4] رواه البخاري (6502) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

المسألة الخامسة: أن المستهزئ بالنبي ﷺ حقيقٌ بعقوبة الله له في الدنيا قبل الآخرة ، وفي التاريخ شواهد على ذلك ، فقد روى الطبراني والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ ، قال:

المستهزئين: الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ، وأبو زمعة من بني أسد بن عبد العزى ، والحارث بن غيطل السهمي ، والعاص بن وائل السهمي ، فأتاه جبريل عليه السلام ، فشكاهم إليه رسول الله ﷺ ، فأراه أبا عمرو الوليد بن المغيرة ، فأومأ جبريل إلى أبجله[1] فقال[2]: ما صنعت شيئا.[3]

قال: كفيتُكَه.

ثم أراه الحارث بن غيطل السهمي فأومأ إلى بطنه ، فقال: ما صنعت شيئا.

فقال: كفيتُكَه.

ثم أراه العاص بن وائل السهمي ، فأومأ إلى أخْمُصِهِ[4] ، فقال: ما صنعت شيئا.

فقال: كفيتُكَه.

فأما الوليد بن المغيرة فمر برجل من خزاعة وهو يَرِيشُ[5] نبلاً له ، فأصاب أبجله[6] فقطعها.

---

[1] قال ابن الأثير: الأبجل ؛ عرق في باطن الذراع ، وقيل: عرق غليظ في الرجل فيما بين العصب والعظم. انتهى مختصرا من «النهاية».

[2] أي النبي ﷺ .

[3] قول النبي ﷺ لجبريل (ما صنعت شيئا) ؛ أي بحسب علم النبي ﷺ ، وإلا فإنه صنع فيه وصنع ، كما سيتضح بعد أسطر.

[4] الأخمُص هو الموضع من القدم الذي لا يلصق بالأرض إذا وطأها. انظر «النهاية».

[5] أي ينحِتها لتستقيم. انظر «النهاية».

[6] الأبجل عرق في باطن الذراع بين العصب والعظم. انظر «النهاية».

وأما الأسود بن عبد المطلب فعَمِي ، فمنهم من يقول عمي هكذا ، ومنهم من يقول: نزل تحت شجرة فجعل يقول: يا بني ، ألا تدفعون عني ، قد هلكت ، أُطعن بشوكٍ في عيني ، فجعلوا يقولون: ما نرى شيئا ، فلم يزل كذلك حتى عَمِيت عيناه.

وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها.

وأما الحارث بن غيطل فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فِـيهِ ، فمات منها.

وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوما حتى دخل في رجله شِبرِقة[1] حتى امتلأت منها فمات.

وفي رواية للبيهقي: فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شبرقة ، فدخلت في أخمص قدمه شوكة ، فقتلته.[2]

وعن أنس رض الله عنه قال: كان رجلا نصرانيا ، فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران ، فكان يكتب للنبي ﷺ ، فعاد نصرانيا ، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له ، فأماته الله ، فدفنوه ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا: هذا فِعلُ محمد وأصحابه ، نبشوا عن صاحبنا فألقَوه.

فحفروا له فأعمقوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه ، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم ، فألقوه خارج القبر ، فحفروا له ، فأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فعلموا أنه ليس من الناس ، فألقَوه.[3]

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ في «الصارمِ المسلولِ» معلقاً على القصة:

فهذا الملعونُ الذي افترى على النبي ﷺ أنه ما كان يدري إلا ما كَتب له ؛ قصمهُ اللهُ وفضحهُ بأن أخرجهُ من القبرِ بعد أن دُفن مراراً ، وهذا أمرٌ خارجٌ عن العادةِ ، يدلُ كلّ أحدٍ على أن هذا عقوبة

[1] قال ابن الأثير في معناها: نبت حجازي يؤكل وله شوك. انظر «النهاية».

[2] رواه البيهقي في «الكبرى» (8/9) ، والطبراني في «الأوسط» ، باب من اسمه القاسم (173/5) ، واللفظ للطبراني.

[3] رواه البخاري (3617) ومسلم (2781).

لما قالهُ ، وأنه كان كاذباً ، إذ كان عامةُ الموتى لا يصيبهم مثل هذا ، وأن هذا الجُرمَ أعظمُ من مجرد الارتداد ، إذ كان عامةُ المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا ، وأن اللهَ منتقمٌ لرسولِهِ ﷺ ممن طعن عليه وسبهُ ، ومُظهرٌ لدينه ، ولكذبِ الكاذبِ إذا لم يُمكن للناسِ أن يقيموا عليه الحد.[1]

وذكر القاضي عياض في «الشفا» أن فقهاء القيروان وأصحاب سحنون أفتوا بقتل إبراهيم الفزاري ، وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم ، وكان يستهزئ بالله تعالى وأنبيائه ونبينا محمد ﷺ ، فأمر القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء بقتله وصلبه ، فطعن بالسكين وصلب منكسا ، ثم أنزل وأحرق بالنار.

وحكى بعض المؤرخين أنه لما رُفِعت خشّبته وزالت عنها الأيدي استدارت وحوّلته عن القبلة ، فكان آية للجميع وكبر الناس ، وجاء كلب فولغ في دمه.[2]

وحكى الشيخ العلامة أحمد شاكر أن خطيبا فصيحا مفوها أراد أن يثني على أحد كبار المسئولين لأنه احتفى بطه حسين ، فلم يجد إلا التعريض بالنبي ﷺ ، فقال في خطبته: جاءه الأعمى (أي طه حسين) ، فما عبس وما تولى.

قال الشيخ أحمد: ولكن الله لم يدع لهذا المجرم جرمه في الدنيا قبل أن يجازيه جزاءه في الأخرى ، فأُقسم بالله لقد رأيته بعيني رأسي بعد بضع سنين ، وبعد أن كان عاليا منتفخا مستعزا بمن لاذ بهم من العظماء والكبراء ؛ رأيته مهينا ذليلا خادما على باب مسجد من مساجد القاهرة ، يتلقى نعال المصلين ، يحفظها في ذلة وصغار.

---

[1] ص 233 .

[2] «الشفا» للقاضي عياض رحمه الله ، القسم الرابع ، الباب الأول.

وذكروا أن رجلا ذهب لنيل الشهادة العليا من جامعة غربية ، وكانت رسالته متعلقة بالنبي ﷺ ، وكان مُشرفه شانئا حانقا ، فأبى أن يمنحه الدرجة حتى يُضَمِّن رسالته انتقاصا للنبي ﷺ ، فضعفت نفسه وآثر الأولى على الآخرة ، فلما حاز شهادته ورجع إلى دياره فوجئ بهلاك جميع أولاده وأهله في حادث مفاجئ.

وصدق الله ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ ، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: أي إن مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذِكْره.

المسألة السادسة: أن النبي ﷺ لم يسلم من السخرية والأذى والاعتداء منذ بعث إلى يومنا هذا ، شأنه شأن إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، ومن تبعهم على الحق ، وصدق الله ﴿يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ ، فوصفوه بالجنون والكذب والسحر والشعر ، وغمزوه في عرضه الشريف ، ولكن الله عصمه من أذاهم ، قال تعالى ﴿والله يعصمك من الناس﴾ ، وقال ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ ، وقال ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾.

ومن استهزائهم بالنبي ﷺ أنهم كانوا يسمونه مُذمّم بعد أن كانوا يسمونه بالأمين وبمحمد ، وفي هذا قال النبي ﷺ : ألم تروا كيف يصرف الله عني لعن قريش وشَتمهم؟ يشتمون مذمما ، وأنا محمد.[1]

وإيذاء النبي ﷺ والاستهزاء به ليس أمرا حديثا ، فقد استهزىء بالأنبياء قبله وأوذوا ، قال تعالى ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون﴾.[2]

[1] رواه أحمد (340/2) ، وصححه محققو «المسند».
[2] سورة الأنعام: 10 .

وقال تعالى لنبيه ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً﴾.[1]

ولهذا سلى الله نبيه فقال ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً﴾.[2]

المسألة السابعة: أن الاستهزاء لا يضر الدين شيئا ، فدين الله سيبلغ ما بلغ الليل والنهار لا محالة ، كما روى الإمام أحمد عن تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر[3] ولا وبَرَ[4] إلا أدخله الله هذا الدين ، بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزا يعز الله به الإسلام ، وذلا يذل الله به الكفر.[5]

المسألة الثامنة: أن من سب الرسول ﷺ مكرها فإنه لا يؤاخذ ، والدليل على ذلك أن عمار بن ياسر رضي الله عنه عذبه المشركون بمكة ليكفر بمحمد ﷺ ، فوافقهم في ظاهر القول مكرها ، ثم جاء معتذرا إلى رسول الله ﷺ ، فأنزل الله هذه الآية ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾[6].

---

[1] سورة الأحزاب: 69 .

[2] سورة آل عمران: 186 .

[3] المدَر هي القرى والمدن ، واحدتها مدرة. انظر «النهاية».

[4] بيت الوبر هي الخيمة المصنوعة من وبر الإبل.

[5] (103/4) ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[6] سورة النحل: 106 .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: ولهذا اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له أن يوالي إبقاء لمهجته ، ويجوز له أن يأبى ، كما كان بلال رضي الله عنه يأبى عليهم ذلك ، وهم يفعلون به الأفاعيل. انتهى.

المسألة التاسعة: ما ذكره ابن تيمية عن بعض أهل التجارب ؛ أن الكفار المحاربين إذا وقعوا في عرض النبي ﷺ جاء النصر ، قال رحمه الله في «الصارمِ المسلول»:

ونظيرُ هذا ما حدثناه أعدادٌ من المسلمين العُدول ، أهل الفقه والخبرة ، عما جربوهُ مراتٍ متعددةٍ في حصر الحصونِ والمدائنِ التي بالسواحلِ الشاميةِ ، لما حُصر فيها بني الأصفر في زماننا قالوا: كنا نحن نحصرُ الحصن أو المدينةَ الشهر أو أكثر من الشهرِ ، وهو ممتنعٌ علينا حتى نكادُ نيأسُ منه ، **حتى إذا تعرَّض أهلهُ لسبِّ رسولِ** اللهِ ﷺ **والوقيعة في عرضه تعجّلنا فتحه وتيسّر** ، ولم يكد يتأخرُ إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك ثم يُفتحُ المكانُ عَنْوةً ، ويكونُ فيهم مَلحمةٌ عظيمةٌ ، قالوا: **حتى إنا كنا لَنتباشر بتعجيلِ الفتحِ إذا سمعناهم يقعون فيه** ، مع امتلاءِ القلوب غيظاً بما قالوه فيه.

وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل المغرب حالهم مع أهل المغرب كذلك ، ومن سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده ، وتارة بأيدي عباده المؤمنين.[1]

المسألة العاشرة: أن الاستهزاء بالنبي ﷺ مستلزم للاستهزاء بدين الإسلام الذي جاء به ، لأنه لولاه لما استُهزىء به ، ولأن النبي ﷺ علمٌ عليها ، ولأن الاستهزاء به ﷺ لم يَحدُث إلا بعد بعثته ، عافانا الله من ذلك.

---

[1] ص 233 – 234 .

الناقض الرابع[1]: **الوقوع في شيء من نواقض الإسلام** ، ورؤوس تلك النواقض عشرة ، قال الشيخ سليمان بن سحمان[2] رحمه الله:

ذكر أهل العلم نواقض الإسلام ، وذكر بعضهم أنها قريب من أربعمائة ناقض ، ولكن الذي أجمع عليه العلماء هو ما ذكره شيخ الإسلام ، وعَلم الهداة الأعلام ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب من نواقض الإسلام ، وأنها عشرة ، فقال رحمه الله:

اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض:

الأول: الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له ، قال الله تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [3]، ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ [1]، ومنه الذبح لغير الله ، كمن يذبح للجن أو للقبر.

---

[1] هنا رجوع للموضوع الأصلي ، وهو الكلام على نواقض الإيمان بالنبي ﷺ .

[2] هو الشيخ سليمان بن سحمان بن مصلح من آل عامر من قبيلة خثعم ، ولد في قرية السُّقا من بلدان أبها ، درس على الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، ودرس كذلك على ابنه عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن ، ولازمهما عشر سنوات ، ودرس كذلك على الشيخ حمد بن عتيق سبعة عشر سنة ، كما درس على الشيخ حمد بن فارس ، ألف كتبا كثيرة تقرب من الأربعين كتابا ، وله أشعار كثيرة ، فقد كان أديبا بارعا ، وشاعرا خرّيتا ، سخر لسانه للدفاع عن عقيدة أهل السنة ، له دواوين في الدفاع عن الإسلام ، رد على قريب من خمسين ضالا بشعره ، فكان بحق «حسّان السنة» في زمانه.

توفي رحمه الله سنة 1349 هجري ، وله من العمر ثمانين عاما.

ذُكِر أنه لما خرجت روحه شموا من جسده رائحة مسك طيبة لم يعهدوا مثلها.

انظر ترجمته في «تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان» ، حوادث سنة 1349 هجري ، للشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن رحمه الله ، وكذا كتاب «ابن سحمان ، تاريخ حياته ، وعلمه ، وتحقيق شعره» ، لمحمد بن حمد العقيل ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض.

[3] سورة النساء: 48 .

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ، ويسألهم الشفاعة ، ويتوكل عليهم ، كفر إجماعا.

الثالث: من لم يكفر المشركين ، أو شك في كفرهم ، أو صحح مذهبهم ، كفر.

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حُكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه ، فهو كافر.

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء الرسول ﷺ – ولو عمل به – كفر.

السادس: من استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه كفر ، والدليل قوله تعالى ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾[2].

السابع: السحر ، ومنه الصرف والعطف ، فمن فعله أو رضي به كفر ، والدليل قوله تعالى ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾[3].

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين﴾[4].

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وَسِع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

العاشر: الإعراض عن دين الله ، لا يتعلمه ولا يعمل به ، والدليل قوله تعالى ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون﴾[5].

---

[1] سورة المائدة: 72 .
[2] سورة التوبة: 65 – 66 .
[3] سورة البقرة: 102 .
[4] سورة المائدة: 51 .
[5] سورة السجدة: 22 .

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره ، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا وأكثر ما يكون وقوعًا ، فينبغي للمسلم أن يحذرها ، ويخاف منها على نفسه ، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه. انتهى.[1]

قال مقيده عفا الله عنه: ومن نواقض الإسلام أيضا إنكار شيء معلوم من الدين بالضرورة ، كإنكار وجوب الصلاة أو الزكاة أو الحج ، أو إنكار تحريم الخمر والسرقة ، أو إنكار شيء من أركان الإيمان ، ونحو ذلك.

ولعل الشيخ لم يذكر هذا الناقض لأنها لم تكن واقعة في عهده بشكل صريح ، والذي يظهر من كلام الشيخ أنه اكتفى بذكر ما هو أكثر وقوعا ، كما قال في آخر كلامه.

---

[1] «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (2/350 - 362).

الناقض الخامس: الغلو فيه ﷺ ، وفيه ثمانية مباحث:

الأول: تعريف الغلو لغة وشرعا

الثاني: تأصيل في حقوق الأنبياء الشرعية

الثالث: مقدمة في الغلو

الرابع: أقسام الناس في تعظيم النبي ﷺ

الخامس: تحذير النبي ﷺ من الغلو فيه

السادس: اتباع الصحابة لنبيهم في اجتناب الغلو في الأنبياء والصالحين

السابع: بيان أهم مظاهر الغلو في الأنبياء والصالحين مما هو من الشرك بالله ، ورؤوسها ستة

الثامن: فصل في بيان مظاهر محرمة في الغلو بالنبي ﷺ مما هو دون الشرك بالله ، ورؤوسها إحدى عشرة

تفصيل

المبحث الأول: تعريف الغلو لغة وشرعا

الغلو في اللغة هو مجاوزة الحد ، وفي الشرع مجاوزة الحد الشرعي في باب الاعتقاد أو العبادة ، والذي يعنينا في هذا السياق هو مجاوزة الحد في تعظيم النبي ﷺ وتوقيره فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها ، والعلة في النهي عن الغلو ألا يصل الأمر إلى حد اتخاذه شريكا مع الله ، بصرف شيء من خصائص الله له ، سواء من الصفات كصفة علم الغيب ، أو من العبادات كالدعاء أو الذبح أو النذر له.[1]

[1] انظر ما قاله ابن تيمية في تعريف الغلو في «اقتضاء الصراط المستقيم» ، ص 106 تحقيق محمد حامد الفقي رحمه الله.

المبحث الثاني: تأصيل في حقوق الأنبياء

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم[1] رحمه الله في معرض كلام له عن حقوق الأنبياء صلى الله عليهم وسلم:

فإن فضلهم وحياتهم وكرامتهم ونبوتهم ورسالتهم لا تقتضي صرف حق الله لهم ، وتنزيلهم منزلة الملك الخلاق في القصد والدعاء والخوف والرجاء والرغبة والرهبة ، ولا يوجب ذلك صرف الوجوه عن علام الغيوب إليهم في شيء من المطالب والمقاصد الإلـٰهية التي بيده تعالى وتقدس ، بل ذلك لله وحده لا شريك له ، لا يشرَكه فيه نبي مرسل ، ولا ملَك مقرب ولا غيرهما ، وقد قال تعالى لأكرم خلقه وأفضل رسله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾.[2]

والغلو قد لا يصل إلى الكفر ، بل يكون في دائرة البدع الغير مكفرة ، فلا يعتبر الواقع فيه مرتكب لشيء من نواقض الإيمان بالنبي ﷺ ، بل يكون قادح فيه ، منتقص لأجره ، محتمل لِوِزرِ الغلو.

---

[1] الشيخ عبد الرحمٰن من علماء نجد المعروفين ، ولد سنة 1319 هجري ، ودرس على يد جملة من علماء نجد ، تميز الشيخ بخدمة التراث العلمي من مصادره ثم تحقيقه وطباعته ، أبرزها فتاوى ابن تيمية ، جمعها في خمسة وثلاثين مجلدا عدا الفهارس ، وطبعت على نفقة الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله عام 1381 هجري ، وكذا جمع فتاوى علماء نجد بدءا من الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر إلى العلماء المعاصرين في زمنه ، وهي المعروفة بـ «الدرر السنية في الفتاوى النجدية» ، وتقع في ستة عشر مجلدا ، وطبعت على نفقة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمٰن آل سعود سنة 1356 هجري ، وجمع الشيخ أيضا فتاوى مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله في ثلاثة عشر جزءا ، وطبعت بأمر من الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله في عام 1390 هجري.

وللشيخ مؤلفات وشروحات في العقيدة وأصول التفسير والفقه والحديث والنحو ، قد نفع الله بها كثيرا واستفاد منها المسلمون ، رحمه الله وأجزل ثوابه.

توفي الشيخ عبد الرحمٰن سنة 1392 هجري رحمه الله رحمة واسعة.

[2] «السيف المسلول على عابد الرسول» ، ص 156 – 157 .

وإن مما امتاز به هذا الدين الوسطية في كل شيء ، فلا إفراط ولا تفريط ، ولا غلو ولا إجحاف ، قال تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾.

قال ابن كثير رحمه الله: والوسط هنا المراد به الخيار والأجود ، كما يقال: قريش أوسط العرب نسباً ودارا ، أي خيرها.

ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً ؛ خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب ، كما قال تعالى ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول عليكم شهيدا وتكونوا شهداء على الناس﴾.[1]

---

[1] «تفسير القرآن العظيم» ، سورة البقرة: 129 ، باختصار يسير.

المبحث الثالث: مقدمة في الغلو

والغلو في الصالحين – عموما – هو الذي أدى بكثير من الأمم إلى الوقوع في الشرك ، بدءا من قوم نوح إلى أمة محمد ﷺ ، فقد كان منشأُ الشرك في عهد نوح عليه الصلاة والسلام من تعظيم الصالحين ، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالى ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًّا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ قال: أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا[1] أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالِسهم التي كانوا يجلسون أنصابا[2] ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم[3] عُبدت.[4]

وروى ابن جرير بإسناده إلى الثوري عن موسى عن محمد بن قيس أنه قال عن يغوث ويعوق ونسرا: كانوا قومًا صالحين من بني آدم ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوّروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس ، فقال: إنما كانوا يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر ، **فعبدوهم**.[5]

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: كان هؤلاء قومًا صالحين في قوم نوح عليه السلام ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.[6]

---

[1] أي ماتوا.

[2] أي اصنعوا أنصابا ، وهي تماثيل تصنع على هيئتهم ثم تنصب في المجالس ليراها الناس فيقتدوا بهم في أفعالهم! وهكذا دخل عليهم الشيطان.

[3] أي تحول من حال إلى حال. انظر «النهاية».

قال مقيده: وسبب التحول والتحريف هو عدم الحفظ.

[4] رواه البخاري (4920).

[5] «تفسير ابن جرير» ، تفسير سورة نوح: 24 .

[6] «إغاثة اللهفان» ، (184/1) ، تحقيق محمد حامد الفقي.

وبعد نشوء الشرك وعبادة الأصنام في قوم نوح تتابع الناس على ذلك وانتشر بينهم كما قال ابن عباس رضي الله عنه: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ ، أما وُد فكانت لكلب بدومة الجندل[1] ، وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحِمير لآل ذي الكلاع.[2]

وقال قتادة: كانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح ، **ثم اتخذها العرب بعد ذلك**.[3]

وبناء على ما تقدم من الحقائق التاريخية ، فقد قرر ابن القيم في «زاد المعاد» أن غالب شرك الأمم كان من جهة الصور والقبور.[4]

فصل

ولما كان الغلو من أعظم أسباب الانحراف ، سواء كان في حق من كانوا أنبياء أو من ليسوا بأنبياء ؛ نهى الله أهل الكتاب عن ذلك ، قال تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾.[5]

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: أي لا تُجاوزوا الحد في اتباع الحق ، ولا تُطروا[6] من أُمرتم بتعظيمه ، فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلٰهية ، كما صنعتم في المسيح ، وهو

---

[1] موضع في شمال جزيرة العرب.

[2] رواه البخاري (4920).

[3] «تفسير ابن جرير» ، تفسير سورة نوح: 24 ، (254/12).

[4] «زاد المعاد» (458/3).

[5] سورة المائدة: 77 .

[6] الإطراء هو مجاوزة الحد في المدح.

نبي من الأنبياء ، فجعلتموه إلٰها من دون الله ، وما ذلك إلا لاقتدائكم بشيوخكم ، شيوخ الضلال ، الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً. انتهى.

وقال في تفسير آية النساء ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾:

ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء ، وهذا كثير في النصارى ، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها ، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلٰهاً من دون الله ، يعبدونه كما يعبدونه ، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه ، فادعوا فيهم العصمة ، واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً ، أو ضلالاً أو رشاداً ، أو صحيحاً أو كذباً ، ولهذا قال الله تعالى ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾.

ثم ساق حديث عمر رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا: عبد الله ورسوله.[1]

انتهى.

وكما تقدم ، فإن صورة الغلو بالنبي ﷺ أن يُجعل له شيء من حقوق الله الخاصة به ، فإن حق الله الذي لا يشاركه فيه مشارِك هو الكمال المطلق ، والغنى المطلق ، والتصرف المطلق من جميع الوجوه ، وأنه لا يستحق العبادة والتأله أحد سواه ، فمن غلا بأحد من المخلوقين حتى جعل له نصيبًا من هذه الأشياء ؛ فقد ساوى به رب العالمين ، ووقع في الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة قبل الممات.

---

[1] تقدم تخريجه.

المبحث الرابع: أقسام الناس في تعظيم النبي ﷺ

ينقسم الناس في معاملة النبي ﷺ إلى ثلاثة أقسام:

أهل الجفاء الذين يهضمونه حقه ، ولا يقومون بحقه الواجب من الحب والموالاة له والتوقير والتبجيل.

وأهل الغلو الذين يرفعونه فوق منزلته التي أنزله الله إياها ، بنسبة شيء من خصائص الله له ، والتي تقدم ذكرها في صورة الغلو.

وأهل الحق الذين يحبونه ويوالونه ويقومون بحقوقه الشرعية ، ويبرءون من الغلو فيه.

فصل

وقد سلك بعض أهل البدع مسالك منحرفة في باب تعظيم النبي ﷺ ، فالرافضة الغلاة فضلوا أئمتهم المعصومين – بزعمهم – على النبي ﷺ .

والصوفية الباطنية الذين فضلوا الأولياء والأقطاب على النبي ﷺ .

يقابل هاتين الطائفتين طائفة الغلاة ، الذين غلوا في تعظيم النبي ﷺ حتى عبدوه ، وصرفوا له خالص حق الله تعالى من أفعال العباد ، من دعاء ونذر وذبح وغير ذلك ، أو وصفوه بصفات الله الخاصة به كعلم الغيب ونحو ذلك ، ويغلب هذا في عباد القبور.

ومن ألوان الغلو ما يفعله بعض أهل البدع من تعظيم للنبي ﷺ بأنواع من التعظيم البدعي ، لم يعرفها صحابة رسول الله ﷺ ، كعمل الموالد ، أو التوسل بجاهه ، وغير ذلك مما سيأتي ذكر بعض أنواعه.

أما أهل السنة والجماعة – جعلنا الله والقارئين منهم – فعظموا النبي ﷺ التعظيم الشرعي ، واجتنبوا طرق التعظيم البدعي والشركي.

المبحث الخامس: تحذير النبي ﷺ من الغلو فيه

وقد كان النبي ﷺ يزجر الناس ويحذرهم عن الغلو فيه في حياته وحتى سياق الموت ، وسنقتصر هنا على ذكر عشرة أحاديث:

1. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا: عبد الله ورسوله.[1]

والإطراء هو مجاوزة الحد في المدح.[2]

قال الشيخ أحمد بن يحيى النجمي[3] رحمه الله:

والإطراء هو أن يُرفع فوق منزلته ، ويُعطى أكثر من حقه.

وقد فرَّق الله بين حقه الخاص به والحق المشترك بينه وبين رسوله ﷺ فقال تعالى ﴿ومن يطع الله والرسول ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾.

فجعل الطاعة مشتركة بينه وبين رسوله ، وخص نفسه بالخشية والاتقاء ، **لأن هاتين الخصلتين من خصائصه سبحانه وتعالى.**[4]

---

[1] تقدم تخريجه.

[2] انظر «النهاية في غريب الحديث».

[3] أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النجمي ، من أهالي قرية النجامية في جنوب المملكة العربية السعودية ، مولده في 1346 هـ ، من مشايخه: عبد الله القرعاوي ، والشيخ حافظ حكمي ، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمهم الله.

كان فقيها محدثا ، له عدة مؤلفات منها: «تنزية الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة» ، «رسالة في حكم الجهر بالبسملة» ، «المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال». ، توفي عام سنة 1429 هـ رحمه الله رحمة واسعة.

[4] «أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة» ، ص 295 – 300 ، باختصار وتصرف يسير.

2. وعن قيس بن سعد رضي الله عنه قال: أتيت الحِيرة[1] ، فرأيتهم يسجدون لمرزُبان[2] لهم فأتيت النبي ﷺ فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم ، فأنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك ، قال: أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له؟

قلت: لا.

قال: فلا تفعلوا ، لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله عليهن من الحق.[3]

3. ولما قدم معاذ رضي الله عنه من الشام سجد للنبي ﷺ فقال: ما هذا يا معاذ؟

فقال: أتيت الشام ، فوجدتهم يسجدون لأساقفتهم[4] وبطارقتهم[5] ، فأردت أن أفعل ذلك بك.

قال: فلا تفعل ، فإني لو أمرت شيئا أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها.[6]

4. وعن ابن بريدة عن أبيه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ، إيذن لي فلأسجد لك.

قال: لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة تسجد لزوجها.[7]

وقد تكرر هذا الفعل عدة مرات أمام النبي ﷺ ، وكان النبي ﷺ ينكره في كل مرة أشد الإنكار.[1]

[1] الحيرة بلد معروف بالعراق آنذاك.

[2] المرزبان هو الفارس الشجاع ، وهو مقدم عندهم.

[3] رواه أبو داود (2140) ، والدارمي في «كتاب الصلاة» (1435) ، والحاكم (187/2) ، وصححه الألباني.

[4] الأساقفة جمع أُسقف – بضم الهمزة – ، وهو رئيس النصارى في الدين. انظر «لسان العرب».

[5] بطارقة جمع بِطريق ، بكسر الباء ، ويقال بطريك ، وهو من المقدمين عند النصارى. انظر «لسان العرب» و «المعجم الوسيط».

[6] رواه ابن ماجه (1853) وابن حبان (4171) ، وحسنه الشيخ الألباني كما في «الإرواء» (55/7) ، وكذا الشيخ شعيب كما في حاشيته على «صحيح ابن حبان».

[7] رواه الدارمي في كتاب الصلاة ، باب النهي أن يسجد لأحد ، (1436).

5. وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت.
فقال له النبي ﷺ : أجعلتني والله عدلاً؟ بل ما شاء الله وحده.[2]
وفي لفظ: جعلت لله ندا؟ ما شاء الله وحده.[3]

6. وعنه قال: قال رسول الله ﷺ : إذا حلف أحدكم فلا يقل: ما شاء الله وشئت ، ولكن ليقل: ما شاء الله ثم شئت.[4]

7. وعن طُفيل بن سَخبرة رضي الله عنها أخي عائشة لأمها ، أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مر برهط من اليهود فقال: من أنتم؟
قالوا: نحن اليهود.
قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أن عزيرا ابن الله.
فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد.
ثم مر برهط من النصارى فقال: من أنتم؟
قالوا: نحن النصارى.
فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله.
قالوا: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد.

---

[1] انظر ما رواه الدارمي في كتاب الصلاة ، باب النهي أن يسجد لأحد عن قيس بن سعد ، والحديث الآخر عن ابن بريدة عن أبيه.
وانظر أيضا ما رواه ابن ماجه (1852) وابن أبي شيبة كلاهما في كتاب النكاح عن عائشة رضي الله عنها.
وانظر أيضا ما رواه الترمذي (1159) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[2] رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (988) ، وأحمد (214/1) ، واللفظ له ، وصححه لغيره محققو «المسند» ، وخرجه الألباني في «الصحيحة» (139) ، ولفظ النسائي: أجعلتني لله عدلاً؟

[3] رواه البخاري في «الأدب المفرد» (784).

[4] رواه ابن ماجه (2117) ، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» ، (1093).

فلما أصبح أخبر بها من أخبر ، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: هل أخبرت بها أحدا؟

قال عفان[1]: قال: نعم ، فلما صلوا خطبهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: إن طفيلا رأى رؤيا ، فأخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم أن أنهاكم عنها ، قال: لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد.[2]

8. وعن خالد بن ذكوان قال: قالت الرُّبيِّع بنت مُعوِّذ: جاء النبيُّ ﷺ يدخل حين بُنِيَ عليَّ[3] ، فجلسَ على فِراشي كمجلِسكَ[4] منّي ، فجعلتْ جُوَيْرِياتٌ[5] لنا يَضربنَ بالدُفِّ ويَندُبنَ[6] مَن قُتلَ من آبائي يومَ بدرٍ ، إذ قالت إحداهنَّ: وفينا نبيٌّ يَعلمُ ما في غَدِ.

فقال: دَعي هذِهِ وقولي بالذي كنتِ تقولين.[7]

وفي لفظ قال: أَمَّا هٰذَا فَلاَ تَقُولُوهُ ، مَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلاَّ اللَّه.[8]

وأخرج الطبراني في «الأوسط» من حديث عائشة أن النبي ﷺ مر بنساء من الأنصار في عرس لهنَّ يُغَنِّين:

وأهدى لها كبشاً تنحنح في المِربد[9] وزَوجُكُمُ في النادي[1] ويعلمُ ما في غدِ

---

[1] وهو الذي روى عنه أحمد ، وهو عفان بن مسلم الصفار.

[2] رواه أحمد (72/5) ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (138) ، وكذا محققو «المسند».

[3] أي دخل عليها زوجُها ليلة زفافها.

[4] لم يأتِ في الحديث بيان من هو المخاطَب ، والظاهر أنه خالد بن ذكوان ، راوي الحديث عن عائشة ، رضي الله عنها.

[5] الجُويرية تصغير جارية ، والمقصود بنيات صغيرات.

[6] النّدب هو عَدُّ خصال الميت.

[7] قال ابن حجر رحمه الله: فيه إشارة إلى جواز سماع المدح والمرثية مما ليس فيه مبالغة تفضي إلى الغلو.

[8] رواه البخاري (5147) ، واللفظ الآخر لابن ماجه (1897) وصححه الألباني.

[9] المربد: هو الموضع الذي تحبس فيه الغنم والإبل. انظر «النهاية».

فقال رسولَ الله ﷺ : لا يعلم ما في غدٍ إلا الله.[2]

9. ولم يقف النبي ﷺ عند هذا ، فقد نهى عن مدحه بما فيه من الخصال سدًّا لباب الغلو فيه ، فكيف بمن مدحه بما ليس فيه ، كمن نسب له شيئا من خصائص الربوبية أو الألوهية؟!

فعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا.

فقال: السيد الله تبارك وتعالى.

قلنا: وأفضلنا فضلا ، وأعظمُنا طَولا[3].

فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان.[4]

10. وعن أنس رضي الله عنه أن أناسا قالوا: يا رسول الله ، يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، فقال: يا أيها الناس ، عليكم بتقواكم[5] ، لا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله ، عبد الله ورسوله ، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني.[6]

---

[1] النادي: هو مجتمع القوم وأهل المجلس. انظر «النهاية».

[2] رقم (3401) ، وحسَّن إسناده ابن حجر في «الفتح» ، شرح حديث رقم (5147).

[3] أي أعظمُنا عطاءً وعلُواً على الأعداء ، انظر شرح الحديث في «عون المعبود».

[4] رواه أبو داود (4806) ، والنسائي في «الكبرى» (10076) ، وأحمد (24/4 – 25) ، والبخاري في «الأدب المفرد» (211) ، وصححه الألباني.

[5] أي عليكم بمراعاة تقوى الله في أقوالكم.

واللفظ الآخر لأحمد وهو لفظ ابن حبان: (قولوا بقولكم) ، أي تكلموا بما يحضركم من القول ، ولا تتكلفوا ، كأنكم وكلاء الشيطان ورسله ، تنطقون عن لسانه. نقلا من حاشية «المسند» (167/21).

[6] رواه أحمد (153/3 ، 241) ، واللفظ له ، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (248) (249) ، وابن حبان (6240) ، وصححه محققو «المسند» وقالوا: على شرط مسلم. (23/20).

ففي هذين الحديثين وغيرهما نرى كيف سد النبي ﷺ طرق الغلو بأن نهى عن مجرد الزيادة في مدحه وإن كان المدح منصبا على ما فيه من الخصال ، فهو سيد ولد آدم وخير الناس وأفضلهم ، ولكن لما كان ذلك المدح يفضي إلى الغلو فيه وربما عبادته ، نهاهم عنه ، وقال لهم: لا يَستجرينَّكم الشيطان ، أي لا يتدرج بكم ويستزلكم إلى الغلو فيَّ.

قال الشيخ صالح آل الشيخ في «كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد»:

فإن في سنة النبي عليه الصلاة والسلام من الدلائل على قاعدة سد الذرائع ما يبلغ مائة دليل أو أكثر ، وأعظم الذرائع التي يجب أن تسد ذرائع الشرك التي توصل إليه ، ومن تلك الذرائع قول القائل: أنت سيدنا وابن سيدنا ، وخيرنا وابن خيرنا ونحو ذلك.[1]

11. وعن جابر رضي الله عنه قال: اشتكى رسول الله ﷺ فصلينا وراءه وهو قاعد ، وأبو بكر يُسمِع الناس تكبيره ، فالتفت إلينا فرآنا قياما فأشار إلينا فقعدنا ، فصلينا بصلاته قعودا ، فلما سلّم قال: إن كدتم آنفا لتفعلون فعل فارس والروم ؛ يقومون على ملوكهم وهم قعود ، فلا تفعلوا ، ائتموا بأئمتكم ، إن صلى قائما فصلوا قياما ، وإن صلى قاعدا فصلُّوا قعودا.[2]

قال ابن تيمية رحمه الله: فإذا كان قد نهاهم مع قعوده – وإن كانوا قاموا في الصلاة – حتى لا يتشبهوا بمن يقومون بعظمائهم ، وبيّن أن من سَرَّه القيام له كان من أهل النار ، فكيف بما فيه[3] من السجود له ، ومن وضع الرأس[4] وتقبيل الأيادي؟[5]

---

[1] شرح «باب حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك».

[2] رواه مسلم (413).

[3] أي في القيام للمعَظَّمين.

[4] أي خفضِه وطأطأته.

[5] «مجموع الفتاوى» (93/27).

المبحث السادس: اتباع الصحابة لنبيهم في اجتناب الغلو في الأنبياء والصالحين

وقد سار الصحابة رضوان الله عليهم على هدي نبيهم في **التحرز من الغلو في الأنبياء والصالحين** ، ومن ذلك تعميتهم لقبر «دانيال» وهو **نبي من أنبياء بني إسرائيل** وجد الصحابة قبره في «تُستَر»[1] لما فتحوها ، فما كان منهم إلا أن أخفوا قبره حتى لا يفتتن به الناس إذا وجدوه فيغلون في تعظيمه ، وقصته رواها محمد بن إسحاق في «مغازيه»[2] عن خالد بن دينار قال: حدثنا أبو العالية قال:

لما فتحنا «تُستر» وجدنا في بيت مال الهرمزان[3] سريرا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف ، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب ، فدعا له كعبا فنسخه بالعربية[4] ، فأنا أول رجل من العرب قرأه قراءةً مثل ما أقرأ القرآن هذا ، فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟

قال: سِيَرُكم وأموركم ولحون كلامكم[5] وما هو كائن بعد.

قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة ، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس فلا ينبشونه.

قلت: وما يرجون منه؟

قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون.

---

[1] هي مدينة في خوزستان فتحها أبو موسى الأشعري في عهد عمر رضي الله عنه ، والخوز هم أهلها وأهل نواحي الأهواز بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان. انظر «معجم البلدان» ، مادة: خوز.

[2] ص 66 – 67 ، تحقيق سهيل زكار.

[3] أطلق العرب لقب الهرمزان على الكبير من ملوك العجم. انظر «المعجم الوسيط».

[4] أي ترجمه إليها.

[5] لحن الكلام هو معناه وفحواه. انظر «النهاية».

قلت: من كنتم تظنون الرجل؟

قال: رجل يقال له دانيال.

قلت: منذ كم وجدتموه قد مات؟

قال: منذ ثلاثمائة سنة ما تغير منه شيء؟

قال: لا ، إلا شعرات من قفاه ، إن لحوم الأنبياء لا تبليه الأرض ولا تأكله السباع.

قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح إلى أبي العالية ، ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظاً منذ ثلثمائة سنة فليس بنبي ، بل هو رجل صالح ، لأن عيسى ابن مريم ليس بينه وبين رسول الله ﷺ نبي بنص الحديث الذي في «البخاري» ، والفترة التي كانت بينهما كانت أربعمائة سنة وقيل ستمائة سنة ، وقيل ستمائة وعشرون سنة ، وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة وهو قريب من وقت دانيال ، إن كان كونه دانيال هو المطابق لما في نفس الأمر ، فإنه قد يكون رجلاً آخر إما من الأنبياء أو الصالحين ، ولكن قربت الظنون أنه دانيال ، لأن دانيال كان قد أخذه ملك الفرس فأقام عنده مسجونا كما تقدم.

وقد روي بإسناد صحيح إلى أبي العالية أن طول أنفه شبر.

وعن أنس بن مالك بإسناد جيد أن طول أنفه ذراع.

فيحتمل على هذا أن يكون رجلا من الأنبياء الأقدمين قبل هذه المدد ، والله أعلم.[1]

فالشاهد من القصة هو ما فعله الصحابة رضوان الله عليهم من تعمية قبر ذاك النبي لئلا يفتتن به الناس إذا علموا أنه قبر نبي فيغلون في تعظيم قبره ، الأمر الذي قد يؤدي إلى عبادته من دون الله أو مع الله ، فسَدَّ الصحابة ذلك الباب بأن عمَّوا قبره تماما.

---

[1] «البداية والنهاية» ، (40/2) ، ذكر شيء من خبر دانيال عليه السلام.

وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحرق الزنادقة الذين قالوا أنه هو الله ، كما روى ابن حجر في «الجزء الثالث» من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي: إن هنا قوما على باب المسجد يدّعون أنك ربهم!

فدعاهم فقال لهم: ويلكم ، ما تقولون؟

قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا!

فقال: ويلكم ، إنما أنا عبد مثلكم ، آكل الطعام كما تأكلون ، وأشرب كما تشربون ، إن أطعت الله أثابني إن شاء ، وإن عصيته خشيت أن يعذبني ، فاتقوا الله وارجعوا.

فأبوا ، فلما كان الغد غدوا عليه ، فجاء قَنبر[1] فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام.

فقال: أدخِلهم.

فقالوا كذلك.[2]

فلما كان الثالث[3] قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قِتلة.

فأبوا إلا ذلك ، فأمر بفَعَلة[4] مَعهم مَرُورهم[5] ، فخد لهم أخدودا بين باب المسجد والقصر ، وقال: (أحفروا) ، فأبعدوا في الأرض ، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود وقال: إني طارِحكم فيها أو ترجعوا.

فأبوا أن يرجعوا ، فقذف بهم فيها ، حتى إذا احترقوا قال:

---

[1] قَنبر هو مولى لعلي رضي الله عنه.

[2] أي كقولهم في اليوم الأول.

[3] أي اليوم الثالث.

[4] الفَعلة صفة غالبة على عملة الطين والحفر ونحوهما. انظر «لسان العرب».

[5] المَرُّ هو المسحاة. انظر «لسان العرب».

إني إذا رأيت أمرا منكرا أوقدت ناري ودعوت قَنبرا

ثم قال الحافظ: وهذا سند حسن.[1]

---

[1] «فتح الباري» شرح حديث (6922) ، باختصار يسير.

ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (الناشر: دار الفكر – بيروت) (42/475-476) في (ترجمة علي بن أبي طالب) ، والأصبهاني في «طبقات المحدثين بأصبهان» (2/342-343) (الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت) عن عثمان بن أبي عثمان قال: جاء أناس إلى علي بن أبي طالب من الشيعة ، فذكره بنحوه.

فائدة: قال السمعاني في «الأنساب» (5/396) (الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت) في النسبة إلى (النصيري):

وهذه النسبة لطائفة من غلاة الشيعة يقال لهم النصيرية ، والنسبة إليها نُصيري ، وهذه الطائفة ينتسبون إلى رجل اسمه نُصير ، وكان في جماعة قريبا من سبعة عشر نفسا كانوا يزعمون أن **عليا هو الله** ، وهؤلاء شر الشيعة ، وكان ذلك في زمن علي ، فحذّرهم وقال: إن لم ترجعوا عن هذا القول وتجددوا إسلامكم وإلا عاقبتكم عقوبة ما سُمِع مثلها في الإسلام.

ثم أمر بأخدود ، وحُفِر في رَحَبة جامع الكوفة ، فأشعل فيه النار ، وأمرهم بالرجوع فما رجعوا ، فأمر غلامه قنبر حتى ألقاهم في النار ، فهرب واحد من الجماعة اسمه نصير ، واشتهر هذا الكفر منه ، وأن عليا لما ألقاهم في النار التفت واحد وقال: الآن تحققت أنه هو الله ، لأنه بلغنا عن النبي ﷺ أنه قال: لا يعذب بالنار إلا ربُّها ، وكان علي يرميهم في النار وينشد:

إني إذا أبصرت أمرا منكرا أوقدت ناري ودعوت قَنبرا

ولما بلغ ابن عباس ما فعل علي رضي الله عنه قال: لو كنت مكان علي رضي الله عنه كنت أقتلهم وما كنت أحرقهم.

وهذه الطائفة بالحديثة ، بلدة على الفرات.

سمعت الشريف عمر بن إبراهيم الحسيني شيخ الزيدية بالكوفة يقول: لما انصرفت من الشام دخلت الحديثة مجتازا ، فسألوا عن اسمي فقلت: عمر ، فأرادوا أن يقتلوني لأن اسمي عمر ، حتى قلت إني علوي وإني كوفي ، فتخلصت منهم ، وإلا كادوا أن يقتلوني. انتهى كلام السمعاني.

وروى البخاري بسنده عن عكرمة قال: أُتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم ، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تعذبوا بعذاب الله) ، ولقتلتهم ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من بدل دينه فاقتلوه). «صحيح البخاري» (6922).

وعلى هذا سار أئمة الهدى ، قال علي بن عبد الله الطيالسي: مسحت يدي على أحمد بن حنبل ، ثم مسحت يدي على بدني وهو ينظر [1] ، فغضب غضبا شديدا ، وجعل ينفض نفسه ويقول: (عمن أخذتم هذا؟!) ، وأنكره إنكارا شديدا. [2]

فالحاصل من هذه الأحاديث والآثار هو تحريم الغلو في النبي ﷺ ، ومن باب أولى من هم دونه من الصالحين.

[1] أي بقصد التبرك كما يفعله بعض الناس هداهم الله!

[2] «طبقات الحنابلة» (216/1) ، ترجمة رقم (316) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

المبحث السابع: بيان أهم مظاهر الغلو في النبي ﷺ مما هو من الشرك بالله

ومظاهر الغلو في النبي ﷺ كثيرة ، بعضها يعتبر من نواقض الإسلام ، وفاعله يعتبر في حكم الإسلام مشركا ، وبعضها يدخل في حيز البدع الغير مكفرة ، وصاحبها من أهل الكبائر ، أما المظاهر المكفرة المشتهرة فستة ، وهي كالتالي على سبيل الإجمال:

المظهر الأول: دعاء النبي ﷺ ، كقول: (يا نبي الله أغثني) ونحو ذلك ، فهذا شرك ، لأن الدعاء عبادة ، قال ﷺ: الدعاء هو العبادة ، وقرأ ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾ إلى قوله ﴿داخرين﴾.[1]

فمن صرف دعاءه لغير الله فهو ضال مشرك ، ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾.

المظهر الثاني: الذبح له ﷺ ، والذبح لغير الله شرك ، لأن الذبح عبادة ، وجميع العبادات لا يجوز صرفها إلا لله ، قال تعالى ﴿فصل لربك وانحر﴾.

المظهر الثالث: الطواف حول قبره ﷺ ، وهذا شرك أيضا ، لأن الطواف عبادة ، لا يجوز صرفه إلا لله ، والطواف حول القبر النبوي متعذر في هذه الأزمنة بسبب الحاجز الذي وضعته الحكومة السعودية ، جزاها الله خيرا.

والطواف الشرعي لا يجوز إلا لله وحده ، ومحله حول الكعبة الشريفة ، ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ ، فمن طاف لغير الله – أيا كان ذلك المُطاف به – فقد أشرك.

---

[1] رواه أبو داود (1479) ، والترمذي (2969) وغيرهما عن النعمان بن بشير ، وصححه الشيخ الألباني.

المظهر الرابع: النذر له ﷺ ، وهذا شرك ، والنذر لا يجوز إلا لله ، كما قال ﷺ : لا نذر إلا فيما ابتغي به وجه الله عز وجل.[1]

المظهر الخامس: دعوى الربوبية فيه ﷺ ، كقول أنه يخلق أو يرزق أو يدبر الأمر ، وهذا شرك ظاهر ، وهو من أقبح أنواع الشرك ، والله هو المتفرد بالربوبية على خلقه سبحانه وتعالى.

المظهر السادس: ادعاء علم الغيب له ﷺ ، سواء في حياته أو بعد مماته ، وهذا شرك في توحيد الأسماء والصفات ، وعلم الغيب خاص بالله تعالى ، ﴿فقل إنما الغيب لله﴾ ، فمن وصف غير الله بهذه الصفة فقد رد خبر القرآن ، وجعل لله شريكا فيما هو من خصائص الله.

---

[1] رواه أحمد (185/2) ، وأبو داود (3273) ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، وحسنه الشيخ الألباني وكذا محققو «المسند».

المبحث الثامن: بيان مظاهر محرمة في الغلو بالنبي ﷺ مما هو دون الشرك بالله ، ورؤوسها أحد عشر مظهرا

وهناك مظاهر محرمة في الغلو بالنبي ﷺ تدخل في حيز البدع ، وبعضها في حيز الكبائر التي دون البدع ، وليست هي من نواقض الإيمان بالنبي ﷺ ، ولا مكفرات بحد ذاتها ، ولكنها تؤدي إليه ، ففاعلها على خطر عظيم ، فلهذا حذر منها النبي ﷺ ، لأن من قواعد الشريعة أن ما كان وسيلة إلى محرم فهو محرم ، والوسائل لها أحكام المقاصد.

وبعض هذه المظاهر واقع ، وبعضها لم يقع بحمد الله ، وهي بمجملها أحد عشر مظهرا:

المظهر الأول: اتخاذ قبره مسجدا ، أي مكانا يصلى فيه ، وهذا متعذر بحمد الله بسبب الحجرة النبوية والحاجز الحديدي المحيط بها ، والدليل على تحريم اتخاذ قبر النبي ﷺ مسجدا حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس[1] يقول: ... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فأني أنهاكم عن ذلك.[2]

ولهذا دَفن الصحابة رسول الله ﷺ في حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن في المقبرة لئلا يُتخذ قبره مصلى ، وقد صرحت عائشة بهذه العلة كما سيأتي ، رضي الله عنها وعن أبيها.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

---

[1] أي خمس ليال.

[2] رواه مسلم (532).

قالت: لولا ذلك أُبرز قبره غير أنه خُشي أن يتخذ مسجدا.[1]

المظهر الثاني: بناء مسجد على قبره ﷺ ، وهذا لم يحصل بحمد الله ، فالنبي ﷺ مدفون بحجرة عائشة ، قد كان بين الحجرة والمسجد باب يدخل منه النبي ﷺ ويخرج ، ودليل تحريم بناء مسجد على قبره ﷺ حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة.[2]

قال ابن عبد البر رحمه الله: هذا يُحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء والصالحين مساجد.[3]

المظهر الثالث: دعاء الله عند قبره ﷺ ، والذين يفعلون هذا يظنون أن الدعاء عند قبره قريب للاستجابة ، وهذا قول على الله بغير علم ، ولهذا أنكره سبط النبي ﷺ ، فقد رآى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رجلاً يجئ إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها **فيدعو** فنهاه

---

[1] رواه البخاري (1330) ، ومسلم (529) واللفظ له ، وأحمد (80/6) ، والنسائي (702) ، وابن أبي شيبة في «المصنف» برقم (11819).

[2] رواه البخاري (1341) ، ومسلم (528) واللفظ له ، والنسائي (703) ، وأحمد (51/6) ، وابن أبي شيبة في «المصنف» (11814).

[3] «التمهيد» ، كتاب الجامع ، باب ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة ، (326/14) ، الناشر: دار الفاروق الحديثة – مصر.

فقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول ﷺ قال: لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وسلموا عليَّ ، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم.[1]

قال ابن تيمية رحمه الله: فهذا علي بن الحسين ، زين العابدين ، وهو من أجل التابعين علما ودينا ، حتى قال الزهري: ما رأيت هاشميا مثله ، وهو يذكر هذا الحديث بإسناده ، ولفظه: لا تتخذوا بيتي عيدا ، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم.

وهذا يقتضي أنه لا مزية للسلام عليه عند بيته ، كما لا مزية للصلاة عليه عند بيته[2] ، بل قد نهى عن تخصيص بيته بهذا وهذا.[3]

المظهر الرابع: طلب الدعاء منه ﷺ بعد مماته ، وهذا سفه في العقل ، لأن النبي ﷺ قد مات بنص القرآن وإجماع الصحابة ، والميت ليس له اتصال بالحياة الدنيا البتة ، بل هو في حياة برزخية ، لا يعلم كُنهها إلا الله ، ولو أن النبي ﷺ يدعو لمن طلب منه الدعاء لفعل ذلك الصحابة رضوان الله عليهم ، لاسيما وقد دهمتهم نوائب ، وأصابتهم خطوب ، ولم يرد عنهم طلب دعاء ولا غيره ، بل يُصلون ويُسلمون عليه في اليوم والليلة ، ويتبعون أمره ويجتنبون نهيه ، ولم يرد عنهم غير ذلك البتة.

المظهر الخامس: الحلف به ﷺ ، وهذا محرم ، وقد يكون شركا مخرجا من الملة وقد لا يكون بحسب قصد الحالف ، فإن كان الحالف معظما للمحلوف به كما يعظم الله فقد أشرك ، لأنه

---

[1] رواه أبو يعلى في «مسنده» (361/1) رقم (469) ، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي» (20) ، وابن أبي شيبة في «المصنف» (7541) ، وعنه الحافظ الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (428) ، وقال الألباني في تحقيقه عليه: حديث صحيح بطرقه وشواهده ، وقد خرجتها في «تحذير الساجد» ، ص (98-99).

[2] يشير إلى حديث: لا تجعلوا بيوتكم قبورا ، ولا تجعلوا قبري عيدا ... الخ.

[3] «الرد على الإخنائي» ، ص 265 .

ساوى بين الله وبين خلقه في المنزلة ، وإن كان دون ذلك فهو من الشرك الأصغر الذي هو من كبار الذنوب ، عافانا الله من ذلك ، والدليل على تحريم الحلف بغير الله حديث سعد بن عبيدة أن ابن عمر سمع رجلا يقول: لا والكعبة ، فقال ابن عمر: لا يُحلف بغير الله ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك.[1]

المظهر السادس: اتخاذ قبره ﷺ عيدا ، أي معاودة قبره كل يوم أو كل أسبوع ونحو ذلك ، فهذا محرم لأنه من الزيادة في التعظيم فوق القدر المشروع ، ودليل التحريم حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لا تتخذوا قبري عيدا ، ولا تجعلوا بيوتكم قبورا ، وحيثما كنتم فصلوا علي ، فإن صلاتكم تبلغني.[2]

والمأثور عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يزور القبر النبوي كلما جاء من سفر أو أراد سفرا ، وعلى هذا فما يفعله بعض الناس – من زوار المدينة خصوصا — من ارتياد القبر النبوي كل يوم ، أو بعد كل فريضة ؛ فهذا مخالف للشريعة ، وليس من التعظيم المشروع في شيء.

المظهر السابع: السفر إلى قبره ﷺ ، وهذا محرم ، لقوله عليه الصلاة والسلام: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ، ومسجد الأقصى ، ومسجدي هذا[3].[4]

---

[1] رواه الترمذي (1535) واللفظ له ، وأبو داود (3251) ، وأحمد (125/2) ، وصححه الألباني.

[2] رواه أحمد (367/2) ، وأبو داود (2042) ، واللفظ لأحمد ، وسنده حسن كما قال الألباني في «الجنائز» ، وقال: وهو صحيح بما له من طرق وشواهد ، ثم ساقها.

[3] أي المسجد النبوي.

[4] رواه البخاري (1995) ومسلم (827) والترمذي (326) وابن ماجه (1410) وأحمد (45/3) عن أبي سعيد رضي الله عنه ، ورواه البخاري (1189) ومسلم (1397) وأبو داود (2033) والنسائي (699) والدارمي في كتاب الصلاة عن أبي هريرة.

فعلى هذا فمن أراد السفر للمدينة فلتكن نيته شد الرحال للمسجد النبوي لا القبر النبوي ، وبعد زيارة المسجد النبوي يجوز له زيارة القبر النبوي ومسجد قباء ، ولكن لا يجعل ينته لهما ابتداء.

المظهر الثامن: تعظيم الأماكن التي مر بها ﷺ أو صلى عندها ، فهذا محرم ، لأنه من التعلق بالجمادات ، فعن المعرور بن سُوَيد قال: خرجنا مع عمر في حَجة حَجها ، فقرأ بنا في الفجر ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ ، و ﴿لإيلاف قريش﴾ ، فلما قضى حَجّه ورجع والناس يبتدرون[1] ، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مسجدٌ صلى فيه رسول الله ﷺ .

فقال: هكذا هلك أهل الكتاب ، اتخذوا آثار أنبيائهم بِيَعاً[2] ، من عَرضت له منكم الصلاة فليُصلِّ ، ومن لم تعرض له منكم فيه الصلاة فلا يُصلّ.[3]

وفي روايةٍ: أنه رأى أناسٌ ينزِلون فيُصلون في مسجدٍ ، فسأل عنهم فقالوا: مسجدٌ صلى فيه النبي ﷺ .

فقال: **إنما هلك من كان قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بِيعاً** ، من مرّ بشيء من المساجد فحضرت الصلاة فليُصل ، وإلا فليمضِ.[4]

---

[1] أي: يبتدِرون مكاناً يقصدونه للصلاة والعبادة.

[2] جمع بيعة بكسر الباء ، وهي كنيسةٌ للنصارى. انظر «مختار الصحاح» ، مادة: «بيع».

[3] هذه رواية ابن أبي شيبة في «مصنفه» (153/2).

[4] هذه رواية عبد الرزاق في «المصنف» (118/2) رقم (2734) ، ورواه ابن وضاح بسنده في «البدع والنهي عنها» ، باب ما جاء في اتّباع الأذان ، وعزاه ابن تيمية في «الاقتضاء» (751/2) إلى «سنن سعيد بن منصور» ، وليس في القسم المطبوع منه ، فلعله في المفقود.

والأثر صححه ابن تيمية رحمه الله كما في «الرد على البكري» (433/2) ، وكذا ابن حجر في الفتح (678/1) شرح أثر رقم (483) ، والألباني في «فضائل الشام ودمشق» ، ص 50 ، (ط 1 ، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض) ، وقال في إسنادَي سعيد بن منصور وابن وضاح: إسناد صحيح على شرط الشيخين.

ولما بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التي بايع تحتها رسول الله ﷺ أصحابه أرسل فقطعها ، رواه ابن وضاح في كتابه فقال: سمعت عيسى بن يونس يقول: أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ فقطعها ، لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها ، فخاف عليهم الفتنة.[1]

المظهر التاسع: التبرك بقبره ﷺ ، بالتمسح بجدران حجرته والحديد المحيط بها ونحو ذلك ابتغاء البركة[2] ، وهذا باطل من وجهين ؛ الأول أن الله لم يجعل البركة في التمسح بها ، ولم يرد به دليل لا في الكتاب ولا في السنة ، ثم إنه من التعلق بالجمادات ، بل قد ورد النص في النهي عن ذلك ، فعن أبي واقد الليثي ، أن رسول الله ﷺ خرج وأصحابه إلى حنين ، فمروا بشجرة خضراء عظيمة يقال لها ذات أنواط[3] ، كان المشركون يعكفون عندها ويتبركون بها ويعلقون عليها سيوفهم ، معتقدين أن ذلك يزيدها مضاءً فقالوا: يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.
فقال النبي ﷺ : سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة﴾ ، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم.[4]

[1] «البدع والنهي عنها» ، برقم (106) ، وجزم ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (33/27) بثبوت خبر عمر في قطع الشجرة.

[2] ينبغي التنبه إلى أن التبرك بالقبور على ضربين ؛ **الأول** تبرك به معتقدا أنه يأتي بالبركة من دون الله ، فهذا شرك أكبر في الربوبية ، لأن البركة رزق ، وجميع الأرزاق لا يأتي بها إلا الله ، فمن نسب ذلك لغير الله فقد اتخذه شريكا.

والثاني: مس القبر أو غيره اعتقادا أنه سبب لحصول البركة ، فهذا شرك أصغر ، لأنه وسيلة للقسم الأول ، ولأن الله لم يجعل التمسح سببا ، فهو نسبة شيء إلى الله لم يأذن به ، والواجب ترك هذا كله.

[3] الأنواط هي الأغصان.

[4] رواه الترمذي (2180) واللفظ له ، وأحمد (218/5) ، وصححه الألباني.

وروي عن أنس رضي الله عنه أنه رأى رجلا وضع يده على قبر النبي ﷺ فنهاه وقال: ما كنا نعرف هذا على عهد رسول الله ﷺ .[1]

وروى البيهقي في «شعب الإيمان» عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر بدأ بقبر النبي ﷺ ، فصلى عليه وسلم ودعا له **ولا يمس القبر** ، ثم يسلم على أبي بكر ، ثم قال: السلام عليك يا أبتِ.[2]

وروى أبو الحسن علي بن عمر القزويني في «أماليه» عن نافع عن ابن عمر أنه كان يكره مس قبر النبي ﷺ .[3]

المظهر العاشر: التوسل به ﷺ ، أي بذاته ، كقول: (اللهم إني أتوسل بجاه نبيك أن ترزقني الولد أو تسقينا الغيث) ، فهذا من التوسل البدعي ، لأن النبي ﷺ لم يُعلّمنا أن نتوسل بذاته بل علمنا أن نتوسل بثلاثة وسائل: إما بطلب الدعاء منه ﷺ ، وهذا متعذر بعد موته ، أو بعمل صالح قام

---

[1] قاله نور الدين السمهودي في «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» ، (1402/4) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

[2] (88/8 - 89) برقم (3854).

[3] نقلا من «الرد على الإخنائي» ، ص 413 – 414 .

تنبيه: الكراهة عند السلف تعني التحريم كما هي طريقة القرآن ﴿وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾.

انظر «إعلام الموقعين» للإمام ابن القيم (52/1) ، (فصل: تحريم القول على الله بغير علم – قد يطلق لفظ الكراهة على التحريم) ، و «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (241/32) ، و «المذكرة في أصول الفقه» للشنقيطي ، ص 22 ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة.

وتعريف الكراهة عند العلماء المتأخرين: ما يثاب تاركه ، ولا يعاقب عليه فاعله.

وبعض أهل العلم يعرفون المكروه بأنه ما تركه خير من فعله ، أو ما نُهي عنه نهيا غير جازم.

انظر «شرح الورقات» ، ص 39 ، للشيخ د. سعد بن ناصر الشثري حفظه الله ، الناشر: كنوز أشبيليا – الرياض.

به الداعي نفسه ، أو بأسماء الله الحسنى ، أما التوسل بأعمال الآخرين أو بذواتهم فلم يرد إطلاقا ، لا في الكتاب ولا في السنة ، وما لم يرد في الكتاب ولا في السنة فالتعبد به بدعة كما تقرر آنفا.

المظهر الحادي عشر: الاحتفال بذكرى مولده ﷺ ، وهذا المظهر يعتبر من المظاهر البدعية المشتهرة ، وقد أنكره علماء الإسلام على مر العصور ، وبينوا أنه من التشبه بالكفار من النصارى في ميلاد عيسى عليه السلام ، فإن النصارى تحتفل بيوم مولد عيسى ويتخذونه عيداً ، وذلك بإيقاد الشموع وصنع الطعام وارتكاب المحرمات وفعل الموبقات من شرب للخمور وفعل الفواحش وغير ذلك من القبائح.

وقد صرح بعضهم معللاً مشروعية الاحتفال بفعل المولد بقوله: (إذا كان أهل الصليب اتخذوا ليلة مولد نبيهم عيداً أكبر فأهل الإسلام أولى بالتكريم وأجدر) ، وهذا الكلام مردود على صاحبه ، فقد حذر النبي ﷺ من مشابهة اليهود والنصارى في عباداتهم وخصوصياتهم ، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : لتتبعن سنن من كان قبلكم ، شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه.

قالوا: يا رسول الله ، اليهود والنصارى؟

قال: فمن؟[1]

أي فمن القوم غير أولئك.

ثم إن المولد النبوي لو كان خيرا لفعله الصحابة والتابعون الذين هم أشد الناس تعظيما للنبي ﷺ ، والواقع أن المسلمين لم يعرفوه في القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، ولم يدخل عليهم إلا في بداية القرن الرابع ، فلو كان خيرا لسبق إليه الصحابة والتابعون ، فالأمر كما قال الأول:

---

[1] رواه البخاري (3269) ومسلم (2669).

وخير الأمور السابقات على الهدى وشر الأمور المحدثات البدائع

والموالد تتضمن منكرات عدة ، على رأسها القصائد الشركية ، والتي تتضمن عبارات التوسل والاستشفاع والاستغاثة بالنبي ﷺ ، ووصفه بالمتصرف في هذا الكون وأول الموجودات ، والقطب الذي تدور عليه الأفلاك ، والغاية التي من أجلها وجد هذا الكون ، وتشبيهه بالله في أمور ، كعلم الغيب ، وتدبير أمر الآخرة ، إلى غير ذلك من الافتراءات والأباطيل التي شُحنت بها تلك القصائد.

وأشهر القصائد التي تتضمن ذلك وصارت يتناقلها الناس على مر القرون هي القصيدة المعروفة بـ «البردة» لشاعر يقال له محمد بن سعد البوصيري المصري ، عاش في الفترة ما بين 608 – 696 هجرية ، ألف هذه القصيدة ، والتجأ بأبيات فيها إلى النبي ﷺ ، والتاذ به من كربات يوم القيامة ، وطلب منه الشفاعة في الآخرة ، وادّعى بأن الدنيا والآخرة ملك له ، وأنه يعلم الغيب ، وذكر طوام عدة ، وأقوال كفرية تقشعر لسماعها جلود الموحدين ، وهذه القصيدة كثيرا ما يرددها أهل الموالد ، والتي يسمونها بالموالد النبوية ، يظنونها تقربهم إلى الله ، وتحيي في قلوبهم محبة النبي ﷺ ، وهي في الحقيقة لا تزيدهم إلا بعدا ، بل هي الكفر بعينه.

وقد أنكر كثير من أهل العلم عليه قصيدته أشد الإنكار وحذروا الناس منها ، إذ أن التفوُّه بتلك الأبيات والرضا بسماعها مفضٍ إلى الكفر ، وهو أعظم من منكر حضور المولد بحد ذاته ، منهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1] رحمه الله في «تفسير سورة الفاتحة» ، والشيخ سليمان بن عبد الله

[1] الشيخ محمد من المجددين لما اندرس من معالم دين الإسلام في شبه الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري ، أحيا الله به الدين إلى يومنا هذا ، ونفع به وبمؤلفاته ، كلامه في العقيدة مبثوث في كتبه ، ولد الشيخ محمد سنة 1115 هـ وتوفي سنة 1206 هـ ، وكل من جاء بعده من علماء الجزيرة العربية عيالٌ عليه إلى يومنا هذا .

انظر ترجمته في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، وانظر لزاما كتاب «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية» للشيخ د. صالح بن عبد الله العبود .

بن محمد بن عبد الوهاب[1] في كتابه «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»[2] ، وكذا العلامة المجدد عبد الرحمٰن بن حسن[3] في كتابه «فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد»[1] ، والشيخ

وله ترجمة حافلة بقلم حفيده الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وهي مثبتة في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (3/378-429) ، وكذا في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (1/372-439).

[1] هو العلامة الفقيه المحدث الأصولي ، حفيد إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولد سنة 1200 هـ ، نشأ في الدرعية في وسط علمي زاخر بجهابذة العلماء ، له عدة مؤلفات ، من أشهرها كتابه «تيسير العزيز الحميد» ، وهو شرح نفيس على كتاب «التوحيد» لجده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والكتاب على مدى ثلاث قرون ينهل منه العلماء وطلبة العلم إلى وقتنا هذا ، وهو عمدة في علم توحيد العبادة ، ومن بعده عيال عليه.

وله أيضا حاشية على كتاب «المقنع» في الفقه في ثلاث مجلدات ضخام ، وله غيرها ، توفي رحمه الله سنة 1234 هـ وعمره ثلاث وثلاثون سنة.

انظر ترجمته موسعة في كتاب «مشاهير علماء نجد» للشيخ عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، وله ترجمة في مقدمة كتابه «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» بقلم محققه الشيخ أسامة بن عطايا العتيبي.

[2] انظر باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره.

[3] هو الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى ، ولد سنة 1196 هـ في الدرعية ، نشأ في بيت جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ودرس عليه وعلى أعمامه التوحيد والحديث والفقه ،كما درس الحديث على بعض المشايخ في مصر ،كالشيخ حسن القويسيني ، والشيخ عبد الرحمٰن الجبرتي ، والشيخ عبد الله باسودان ، وكذا قرأ على مفتي الجزائر الشيخ محمد بن محمود الجزائري الحنفي الأثري ، وقد أجازه هؤلاء المشايخ بجميع مروياتهم.

كما درس الشيخ عبد الرحمٰن على مشايخ آخرين في مصر في النحو والقراءات وغيرها.

وقد تتلمذ على الشيخ عبد الرحمٰن جما غفيرا من الطلبة ، أبرزهم ابنه الشيخ عبد اللطيف.

وللشيخ عبد الرحمٰن عدة مصنفات ، أشهرها كتابه «فتح المجيد» ، وهو مختصر لكتاب ابن عمه ، الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، «تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد» ، وله أيضا «قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين» ، وهو حاشية على كتاب التوحيد.

كما ألف الشيخ عبد الرحمٰن رسائل كثيرة ، وهي مبثوثة في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» ، وكذا في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية».

عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن[2] في كتابه «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس» ، وكذا العلامة عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين[3] في كتابه «الرد على البردة»[4] ، والعلامة الشوكاني[5] في كتابه «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد» ، والعلامة محمود شكري

توفي رحمه الله عام 1285 هـ بعد أن أبلى بلاء حسنا في نصرة الإسلام ، ودعوة الناس إلى التوحيد الخالص ، ودحض البدع والشركيات في نجد وغيرها.

انظر ترجمته في مقدمة كتاب «فتح المجيد» بتحقيق أشرف بن عبد المقصود ، والترجمة لحفيده ، الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن حسن ، رحمهم الله.

[1] انظر باب: ما جاء أن سبب كفر بني آدم وترك دينهم هو الغلو في الصالحين.

[2] تقدم التعريف به.

[3] هو الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين ، ولد سنة 1194 هـ في روضة سدير ، تتلمذ على بعض تلامذة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تولى القضاء والافتاء ، وصار من أكابر علماء نجد ، حتى لُقِّب بـ «مفتي الديار النجدية» ، برع في الفقه ، ودرَّس في بلاد كثيرة ، وله تلامذة كثر ، منهم أحمد بن إبراهيم بن عيسى (1329 هـ) ، شارح نونية ابن القيم ، وعثمان بن عبد الله بن بشر (1290 هـ) ، المؤرخ المعروف ، له عدة كتب في الذب عن العقيدة الإسلامية ، منها «الانتصار لحزب الله الموحدين ، والرد على المجادل عن المشركين» ، وكتاب «الرد على البردة» ، وكتاب «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، وله رسائل وردود بعضها مثبت في كتاب «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» ، وبعضها مثبت في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» ، توفي في شقراء سنة 1282 هجرية ، رحمه الله رحمة واسعة.

باختصار وزيادة من ترجمته المذكورة في مقدمة كتابه « تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، وهي من إعداد د. عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم رحمه الله ، وانظر للتوسع في ترجمته كتاب «الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين ، مفتي الديار النجدية» ، تأليف د. علي بن محمد العجلان ، الناشر: دار الصميعي – الرياض.

[4] هو مطبوع بهذا العنوان ، وملحق به رسالة: «الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين ، مفتي الديار النجدية».

[5] هو الشيخ الفقيه الأصولي محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، اليمني ، درس على شيوخ كثر في فنون كثيرة ، وألف كتبا كثيرة منها «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول» ، وفي التفسير له كتاب «فتح القدير» ، وطُبع له مجموع فتاوى بعنوان «الفتح الرباني في فتاوى الشوكاني» ، وله رد على أرباب القول باتحاد الخالق والمخلوق في كتاب «الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات

الألوسي[1] في كتابه «غاية الأماني في الرد على النبهاني»[2] ، والشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم[3] في كتابه «السيف المسلول على عابد الرسول» ، والشيخ محمد بن عثيمين[4] في كتابه «القول المفيد

أرباب الاتحاد» ، وغيرها من الكتب والرسائل التي بلغت 114 مؤلفا ، توفي رحمه الله سنة 1250 . انظر ترجمته لنفسه في «البدر الطالع» ، وانظر «الأعلام» للزركلي (298/6).

[1] هو أبو المعالي ، محمود شكري بن السيد عبد الله الألوسي البغدادي ، له عدة مؤلفات في الذب عن عقيدة التوحيد الصافية ، منها «غاية الأماني في الرد على النبهاني» ، و «فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية للإمام محمد بن عبد الوهاب» ، و «صب العذاب على من سب الأصحاب» و «كنز السعادة في شرح كلمتي الشهادة» ، وغيرها من الكتب.

وأبو المعالي هو حفيد أبي الثناء محمود الألوسي ، المتوفى عام 1270 ، صاحب التفسير المعروف «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». توفي أبو المعالي رحمه الله سنة 1342 هـ.

[2] (423/2) ، وهو من منشورات مكتبة الرشد بالرياض ، بتحقيق الداني بن منير آل زهوي.

[3] تقدمت ترجمته.

[4] هو الشيخ الأصولي الفقيه المفسر محمد بن صالح بن عثيمين ، من علماء القرن الخامس عشر الهجري ، برّز في العقيدة والفقه والتفسير ، نفع الله به الناس في زمانه نفعا عظيما ، وانتشر علمه في الآفاق ، سواء منه ما كان مسجلا على الأشرطة أو ما كان مدونا في الكتب ، له طلبة كثر ، جُمعت فتاواه ورسائله فوقعت إلى حين كتابة هذه الأسطر في 29 مجلدا ، وبعد وفاته استؤجرت قناة فضائية لبث علمه ، فتضاعف انتشار علمه على ما كان في حياته ، وهذا من دلائل الإخلاص ، نحسبه كذلك ، والله حسيبه ، والله يؤتي فضله من يشاء.

وانظر ترجمته في كتاب «ابن عثيمين الإمام الزاهد» للدكتور ناصر بن مسفر الزهراني ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

على كتاب التوحيد» ، والشيخ صالح بن فوزان الفوزان[1] في كتابه «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» ، والشيخ د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف حفظه الله في مقال له[2] ،

وغيرهم[3] ، رحم الله أمواتهم وحفظ أحياءهم.

تنبيه هام

والموالد – تتضمن منكرات عدة غير التغني بتلك القصائد ، فهم يعتقدون أن النبي ﷺ يحضر المولد إما بجسده –كما يدعيه بعضهم – أو بروحه ، كما يدعيه البعض الآخر منهم.

ومن المنكرات التي تتضمنها الموالد الرقص الصوفي ، وضرب الدفوف ، والتزمير بالمزامير ، والذكر البدعي وليس هذا بغريب ، فالإنحراف تتسع دائرته شيئا فشيئا ، وأهل البدع قلبوا دين الله ، فجعلوا المنكر معروفا والمعروف منكرا ، وقلدهم في ذلك جهلة الناس وضعاف النفوس والعقول من العامة والدهماء.

وللفائدة ؛ فقد جمع أحد الباحثين بعض فتاوى أهل العلم في حكم الاحتفال بالمولد النبوي فوقعت في مجلدين ، فليرجع إليها من أراد الاستفادة.[1]

---

[1] هو الشيخ الفقيه الذاب عن دين الله ، العالم في العقيدة والفقه ، المقدم في علوم الشريعة ، طالما دافع عن العقيدة الإسلامية ورد على أهل البدع ، جمعت ردوده فوقعت في ثلاث مجلدات ، له مؤلفات كثيرة في فنون متنوعة ، أوصى بالرجوع إليه الشيخان الجليلان عبد العزيز بن باز ومحمد بن عثيمين قبيل وفاتهما ، حفظه الله ذخرا للإسلام والمسلمين.

[2] مقال الشيخ عبد العزيز يقع في آخر كتاب «حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال» ، الناشر: المنتدى الإسلامي — لندن ، وهو بعنوان «قوادح عقدية في بردة البوصيري».

[3] هناك بحث عام في آخر كتاب «حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال» في بيان الانحرافات الواقعة في قصائد المديح النبوي للشيخ سليمان بن عبد العزيز الفريجي بعنوان «مظاهر الغلو في قصائد المديح النبوي» ، فليراجعه من أراد الاستزادة.

وفيما يلي فتوى جامعة للشيخ صالح بن فوزان الفوزان ، حفظه الله ، عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية في حكم الاحتفال بما يسمى بالمولد النبوي.

[1] اسم الكتاب المشار إليه هو «رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي» ، وهو من منشورات دار العاصمة – الرياض.

خاتمة الكتاب

تم بحمد الله الفراغ من إعداد هذا الكتاب المبارك – إن شاء الله – والذي أراد به مؤلفه نصرة دين النبي محمد ﷺ بذكر حقوقه السبعة عشر على أمته ، لعل الله أن ينفع بها نفسه وعموم المسلمين ، فينصروا دينهم ونبيهم بتطبيق تلك الحقوق كما أمر الله بذلك ورسوله ، وكما طبَّقها الرعيل الأول من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

وقبل ذِكر حقوقه يسر الله تعالى ذكر ثلاث مواضيع تمهيدية بين يدي هذا الموضوع الهام لتكون كالمرقاة إليه ، وهي:

١) الغاية من إرسال الرسل

٢) شروط شهادة أن محمدا رسول الله

٣) مقتضيات الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم

وبعد الفراغ من ذكر حقوقه السبعة عشر على أمته تم تقرير ما يناقض الإيمان به ﷺ ، ليكون القارىء على بصيرة بالحق وضده.

اللهم أنِر بصائرنا ، واهدِ قلوبنا ، واحشرنا تحت لواء نبيك محمد ﷺ يوم القيامة ، واسقِنا من حوضه ، كما سقيتنا من شريعته في الدنيا.

وبه انتهى تأليف كتاب «كلمات في الإيمان بالنبي محمد» ، فالحمد لله على إعانته ، فحقٌ هو أن يُحمد ، وحقٌ هو أن يُعبد ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.